ديون كسيوس

التاريخ الروماني

الجزء العاشر، الكُتب : LXXX - LXXI

تقديم وترجمة وتعليق : مصطفى غُطيس

ديـون كسيـوس

التاريخ الرومانى

الجزء العاشر، الكُتب : LXXI - LXXX.

تقديم وترجمة وتعليق : مصطفى غطيس

الكتـــاب : التـــاريـــخ الـــرومـــانـــــي

المؤلـــف: ديـــون كسيـوس

تقديم وترجمة وتعليق: مصطفـــى غطيـــس

الطبعـــة : الأولـى (فبرايـر 2013)

الناشـــر : كلية الآداب والعلوم الإنسانية – تطوان

الإيداع القانونـي : 2013 MO 0814

ردمـــك : 978-9981-61-052-1

مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر
شارع أبي جرير الطبري رقم 58 - طنجة
الهاتف: 74 27 94 39 05 / الفاكس : 74 27 94 39 05

إهـــداء

أهدي هذه الترجمة إلى أستاذي الدكتور محمد التازي سعود، أطال الله بقاءه. فهو الذي اقترح علي هذا العمل، وشجعني على إنجازه، رغبة منه في إغناء الخزانة العربية بتراجم للمصادر الإغريقية واللاتينية، خدمة لطلاب الجامعة المغربية، وقراء لغة الضاد عامة ؛ فله كل الفضل في صدورها. وكان، حفظه الله، سبّاقا في هذا الميدان، وبلغ الغاية في الدقة لما نقل إلى العربية أحد أهم مصادر التاريخ الروماني وتاريخ شمال إفريقيا : "***حرب يوغرطة للمؤرخ اللاتيني سالوست***"، الذي صدر في فاس سنة **1982**.

ومحاسن أستاذنا لا تحصى، وعليه ينطبق قول الشاعر:

براك الله حين براك بحرا

وفجر منك أنهارا غزارا

ديـون كسيـوس

Dion Cassius (Cassius Dio Cocceiu ou Coccianus)

ازداد المؤرخ الإغريقي ديون كسيوس في نيقية (Nicée)– التي يسميها «وطني[1]»- الواقعة في ولاية بيثينيا (la Bithynie) المطلة على البحر الأسود بآسيا الصغرى حوالي 155، وتوفي بعد سنة 229. وهو ابن كسيوس أبرونيانوس (Cassius Apronianus) الذي كان عضوا في مجلس الشيوخ الروماني، وتقلد منصب القنصلية سنة 191 في عهد كومود (Commode) (180–192)، وكـان حاكما على ولاية سيليسيا[2](la Cilicie) ؛ ويتحدر من جهة أمه، على الأرجح، من الخطيب والفيلسوف الإغريقي المتألق، ديون كريزوستوم (Dion Chrysostôme) (الفم الذهبي) (40–120).

وكان ديون قد وصل إلى روما حوالي 180، أي حوالي الفترة التي توفي خلالها مارك أوريل (Marc Aurèle). ولقد تلقى تربية إغريقية – رومانية جيدة، وتقلب في عدة وظائف سامية، وكان عضوا في مجلس الشيوخ منذ 193، وقاضيا في عهد برتناكس (Pertinax)، وقنصلا (consul *suffectus*) مرة أولى في 205– 206 على الأرجح، في عهد سبتيم سيفير (Septime Sévère) (193–211)، ومرة ثانية في 229[3]، كقنصل عادي.

وفي عهد ألكسندر سيفير (Alexandre Sévère) شغل منصب حاكم على دالماسيا (la Dalmatie)، وبنونيا (la Pannonie) التي كان على رأس جندها الذين قادهم بحزم، وهو الحزم الذي دفع أفراد الحرس الإمبراطوري، خلال الفترة التي سادت فيها "الميوعة وقلة الانضباط العسكري" في صفوف الجيش، إلى اتهامه وأولبيانوس (Ulpianus)، والمطالبة بتعذيبه، خشية أن يُجبَروا على الخضوع لانضباط عسكري شبيه بذلك الذي كان قد فرضه

---

[1]– تاريخ ديون، LXXV ،15.

2– تاريخ ديون، LXXII ،7: " ولما كنت مع والدي في سيليسيا (la Cilicie)، وكان وقتئذ والياً عليها، ...".

3– تاريخ ديون، LXXX ، 2: « (...) غير أنني سأحكي بإيجاز كل تلك [الأحداث] التي وقعت إلى غاية قنصليتي الثانية ».

في بنونيا[1] (la Pannonie). كما حكم إفريقيا (Afrique) التي يحدثنا كيف بُعث إليها على عجل لقيادة الجيش ؛ « فخلال قدومي من آسيا (l'Asie) إلى بيثينيا (la Bithynie)، مرضت؛ ومن هناك ذهبت على عجل إلى إفريقيا (Afrique) لأقود الجيش ؛ ثم لما رجعت إلى إيطاليا (l'Italie)، بُعثت على الفور إلى دالماسيا (la Dalmatie)، ومن هناك ذهبت لحكم بنونيا العليا (la Pannonie Supérieure) »[2]. وأسند إليه الإمبراطور مكران (Macrin) بعد ذلك حكم بيرغمون (Pergame) وإدارة سمرنه (Smyrne)[3]. وانقطعت أخباره منذ حوالي 230، وهو التاريخ الذي اعتزل خلاله الخدمة في إدارة الإمبراطورية، وانعزل في نيقية (Nicée) حيث تعاطى للدراسة والتأليف.

وكان قريبا من الإمبراطور سبتيم سفير (Septime Sévère)، ورافقه في سفره إلى المشرق، كما رافق فيما بعد زوجته يوليا دومنا (Julia Domna) إلى نيقوميديا (la Nicomédie) خلال سنتي 214-215. ويُرجح أنه كان من المقربين إلى الإمبراطورة، وأنه تعرف على فيلوسطراط (Philostrate d'Athènes).

ولقد قضى معظم حياته بين آسيا (l'Asie) وإيطاليا (l'Italie) حيث ألف جزءا من تاريخه في بيته الريفي بكبوا (Capoue) التي يشيد بمحاسنها، و« حيث أنزل كلما جئت إلى إيطاليا (l'Italie) لأني اخترت المقام فيها نظراً لمزاياها الأخرى، ولكن بصفة خاصة لخلو بالي لما أكون فيها ؛ وهو ما يمكنني من تدوين هذا التاريخ، كلما سمحت لي قضايا المدينة بذلك[4]».

وكان ديون قد بدأ حياته كاتباً بتأليف كتاب الأحلام وعلامات التنبؤ باعتلاء سبتيم سفير العرش وتبشيره بمستقبل عظيم (حوالي 193)، وهو من بين كتبه التي ضاعت، إلا أن المؤلف يذكر بعض هذه الأحلام والأعاجيب[5]، ويشير إلى استحسان سيفير (Sévère) لهذا الكتاب بقوله: « كنت قد نشرت كتاباً عن الأحلام والرموز التي عقد عليها سيفير (Sévère) آمالا كباراً ليصل إلى حكم الإمبراطورية ؛ وبعد قراءته، أجابني سيفير (Sévère)، الذي كنت قد بعثت إليه الكتاب، بعبارات لطيفة[6] ».

---

[1]- تاريخ ديون، LXXX ، 4.
[2]- تاريخ ديون، LXXX ، 1.
[3]- تاريخ ديون، LXXIX ،7 .
[4]- تاريخ ديون، LXXVI، 2.
[5]- تاريخ ديون، LXXIV ، 3.
[6]- تاريخ ديون، LXXII، 23.

كما لم يصلنا كتاب آخر كان ديون قد خصصه للحروب الأهلية من سنة 193 إلى سنة 197، وهو كتاب خص به أيضا الإمبراطور المذكور.

ومنذ 207 إلى تاريخ اعتزاله الخدمة في جهاز الدولة، انكب على تأليف التاريخ الروماني الذي يبدأ بوصول إني (Enée) إلى إيطاليا (l'Italie)، وينتهي بالجزء العاشر الذي يتناول تاريخ دول الأباطرة الذين عاصرهم ديون، وهم: كومود (Commode)، وسفير(Sévère)، وكركلا (Caracalla)، ومكران (Macrin)، وإليجبال (Elagabal)، وألكسندر سفير (Alexandre Sévère) ؛ وآخر أحداث هذا التاريخ، هي تلك التي ترجع إلى سنة 229.

ويكتسي هذا الجزء العاشر[1] الذي نقلناه إلى لغة الضاد أهمية قصوى بالمقارنة مع الأجزاء الأخرى، لأن ديون كان شاهدا على أحداث عصره التي دونها في هذا الكتاب بصفته مؤرخا ورجل دولة، وأحد المقربين من بعض الأباطرة أو من بعض نسائهم المثقفات، كيوليا(Julia) زوج سفير(Sévère) وأم كركلا (Caracalla). ولقد أشار مؤرخنا إلى ذلك مرارا في هذا الجزء، كقوله بخصوص سرده للأحداث التي وقعت في عصر كومود (Commode): «وهذه الوقائع وتلك التي ستتلوها، لن أحكيها منذ الآن حسب روايات الآخرين، ولكني سأرويها حسب ملاحظاتي الشخصية[2]» ؛ أو تحديده للكيفية التي سمع بها الخبر ومشاهدته للأحداث: « ولقد سمعت هذا الخبر بنفسي ؛ وشاهدت ما يلي[3]: ...» ؛ «وكنت حاضراً خلال هذه الألعاب [ألعاب السيرك، قبل أعياد زحل(les Saturnales)]، نظراً للعطف الذي كنت أكنه للقنصل الذي كان صديقاً لي، وسمعت بتمام الوضوح كل ما كان يقال، الشيء الذي مكنني من كتابة رواية هذه الأحداث. هكذا جرت الأمور:[4] ... » ؛

« وأنا لا أقص هنا ما كتبه سيفير (Sévère)، ولكن ما جرى فعلاً[5] ». ويقول بخصوص بيزنطة (Byzance) بعد أن خربها الجيش الروماني في عهد سفير (Sévère) : « ولقد رأيت

---

[1]– *Histoire romaine* de Dion Cassius, traduite en français, avec des notes critiques, historiques, etc. et le texte en regard, par E. Gros ; ouvrage continué par V. Boissée ; Tome dixième, Paris, Librairie de F. Didot Frères, Fils et C[ie], Imprimeurs de l'Institut, 1870.

[2]– تاريخ ديون، LXXII ، 4.

[3]– تاريخ ديون، LXXII ، 7.

[4]– تاريخ ديون، LXXV ، 4.

[5]– تاريخ ديون، LXXV ، 7.

الأسوار محطمة وكأن قوماً آخرين، غير الرومان، استولوا عليها ؛ وكنت قد رأيتها أيضا قائمة، وسمعتها وهي تتكلم[1].»

كما حدثنا عن طريقة استقائه للأخبار، وعن أولئك الذين حدثوه بها « من أفراد عاديين، ومن رجال جديرين بالثقة». ثم هناك الأحداث التي دونها انطلاقا مما سماه بالأخبار الصحيحة التي استقاها شخصيا من الأماكن التي جرت فيها الأحداث، أو القريبة منها، الشيء الذي جعله لا يشك فيها[2].

وبكل موضوعية، يطلعنا ديون على أن تاريخه يشتمل على تفاصيل دوّنها "بكل الدقة التي كانت في استطاعته"، وتفاصيل أخرى (ابتداء من الكتاب الثمانين الذي يروي عهد الإمبراطور الأسكندر(Alexandre))، لم يكن بقدرته أن يرويها بدقة، بالنظر إلى قصر مدة مقامه في روما[3] ؛ « لهذا لم أتمكن من سرد الأحداث التالية بنفس الترتيب الذي رتبت به الأحداث السابقة[4]».

ويذكرنا ديون في هذا الجزء بأهمية التاريخ الذي يعظمه ويرى فيه عبرة للأجيال القادمة، وبالدقة التي تميز روايته للأحداث التي عاشها، والتي تميزه عن غيره : « ولا يظن أحد أنني برواية أشياء كهذه، سأدنس عظمة التاريخ. فلو كانت هذه الوقائع تافهة لما حكيتها، ولكن بما أنها أفعال ارتكبها الإمبراطور، وأمور رأيتها بنفسي وسمعتها تفصيلاً لأني كنت حاضراً وقت وقوعها وتكلمت خلالها، فمن واجبي والحال هذه ألا أكتم شيئاً وأن أنقل هذه الأمور حتى تطلع عليها الأجيال القادمة، وكأن الأمر يتعلق بأحداث جسام في غاية الأهمية. وفيما يخص بقية الأحداث التي وقعت حينئذ، سأكون أكثر دقة في روايتي هاته بالمقارنة مع روايتي السالفة، لأنني عشت أحداثها، ولأني لا أعرف من بين من قد تكون لهم القدرة على تدوين تاريخها بشكل مناسب، أحداً له اطلاع دقيق عليها كاطلاعي[5] ».

وكان ديون بالفعل دقيقا في روايته للأحداث التي عاشها كرجل دولة طوال عهود الأباطرة الذين ذكرناهم آنفا. ويبدأ بوصف جو الرعب والتقتيل والتنكيل الذي ميز عصر

---

[1]– تاريخ ديون، LXXIV ، 14.
[2]– تاريخ ديون، LXXIX ،7 .
[3]– تاريخ ديون، LXXX ، 1.
[4]– تاريخ ديون، LXXX ، 2.
[5]– تاريخ ديون، LXXII، 18.

كومود (Commode)، الذي كان في سلوكه نقيض أبيه. فلقد كان أبوه فاضلا وورعا ونبيلا ومتواضعا وعادلا، ومتجنبا كل الرذائل، وكان كل خلقه قائماً على الفضيلة، « وكانت له كل المزايا الأخرى، وأثبت من خلال ممارسته الحكم أنه أفضل كل الرجال الذين مارسوا سلطة ما على الإطلاق[1]» ؛ الشيء الذي جعل ديون ينظر إليه نظرة إعجاب وتقدير، ويعتبر أمر ابنه من مناكيد حظه، لأنه خيّب أمله تخييباً.

ولقد أجاد ديون تصوير الحالة النفسية المضطربة لكومود (Commode) الذي كان يكره إجهاد نفسه، وعاش معظم حياته غارقا في الملذات[2]، وأتى عدة أمور شنيعة وحيكت ضده عدة مؤامرات، وقتّل الكثير من المواطنين، رجالا ونساء[3]، «وكان بالنسبة للرومان أشد فتكاً من كل الأوبئة وأكثر شرّاً من كل سحر مؤذ[4]». ولقد عانى ديون كغيره من جو الترعيب الذي ميز الأوضاع التي عاشتها روما في هذه الفترة، والتي لم يكن خلالها أي أحد واثقاً من النجاة بنفسه، وكأنها مأساة كان بطلها الإمبراطور. ولما قُتل، لخص ديون الشعور العام السائد في روما بقوله: « فلقد تم التخلص من هذا الأمير، ولم يكن الأمير الآخر يُخشى بعد، وكنا في هذه الأثناء نستمتع بالحرية التي جعلتنا بفضل الأمان الذي كانت تمنحه، قادرين على الكلام بجراءة، لأننا لم نعد نقنع بالتخلص من الخوف[5]، ... ».

ويمدنا ديون بتفاصيل هامة عن حياته وحياة بعض رجالات الدولة الذين عاصروه وعمل إلى جانبهم في مجلس الشيوخ في عهد برتناكس (Pertinax). ولقد أثنى ديون على هذا الإمبراطور الذي كان في سيرته عكس كومود(Commode)، وأعجب به نظرا لخصاله التي جعلته « ... يتصرف معنا بلباقة تامة ؛ كما كان لطيفاً، ودائم الاستعداد للإصغاء إلى مطالبنا، ويجيبنا في رفق؛ وكان هذا التصرف يبدو له سديداً[6] ».

وتمكننا بعض فصول الجزء العاشر من تاريخ ديون من تتبعه بصفته خادما من خدام الدولة الرومانية. فنراه يشارك في صياغة وإصدار مراسيم مجلس الشيوخ بصفته

---

[1]– تاريخ ديون، LXXI، 34.
[2]– تاريخ ديون، LXXII،2 ؛ 10.
[3]– تاريخ ديون، LXXII، 4.
[4]– تاريخ ديون، LXXII، 15.
[5]– تاريخ ديون، LXXIII، 2.
[6]– تاريخ ديون، LXXIII، 3.

عضوا من أعضائه[1]، ونجده في مجلس المشيخة محاصرا مع باقي السيناتوسيين من طرف حرس أحد الطامعين في العرش الذين "أوقعوا الرعب في قلبه"، ويشارك مع أعضاء مجلس الشيوخ في اتخاذ القرارات الخطيرة، كإعدام يوليانوس (Julianus)، والمناداة بسيفير (Sévère) إمبراطوراً[2]... كما يطلعنا على بعض مراتب الشرف التي أنعم عليه بها برتناكس (Pertinax)، الذي عينه في منصب قاض مفوض، وعلى دفاعه عن المواطنين أمام المحاكم، لما كان يندد بجور يوليانوس[3] (Julianus)، وجلوسه بجانب الإمبراطور سيفير ليقضي بين الخصوم[4]، ومصاحبته لهذا الإمبراطور خلال سفره إلى بيثينيا، وطن ديون[5]، وتقلده في روما منصب قنصل في عهد سفير (Sévère) دائما[6]، وحضوره مراسيم زواج أنطونينس (Antonin)، نجل سيفير (Sévère) ببلوتيا (Plautilla) بنت بلاوتيانوس [7](Plautianus)، وعلى مصير أقوى الرجال في عصره: بلاوتيانوس [8](Plautianus). وصاحب ديون أنطونينس (Antonin) إلى مصر، وروى بدقة الخراب الذي ألحقه هذا الإمبراطور بالأسكندرية التي كاد أن يفني أهلها[9]. كما صاحبه إلى نيقوميديا (Nicomédie) حيث أدنى الإمبراطور مجلسه قبل أن يُقتل بقليل[10].

ويقع هذا المؤلف الضخم في ثمانين كتابا، لم يصل إلينا منها كاملا إلا تسعة عشر، من السادس والثلاثين إلى الرابع والخمسين، وهي الكتب التي تغطي الفترة الممتدة من سنة 68 إلى 10 ق. م.، علاوة على بعض النبذ من الكتب 55 إلى 60، وكذا نبذ من الكتابين 79 و80. وتُكمَّل الأجزاء الناقصة بملخص الراهب البيزنطي كزيفيلان (Xiphilin) الذي عاش في القرن الحادي عشر، بالنسبة للكتب 61 إلى 80 ؛ وبملخص الراهب البيزنطي زوناراس (Zonaras) الذي عاش في القرن الثاني عشر، بالنسبة للكتب الخمسة والثلاثين الأولى.

---

[1]– تاريخ ديون، LXXIII، 7؛ 14؛ LXXVI، 6.
[2]– تاريخ ديون، LXXIII، 17.
[3]– تاريخ ديون، LXXIII، 12.
[4]– تاريخ ديون، LXXV، 16.
[5]– تاريخ ديون، LXXV، 15.
[6]– تاريخ ديون، LXXVI، 16.
[7]– تاريخ ديون، LXXVI، 1.
[8]– تاريخ ديون، LXXVI، 4.
[9]– تاريخ ديون، LXXVII، 4.
[10]– تاريخ ديون، LXXIII، 8.

وكان موريلي (M.Morelli) قد عثر على بعض نبذ الكتابين الخامس والخمسين والسادس والخمسين في بسانو (Bassano) بإيطاليا (l'Italie) سنة 1798.

ويتميز تاريخ ديون على العموم بالدقة ؛ فغالبا ما أكدت النقائش والميداليات المعلومات التي أوردها فيه، إلا أنه مما يؤخذ عليه، انحيازه وحمله على بعض كبار الشخصيات الرومانية، وخاصة بومبي (Pompée)، وبروتوس (Brutus)، وشيشرون (Cicéron)، وسينيك (Sénèque).

ولقد تأثر ديون بالحركة السفسطائية في الأدب خلال القرن الثالث التي كانت بمثابة إحياء للحركة السفسطائية القديمة في القرن الخامس ق. م. التي كان قد تأثر بها ثوكيديدس (Thucydide) نفسه. وحرص مؤرخنا على محاكاة ثوكيديدس (Thucydide) في طريقة كتابته من حيث الأسلوب والإنشاء، لكنه يختلف عن المؤرخ اليوناني الشهير في أنه لا يخضع مثله كل شيء للعقل والمنطق، وأنه لا يتحرج عن سرد أخبار غير قابلة للتصديق[1].

فديون، كغيره من بعض معاصريه، يومن بالجن وبآلهة بيئته ووسطاء الوحي وأجوبتها كلما سُئلت، ويثق في فن العرافة وأقوال العرافين وتنبؤهم بالمستقبل[2]، والأشباح، واستحضار الأرواح ؛ ويروي أحلام الأباطرة، الطيبين منهم والطغاة، مستغلا روايتها ليطري بعضهم وينتقم من البعض الآخر. فهذا مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) "السامي الطبع" الذي « رأى في المنام أن له كتفين وذراعين عاجيين يمكنه استعمالهما كما تستعمل الأطراف العادية[3]». وهذا سفير(Sévère) « يرى في منامه أنه يرضع ذئبة كما فعل رومولس (Romulus) من قبله » ؛ « وفي مرة أخرى، خلال نومه، تفجر الماء من يده وكأنها عين[4]... ». ويورد رؤى بعض الطغاة، كأنطنينس (Antonin) الذي رأى أباه في المنام وهو يمسك بسيف ويخاطبه قائلا: « كما قتلت أخاك سأقتلك[5]». كما أورد في تاريخه أمورا غريبة يتعجب منها المرء، نذكر منها على سبيل المثال ذلك النسر الذي اندفع من نار المحرقة خلال جنازة برتناكس (Pertinax) كعلامة على التحاقه بجماعة الخالدين[6]. والنار العظيمة المتقدة في

---

[1]– عبد اللطيف أحمد علي، *مصادر التاريخ الروماني*، بيروت، دار النهضة العربية، 1970، ص. 68.

[2]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 7.

[3]– تاريخ ديون، LXXI ، 36.

[4]– تاريخ ديون، LXXIV ، 3.

[5]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 7.

[6]– تاريخ ديون، LXXIV ، 5.

السماء خلال الليل، والمذنب الذي يشاهد في السماء لعدة أيام، والمطر الفضي اللون الذي تهاطل في ميدان أغسطس (le Forum d'Auguste)، بينما كانت السماء صافية[1]. والبغلة التي ولدت في روما بغلاً، والخنزيرة التي وضعت خنوصاً بأربع آذان ولسانين وأربع قوائم ؛ وتدفق الدم من قناة ماء[2]... ناهيك عن الأحلام وتأويلها باعتبارها فألاً حسناً بالنسبة للبعض[3]، ونذير شؤم بالنسبة للبعض الآخر[4].

ويحكي ديون في الكتاب الثاني والسبعين من مؤلفه ظروف تدوينه لهذا التاريخ بعد الحروب والفتن التي أعقبت موت كومود (Commode). وكيف أوحى له جنيه بكتابته، والتشجيع الذي لقيه خلال مشروعه هذا من ربة الحظ (la Fortune) التي حفزته على الاستمرار في عمله، والمدة التي استغرقتها عملية جمع الأخبار (201– 211) واستيعابها (211–222) لإنجاز هذا العمل الضخم الذي يُرجح أنه أنهى كتابته في نيقية (Nicée)... : « ... وبعد توصلي بالرسالة [من سيفير (Sévère)] في المساء، نمت، وخلال منامي، أوحى إلي جنّيي بكتابة التاريخ. هكذا بدأت هذا المشروع. وبما أن هذا المؤلف نال إعجاب الجميع، وخاصة سيفير (Sévère) بنفسه، شعرت آنذاك بالرغبة في كتابة تاريخ لكل الأحداث الأخرى التي تهم الرومان. لذلك صممت على عدم ترك هذا المؤلف الأول وحيداً، ودمجه في هذا التاريخ، حتى أدون في كتاب واحد كل ما حدث من البداية إلى الزمن الذي تريده ربة الحظ (la Fortune). فلقد شجعتني هذه الإلهة على كتابة التاريخ لما كنت أتحفظ وأخشى أن أقوم بذلك، وحفزتني على هذا الأمر في منامي لما كانت الصعوبة تغريني بالتخلي عن مشروعي هذا، ومنحتني الأمل الجميل في أن عملي هذا سيدوم، وأن الزمن لن يشوهه في شيء. (...) وقضيت عشر سنوات في جمع أخبار كل الأحداث التي وقعت منذ بداية تاريخ الرومان إلى موت سيفير (Sévère)، واثنتي عشرة سنة أخرى في استيعابها ؛ أما بقية هذا التاريخ، فسأكتبها كلما وقعت أحداث جديدة [5]».

---

[1]– تاريخ ديون، LXXV ، 4.
[2]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 25.
[3]– تاريخ ديون، LXXIV ، 3.
[4]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 7.
[5]– تاريخ ديون، LXXII ، 23.

ثم يروي بعد ذلك في الكتاب الثامن والسبعين كيف كان سيفير (Sévère) قد نبهه إلى أنه سيدون الأحداث التي ستقع في عهد أنطونينس (Antonin)، وخاطبه قائلا: « اقترب يا ديون (Dion) حتى تعرف بالضبط كل ما يقال ويُفعل هنا، لتكتبه»[1].

ولقد أطلعنا ديون في النبذة الأولى من نبذ الكتب 1–36 على الطريقة التي اشتغل بها والمصادر التي اطلع عليها قائلا: « لقد قرأت تقريبا كل ما كتبه مختلف المؤرخين عن الرومان ؛ إلا أنني لم أدمج كل ما اطلعت عليه في مؤلفي، وكان علي أن أختار وأقتصر على بعض ما قرأته[2] ».

وتاريخ ديون يكشف عن تضلع الرجل من الأدب والفلسفة الإغريقية، كسائر مثقفي عصره، فنجده يستشهد مرارا في الجزء العاشر بأبيات من الإلياذة[3]، أو من المسرح الإغريقي[4] ...

ونراه يستخلص العبر من الأحداث التي وقعت في عصره لبعض رجالات الدولة أو الأباطرة، نذكر من بينهم على سبيل المثال برتناكس (Pertinax) الذي قتله الجند لما عزم على إصلاح ما فسد من أمور الدولة، لأنه في رأي ديون « لم يفهم أنه من المستحيل تصحيح التجاوزات العديدة مرة واحدة دون التعرض للأخطار، وأن تأسيس الدولة يتطلب الوقت والحذر أكثر من أي شيء آخر[5]»...

وأفضل الطبعات التي تم تحقيقها من تاريخ ديون في فرنسا، هي تلك التي حققها إتيان (R. Etienne)، والصادرة في باريز سنة 1548 ؛ ونقله إلى الفرنسية ديروزيي (C. d'Eroziers) الذي صدرت ترجمته في باريز سنة 1542. وشرع كرو (E. Gros) في فرنسا منذ سنة 1845 في تحقيق جديد لهذا المؤلف، ونقله إلى الفرنسية ؛ غير أن هذا التحقيق توقف سنة 1856، حيث توفي كرو (E. Gros)، ثم استأنفه بواسي (Boissée) ما بين 1863 و1866، وهو التحقيق الذي اعتمدناه في هذه الترجمة[6].

---

[1]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 10.

2- Histoire romaine de Dion Cassius, traduite en français, avec des notes critiques, historiques, etc. et le texte en regard, par E. Gros ; Tome premier, Paris, Librairie de F. Didot Frères, Imprimeurs de l'Institut, 1845, Fragment I, p. 3.

[3]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 8؛ 30؛ LXXX، 5.

[4]– تاريخ ديون، LXXVIII ، 8.

[5]– تاريخ ديون، LXXIII ، 10.

[6]– راجع بخصوص حياة ديون كسيوس ومؤلفاته:

SIRINELLI (Jean) , *Les enfants d'Alexandre. La littérature et la pensée grecques* (334 av. J.-Ch. - 519 ap. J.-Ch.), Paris, Fayard, 1993, pp. 372-375 ; *Encyclopædia Universalis*, Thesaurus. Index ; A – Friedländer, 1985, p. 868.

ثم صدر تحقيق وترجمة فرنسية جديدة للكتب 38، و39، و40، سنة 2011؛ وللكتابين: 40 و 41 سنة 1996؛ وللكتابين: 41 و 42 سنة 2002 ؛ وللكتابين: 48 و49 سنة 2002؛ وللكتابين: 50 و 51 سنة 2002؛ وللكتب: 57 إلى 59 سنة 1995:

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 38, 39 et 40 ; Commentaires de Marianne Coudry, Guy Lachenaud; Edité et traduit par Guy Lachenaud, Paris, Les Belles Lettres, 2011.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 40 et 41; César et Pompée, Introduction, traduction et notes par M. Rosellini, Paris, Les Belles Lettres, 1996, Collection La roue à livres.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 41 et 42 ; Texte établi par M.- L. Freyburger- Galland, traduit et annoté par F. Hinard et P. Cordier, Paris, Les Belles Lettres, 2002.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 48 et 49 ; Texte établi, traduit et annoté par M.- L. Freyburger et J.- M. Roddaz, Paris, Les Belles Lettres, 2002.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 50 et 51 ; Texte établi, traduit et annoté par M.- L. Freyburger et J.- M. Roddaz, Paris, Les Belles Lettres, 2002.

Dion Cassius, *Histoire romaine*, Livres 57 à 59 ; Tibère et Caligula, Traduit par Janick Auberger, Paris, Les Belles Lettres, 1995, Collection La roue à livres.

تاريخ ديون، الكتاب الواحد والسبعون

1- بمجرد تسلمه السلطة، عقب موت أبيه بالتبني أنطونينس (Antonin) [الأمين] ، أشرك مرقس- أنطونينس [مرقس- أوريليوس] (Marc-Antonin) لوكيوس فيروس (Lucius Vérus) ابن لوكيوس كومودس (Lucius Commode) في الملك[1]. وكان أنطونينس (Antonin) واهن العزيمة، ويخص كل وقته تقريباً للدرس (ويقال إنه حتى لما أصبح إمبراطوراً، لم يكن يخجل عندما يتجه إلى أساتذته، وإنه كان يلازم الفيلسوف سيكستوس البيوتي (Sextus de Béotie)، وأنه لم يكن يجد في نفسه حرجاً في قصد الخطيب هيرموجينوس (Hermogène) والإنصات لدروسه. وفضلا عن ذلك، فقد كان من أنصار فرقة الرواقية خاصة)[2]. وعلى النقيض من ذلك، كان لوكيوس (Lucius) كله حيوية وفي عنفوان شبابه، وكانت له ميول للحرب. ولذلك بعثه مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) لدعم الجيش في حربه ضد الفارثيين[3] (les Parthes) بعد أن زوجه ابنته لوكيليا (Lucilla).

---

[1]- راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Verus, III, *in* : *Écrivains de l'histoire auguste*, Tome troisième, trad. nouvelle par M. Valton, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1844, p. 97 : « Après la mort d'Antonin le Pieux, Marc Aurèle accumula les honneurs sur Verus, jusqu'à lui faire part de la puissance impériale ; il l'associa à sa fortune, bien que le sénat n'eût déféré l'empire qu'à lui seul. »; *Abrégé de l'histoire romaine* par Eutrope, depuis la fondation de Rome jusqu'à la mort de l'Empereur Jovien ; Traduction nouvelle… Par M. l'Abée Lezeau, Paris, 1717, Livre VIII, p. 361.

ليس هذه المرة الأولى التي يشرك فيها إمبراطور روماني شخصا آخر في الحكم، فلقد سبقته في ذلك الأزواج الأغسطسية (les deux Augustes) المكونة من فيسباسيان (Vespasien) وتيتوس (Titus)، ونيرفا (Nerva) وتراجان (Trajan)، وأدريان (Adrien) وأنطونينس التقي (Antonin le Pieux)، وهذا الأخير ومرقس أنطونينس (Marc-Antonin).

2- راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, III, *in* : *Écrivains de l'histoire auguste*, *op. cit.*, pp. 39- 41 : « Telle était sa passion pour la philosophie, qu'élevé déjà à la dignité impériale, il allait pourtant prendre leçon chez Apollonius. Il fut aussi disciple de Sextus de Chéronée, petit-fils de Plutarque; de Junius Rusticus, de Claudius Maximus, et de Cinna Catullus, stoïciens » ; Voir aussi : Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 67 ; *Abrégé de l'histoire romaine* par Eutrope, op cit., p. 363.

[3]- راجع:

Abrégé de l'histoire romaine par Eutrope, op cit.*, p. 361 ; Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, IX, p. 29 ; XX, p. 75 ; Vie de Verus, VI-VII, pp. 103-105, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.

2– وبالفعل، كان فولوبايوس (Vologèse) قد استأنف الحرب، فبعد أن طوق فرقة رومانية بكاملها من جميع الجهات، وهي الحامية التي كانت تقيم في إليجيا (Elégia)، المدينة المحصنة في أرمينيا (Arménie)، والتي كان قائد لوائها سيفيريانوس (Sévérianus)، قتّلها وقادتها برماحه ؛ وعلاوة على ذلك، لم يكف فولوبايوس (Vologèse) عن مهاجمة مدن سوريا وملئها ذعراً[1]. ولما وصل لوكيوس (Lucius) إلى أنطاكية (Antioche)، جمع عدداً غفيراً من الجنود، وكان تحت إمرته أحسن القادة، استقر في هذه المدينة لتنظيم الجيش وجمع الموارد اللازمة للحرب، ثم جعل هذه القوات تحت قيادة كاسيوس (Cassius). ولقد صمد كاسيوس (Cassius) ببسالة أمام هجوم فولوبايوس (Vologèse)، وتمكن، بعد فرار حلفاء هذا الأمير، من تعقبه خلال تراجع جيشه، وتقدم حتى سلوقية (Séleucie)، وقطسيفون (Ctésiphon)، وخرب سلوقية (Séleucie) وجعلها طعمة للنيران، ودك قصر فولوبايوس (Vologèse) في قطسيفون (Ctésiphon). غير أنه في طريق رجوعه، فقد الكثير من جنوده الذين هلكوا بسبب الجوع والمرض ؛ ولكنه تمكن من الرجوع إلى سوريا مع بقية قواته. وزها الكِبْر لوكيوس (Lucius) بعد هذا الانتصار، غير أن سعادته بنشوة انتصاره لم تدم طويلا، لأنه، حسب ما يقال، تآمر بعد ذلك على حَميه مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، وهلك مسموماً قبل أن يتأتى له الأمر.

3– وولى مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، كاسيوس (Cassius) حكم آسيا بأسرها. أما هو، فقد قاد الحرب شخصياً ضد البابار الذين يسكنون على ضفاف الدانوب (l'Ister)، وهم الإيازيج (les Iazyges) والماركومانيون (les Marcomans) ؛ تارة يحارب هؤلاء وتارة أولئك لمدة لا يستهان بها، أو على الأصح طول حياته، وقد اختار بنونيا (la Pannonie) قاعدة لعملياته. وكان عدد كبير من السلتيين (les Celtes) الذين يسكنون فيما وراء الراين (le Rhin) يشنون غاراتهم حتى إيطاليا، مزعجين الرومان إزعاجاً كبيراً. وفي سيره للقياهم، وضع مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) قواته تحت إمرة قائديه بومبيانوس[2]

---

[1]– راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, VIII, p. 51; Vie de Verus, VI, p. 103, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– يتعلق الأمر بكلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) الذي زوجه مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) ابنته لوكيا (Lucilla) التي أصبحت أرملة بعد موت لوكيوس فيروس (Lucius Vérus). راجع:

(Pompéianus) وبيرتيناكس (Pertinax). وكان بيرتيناكس (Pertinax) الذي أصبح فيما بعد إمبراطوراً، قد ذاع صيته بفضل أعماله البطولية في الحرب. ولقد تم العثور بين الموتى في صفوف البابار، على جثث نسوة مسلحات. وبالرغم من أن القتال كان شديداً، والنصر مبيناً، فإن الإمبراطور رفض أن يعطي للجند المال الذي كانوا يطالبون به، واكتفى بقوله لهم: « كل ما قد يتقاضونه زيادة على راتبهم المعتاد، سيكون على حساب ذويهم وأقاربهم، وأنه فيما يخص الإمبراطورية، فإن الأمر لله وحده». ولقد اتسمت قيادته للجند بالحكمة والحزم، وبالرغم من عدد الحروب الهامة التي خاضها، فإنه لم يطر الجند قط، ولم يتصرف تحت تأثير الخوف، ولم يخل سلوكه باللياقة. ولما انتصر الماركومانيون (les Marcomans) في إحدى المعارك وقتلوا الوالي ماكرينوس فانديكس (Macrinus Vindex)، فإنه أقام ثلاثة تماثيل تخليداً لذكراه، ثم لما ظفر عليهم، لقب بالجرماني (Germanicus)، لأن اسم الجرمان (les Germains) كان يطلق على الشعوب التي كانت تسكن البلاد العالية.

4- وفي مصر ثار أولئك الذين يسمون بالبقارين (Bouviers)، والتف باقي المصريين حول المتمردين بزعامة كاهن يسمى إيزيدوروس (Isidoros). وبعد أن خدعوا قائد المائة الروماني وقد تقدموا نحوه متسترين بزي النساء، وكأنهم زوجات البقارين اللائي جئن لتسليمه الذهب قصد افتداء بعولهن، قتلوه أثناء توجهه نحوهم، ثم قتلوا جندياً كان يرافقه وأدوا القسم على أحشائه ثم أكلوها. أما فيما يخص إيزيدوروس (Isidoros) هذا، فلقد كان أشجع رجال عصره. وبعد انتصارهم في المعركة على الرومان الذين كانوا في مصر، احتلوا الإسكندرية في غياب كاسيوس (Cassius) الذي أرسل من سوريا لقتالهم. ولقد التجأ كاسيوس (Cassius) إلى الخدعة حتى ينقضوا عهدهم وتتفرق صفوفهم، لأنه لم يقدم، أمام حالة يأسهم وعددهم، على محاربتهم وهم موحدون ؛ وتمكن كاسيوس (Cassius) في النهاية من قمع التمرد.

5- وخلال حرب مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) ضد الجرمان (لأني لا أود إغفال التفاصيل التي تستحق الذكر)، طرح ذات يوم سؤالاً على سجين شاب، فأجابه قائلا: « إن البرد يحول بيني وبين إجابتك، فإن كنت راغباً في شيء ما، مر بمنحي لباساً، إن كان

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XX, p. 75, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

لديك». وسمع جندي في إحدى الليالي وهو يحرس ليلاً على ضفة الدانوب (l'Ister)، صيحات جنود سجناء تتعالى من الضفة الأخرى، فما كان له إلا أن ارتمى بزيه في النهر وقطعه سباحة، ثم رجع بعد فكهم من الأسر. وكان نائب الولاية في عهد مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) هو روفوس بساييوس (Rufus Bassæus) الذي كان رجلا حسن الأخلاق، لكن أعوزته الثقافة نظراً لأصله الريفي، وللفقر الذي عاش فيه في بداية حياته. وذات يوم، فاجأه أحد وهو يقضب كرمة تتعرّش شجرة، وبما أن روفوس (Rufus) لم ينزل على الفور بعد أمره بذلك، خاطبه الرجل قائلا : « هيا سيادة المراقب العام، انزل». فلقد أطلق الرجل متهكماً على بساييوس (Bassæus) لقب [شرف] لأنه بالرغم من أصله الوضيع، كان ممتلئاً عجباً ؛ غير أن الحظ أسعفه وأصبح بعد ذلك نائب الولاية فعلاً.

6– أما فيما يخص الإمبراطور، فإنه كان، كلما وضعت الحرب أوزارها، يحكم بالعدل ويسهر على ضبط الوقت المخصص لخطباء هيأة الدفاع، ويحقق في القضايا تحقيقاً طويلاً حتى يقضي بين الخصوم بالعدل. وكان يخصص غالباً أحد عشر، واثني عشر يوماً لنفس القضية قبل أن ينطق بالحكم، وأحياناً كان يبقى على كرسي محكمته حتى في الليل وهو يحقق في القضايا المرفوعة إليه، لأنه كان يحب العمل. وكان يقوم بكل واجبات السلطة ؛ ولم يقصّر أبداً في كلامه أو كتابته أو عمله، بل إنه كان أحياناً، عكس ذلك، يخصص أياماً بكاملها للقضايا الأكثر بساطة لاقتناعه بأن الإمبراطور لا ينبغي له أن يتصرف بتهور، وأن أقل تهاون من طرفه قد يسئ إلى سائر أعماله. لكنه كان مسترخياً، قليل الهمة إلى درجة أنه في بداية عهده لم يكن يقوى على تحمل البرد، وأنه قبل أن يخطب في الجند وقد تجمعوا تنفيذاً لأمره، كان ينسحب برهة من الزمن، ويتناول، دائما خلال الليل، بعض الأكل. ولم يكن أبداً خلال النهار يأكل إلا الدواء المسمى بالترياق. وكان يتناول هذا الدواء ليس من باب الخوف، بل لوهن معدته وصدره ؛ فالترياق، حسب ما يقال، كان يكسبه المناعة من الأمراض الأخرى ويخفف من وهنه.

7– انتصر الرومان على الإيازيج (Iazyges) براً، وبعد ذلك فوق النهر [المتجمد]. ولا أزعم بقولي هذا أن الأمر يتعلق بمعركة نهرية، بل أريد أن أقول إن الرومان في تعقبهم لأعدائهم وهم يفرون فوق الدانوب (l'Ister) المتجمد، كانوا يقاتلون وكأنهم على اليابسة. ولما تنبه الإيازيج (Iazyges) بأنهم كانوا ملاحقين، صمدوا لهجوم الرومان ظناً منهم أنهم سيتغلبون بسهولة على جنود غير متعودين على الجليد، وانقضوا عليهم

بخيولهم مستهدفين المقدمة والجناحين، لأن خيلهم كانت متعودة على العدو بسهولة على هذا الجليد. وأمام هذا الوضع، لم يندعر الرومان، بل احتشدوا وجابهوا العدو في وقت واحد، ملقين في معظمهم تروسهم على الأرض، ثم وضعوا عليها إحدى أقدامهم حتى لا يتزلجوا على الجليد، وثبتوا في وجه البابار ؛ ثم أمسك بعضهم بشكائم الخيل، والبعض الآخر بالتروس والرماح، وجذبوا الأعداء نحوهم للقتال جسماً إلى جسم، وصرعوا الرجال والخيل بقوة، فسقطوا صرعى يتزلجون على سطح النهر المتجمد. وكان الرومان يتزلجون بدورهم، غير أنهم أثناء سقوطهم على أظهرهم، كان كل واحد منهم يجذب خصمه ليسقطه على الأرض، ثم يمسك به من قدميه ويقلبه على الأرض كما يحدث في المصارعة، فيكون الروماني والحال هذه فوقه. أما عندما كان الرومان يسقطون على أوجههم، فإنهم كانوا يمسكون بأفواههم خصومهم الذين سقطوا على الأرض قبلهم. ولم يقو البابار على المقاومة لأنهم لم يكونوا متعودين على هذا النوع من القتال، ثم إنهم كانوا مسلحين بسلاح خفيف ؛ ولم يتمكن من الفرار – من بين عددهم الغفير – إلا القليل.

8– أخضع مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) الماركومانيين[1](les Marcomans) والإيازيج (les Iazyges) بعد خوضه عدة معارك هامة وتعرضه للأخطار. وشن حرباً عظمى على شعب يسمى الكواديون (les Quades)، وكان الحظ حليفه حين أحرز النصر، أو بالأصح حين مكنه الإله من النصر، خلافاً لما كان يتوقع. فبالفعل، وعلى غير انتظار، كانت العناية الإلهية وراء نجاة الرومان من الخطر الذي زجوا بأنفسهم فيه خلال المعركة. فلقد استغل الكواديون (les Quades) موقعهم لتطويق الرومان الذين دافعوا عن أنفسهم ببسالة، مستعملين تروسهم. وتوقف البابار عن القتال آملين أن يستسلم العدو دون مقاومة بسبب الحر والعطش، ثم استولوا على كل الأراضي المحيطة بساحة المعركة وحصنوها بسد المنافذ، وحالوا بذلك بين الرومان وبين المناهل أنّى كانت، لأنهم كانوا أكثر عدداً. وبينما كان الرومان في الرمق الأخير بسبب التعب والجراح والشمس والعطش، لا قدرة لهم على القتال، عاجزين عن التراجع، واقفين في صفوفهم، كل في مكانه وقد التهمهم الحرور ؛ فجأة، غامت السماء ثم أمطرت بغزارة، ولم تكن لتفعل ذلك لولا لطف إلهي ؛ لأنه يقال إن ساحراً مصرياً يدعى أرنوفيس (Arnuphis) كان بصحبة مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، استغاث

[1]- Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XVII, pp. 67- 69 ; XXI, pp. 75- 77, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

بعدة آلهة، وخاصة ميركوريوس السماوي[1] (Mercure Aérien)، وتلا العزائم، فتهاطلت الأمطار.

9- هذا ما يرويه ديون (Dion) بخصوص هذا الموضوع، ولكن يبدو أن كلامه هذا زعم زعمه عن قصد أو غير قصد ؛ وأعتقد بالأحرى أنه فعل ذلك متعمداً. فبالفعل، كيف يمكن أن يكون الأمر عكس ذلك ؟ فهو لم يكن يجهل وجود سرية – ذكرها بنفسه في قائمة السرايا الأخرى – تسمى الملتهبة (la Fulminante)، وهو الاسم الذي لم يعط لها لسبب آخر – وفعلاً لم يذكر أي سبب لهذه التسمية – غير ذلك المرتبط بما وقع في هذه الحرب. فبفضل هذه السرية وليس بفضل الساحر أرنوفيس (Arnuphis)، نجا الجيش [الروماني] وانكسر جيش البابار ؛ وبالفعل، فالتاريخ لا يروي أن مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) كان يستطيب مخالطة السحرة ويعتقد في عزائمهم. وفيما يلي ما أريد قوله. لقد كانت لمرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) سرية (والرومان يسمون السرية فرقة) مكونة من جنود أتوا من ميليطينيا (la Mélitène)، وكلهم كانوا يدينون بالمسيحية. وخلال هذه المعركة، قدم رئيس الأركان على مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin)- الذي كان في حيرة من أمره نظراً للظروف التي كان يعيشها، كما كان خائفاً على مصير الجيش بأسره – وأخبره بأن أولئك الذين يسمون بالمسيحيين، تجاب كل دعواتهم إذا دعوا، وأنه توجد بين قوات الجيش سرية بكاملها مكونة من جنود يدينون بهذه الديانة. فسر مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بهذا الخبر، وطلب منهم أن يدعوا ربهم، فأجاب الرب دعوتهم على الفور، وأرسل الصواعق على الأعداء ولطف بالرومان بإمطارهم. وانتشى الإمبراطور بهذا النصر أيّما انتشاء وكرم المسيحيين بمنشور ولقب هذه الفرقة بالملتهبة (la Fulminante). ويزعم أن مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) خلف رسالة في هذا الموضوع[2].

---

[1]- لا علاقة في الميثولوجيا الإغريقية واللاتينية للإله ميركوريوس بالمطر. فكإله روماني، كان ميركوريوس حامي التجار؛ إذ تعني كلمة (*merx*) في اللغة اللاتينية "بضاعة". ويبدو أن ديون كاسيوس يعتمد في ذكر هذا الحدث على خبر مصري الأصل. ولقد ورد اسم هذا الساحر في مصادر أخرى على شكل يوليانوس (Julianus). راجع مدلول اسمي (Arnuphis) و(Julianus) في معجم (Suidas).

[2]- ذكر ترتوليانس (Tertullianus) (نحو 155- 222)، وهو من كبار الكتبة المحامين عن المسيحية ضد الوثنية، هذه الرسالة التي يشهد "فيها هذا الإمبراطور الحكيم، أن العطش الشديد الذي كان يعاني منه جيش جرمانيا، سكّنه المطر الذي جادت به السماء استجابة لصلوات الجنود المسيحيين". راجع:

L'Apologétique de Tertullien, V, 6 ; *Apologie du christianisme* écrite en l'an 197 après J.-C, Traduction littérale par J. P. Waltzing, Deuxième édition revue et corrigée, Paris, Librairie Bloud et Gay, 1914.

ويعرف الوثنيون جيداً أن هذه السرية تسمى الملتهبة (la Fulminante)، ويؤكدون ذلك بأنفسهم، غير أنهم يكتمون المناسبة التي لقبت خلالها السرية باللقب المذكور.

10- ويضيف ديون قائلا إنه لما بدأ المطر في النزول، رفع الكل أنظاره نحو السماء وتلقى الماء بفمه، وبعد ذلك تلقى البعض ماء المطر بتروسه، والبعض الآخر تلقاه بخوذه، وشربوا شرباً روياً، ثم أرووا خيلهم ؛ وحتى لما أغار عليهم البابار، كانوا يشربون ويحاربون في نفس المكان ؛ وبما أن الكثير منهم كان جريحاً، فإن هؤلاء الجرحى كانوا يشربون الماء ممزوجاً بالدم الذي كان يتدفق في خوذهم. وحيث أن معظمهم كان منهمكاً في الشرب، فإن مباغتة العدو لهم كانت وشيكة القضاء عليهم، لولا سقوط البرد بقوة على العدو وإصابته بعدة صواعق. وكان بوسع المرء أن يرى الماء والنار يتدفقان سوياً من أعلى السماء، فالبعض كان يرتوي من الماء ويتبرد به، والبعض الآخر كان يحترق ويلقى حتفه. ولم تكن النار تصيب الرومان، وحتى لما كانت تمسهم ألسنتها، كانت تنطفئ على الفور ؛ أما المطر، فعوض أن يفرج عن البابار، فإنه كان، شأنه شأن الزيت، يزيد النار التي كانت تلتهمهم اتقاداً، حتى أنهم كانوا يتهافتون على الماء وهم مبللون تبليلاً. وكان بعضهم يجرح نفسه بنفسه عسى أن يطفئ النار بدمه، والبعض الآخر يهرع إلى الرومان، وكأن لا سبيل إلى الماء إلا بفضلهم. ولقد أشفق مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) عليهم، ونودي به إمبراطوراً (*imperator*) للمرة السابعة. وبالرغم من أنه لم يكن من عادته قبول لقب الشرف هذا قبل أن يمنحه إياه السيناتو، فإنه قبله هذه المرة وكأن إلهاً كرمه بهذا اللقب، ثم أخبر السيناتو بذلك. أما فوسطينا (Faustine)، فإنها لقبت بأم المعسكر[1].

11- وظل مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) في بنونيا (la Pannonie) لاستقبال سفارات البابار[2]. فلقد أتى للقياه حينئذ العديد منهم، بعضهم كان تحت إمرة بطاريوس (Battarios)، وهو طفل في الثانية عشر من عمره؛ ووعدوه بتحالفهم معه، ثم مُنحوا مالا ودحروا طربوس (Tarbos)، الأمير الجار الذي كان قد دخل إلى داسيا (la Dacie) وطالب بالأموال مهدداً بالحرب إن لم يمنحوها إياه ؛ والبعض الآخر كالكواديين (les Quades)

[1]- Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 85: « […] Elle [son épouse Faustina] l'avait suivi en campagne, aussi l'avait-il appelée la Mère des camps. ».

[2]- بعد الانتصار على الكواديين (les Quades).

جنحوا إلى السلم ووعدوا بها شريطة أن يفترقوا عن الماركومانيين (les Marcomans) ؛ كما تمت مسالمتهم لأنهم أعطوا الكثير من الخيل والثيران، ووعدوا بتسليم كل [الخونة] الفارين إليهم وكذا الأسرى، على أن يسلموا في البداية ثلاثة عشر ألفاً، والبقية فيما بعد. وبالرغم من ذلك، لم يسمح لهم بارتياد الأسواق المشتركة خوفاً من مخالطتهم للماركومانيين(les Marcomans) والإيازيج (les Iazyges) ؛ وقد كان الكواديون (les Quades) قد أقسموا، لما سالموا الرومان، على عدم استقبال الماركومانيين (les Marcomans) والإيازيج (les Iazyges)، وعلى منعهم من المرور بأراضيهم ؛ كما منع الكواديون (les Quades) من ارتياد الأسواق المشتركة حتى لا يتجسسوا على الرومان، وحتى لا يتزودوا في هذه الأسواق بالأشياء الضرورية لهم[1]. هذه هي الشعوب التي وفدت على مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) ؛ ولقد بعثت إليه عدة شعوب أخرى سفراء لإعلان خضوعها للإمبراطور، ومثل بعض هؤلاء السفراء الأمم، والبعض الآخر الأقاليم. وتم بعث العديد من هذه الشعوب إلى أماكن أخرى للخدمة في الجيش ؛ وفعل الشيء نفسه بالأسرى والجنود الفارين إلى العدو الذين كانت لهم القدرة على التجنيد، وحصلوا على أراضي في داسيا (la Dacie) وبنونيا (la Pannonie) وميسيا (la Mysie) وجرمانيا (la Germanie)، وحتى في إيطاليا. غير أن بعضهم ممن كان قد استقر في رافينا (Ravenne) تمردوا وتمادوا في عصيانهم إلى أن اجترؤوا على احتلال المدينة. وهو ما دفع الإمبراطور إلى الإحجام عن استقدام أي بربري إلى إيطاليا، وبعث إلى المستعمرات الأخرى الباربار الذين كانوا قد أتوا فيما قبل للاستقرار في إيطاليا[2].

12- جاء الأسطنجيون (les Astinges) بقيادة راووس (Rhaos) ورابطوس (Rhaptos) لسكنى داسيا (la Dacie) آملين أن ينالوا الأموال والأراضي ثمناً لتحالفهم ؛ وبما أنهم لم يحصلوا على أي شيء، فإنهم تركوا نساءهم وأولادهم وديعة عند كليمنس[3] (Clémens) بهدف التوجه لغزو أراضي الكوستبوسيين[4] (les Costuboces)، وهو ما لم يمنعهم، بعد

---

[1]- كان تخصيص سوق دون غيرها من الأسواق لمجموعة سكانية ما، رمزا من رموز السيطرة الرومانية.

[2]- تحدث كبيطولينوس(Capitolinus) عن انتفاضات كل الشعوب الواقعة بين حدود إليريا (l'Illyrie) وغاليا (la Gaule)، وكذا عن خضوع الماركومانيين (les Marcomans) واستقدام مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) لعدد كبير منهم إلى إيطاليا؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXII, pp. 77- 79; XXIV, p. 81, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- كان كليمنس (Clémens) هذا ربما حاكما لاقليم داسيا (la Dacie).

[4]- ذكر كبيطولينوس (Capitolinus) هذا الشعب من بين أعداء الشعب الروماني؛ راجع:

هزمهم لهذا الشعب، من العيث في داسيا (la Dacie) فساداً. غير أن الدنكريجيين (les Dancriges)، خوفاً من أن يكون كليمنس (Clémens) قد رُوِّع، وسمح للأسطنجيين (les Astinges)بالدخول إلى الأراضي التي كانوا يسكنونها، هاجموهم على حين غرة وانتصروا عليهم نصراً مبيناً، حتى أن الأسطنجيين (les Astinges) لم يعودوا لمحاربة الرومان، وطلبوا ملحين من مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بأن يمدهم بالأموال والأراضي، على أن يؤذوا الشعوب التي كانت حينئذ تحاربه. ولقد أوفى الأسطنجيون (les Astinges) ببعض وعودهم. أما الكوتينيون (les Cotiniens) فكانوا قد وعدوا وعوداً شبيهة بوعود الأسطنجيين (les Astinges)، غير أنهم بعد أن اختاروا رئيسهم في شخص طروطينيوس باطيرنوس (Tarruténius Paternus)، كاتب الرسائل اللاتينية للإمبراطور، خدعوه متظاهرين وكأنهم عازمون على مساندته في هجومه على الماركومانيين (les Marcomans)، لكنهم عاملوه بعنف شديد وجرّحوه ثم قتلوه بعد ذلك.

13- وبعث الإيازيج (les Iazyges) بدورهم سفراء إلى مرقس - أنطونينس (Marc-Antonin) ليعربوا له عن جنوحهم للسلم، غير أنهم رجعوا خاويي الوفاض، لأن الأمير المذكور كان يعرف أنه لا يمكنه أن يثق بهذا الشعب، ناهيك عن أن الكوادیين (les Quades) كانوا قد خدعوه ؛ فكان عازما والحال هذه على الانتقام. وبالفعل، لم يكتف الكوادیون (les Quades) بغوث الإيازيج (les Iazyges) في هذه الحرب، بل إنهم كانوا قبل ذلك قد رحبوا بالماركومانيين (les Marcomans) وهم ما زالوا مسلحين ؛ هؤلاء الماركومانيون (les Marcomans) الذين كلما تم دحرهم، كانوا يحتمون في أراضي الكوادیين (les Quades). ولم يحترم الكوادیون (les Quades) أي ميثاق اتفقوا عليه مع الرومان، ولم يرجعوا كل الأسرى، بل عدداً قليلاً منهم فقط. ولم يرجعوا هؤلاء إلا لأنه لم يكن في استطاعتهم الانتفاع بهم، ببيعهم أو بالاستفادة من خدماتهم. غير أنهم لما كانوا يطلقون سراح بعض الأسرى الذين كانوا في عنفوان شبابهم، فإنهم كانوا يحتفظون بأقاربهم لإجبار الآخرين على الفرار نحوهم. وبعد أن طرد الكوادیون (les Quades) ملكهم

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXII, pp. 77, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

وحسب بلين الشيخ، *التاريخ الطبيعي*، VI، 7، فإن الكوستبوسيين (les Costuboces) فرع من فروع السارماطيين (les Sarmates) الذين كانوا يسكنون ضفاف نهر الطانايس (Tanaïs).

فورطيوس[1] (Furtius)، اختاروا أريوغيسوس (Ariogæsos) ملكاً لهم. وكانت هذه هي الأسباب التي دفعت الإمبراطور إلى عدم الاعتراف بأريوغيسوس (Ariogæsos) لكونه صار ملكاً بشكل غير شرعي، كما لم يجدد الإمبراطور المعاهدة بالرغم من كون الكواديين (les Quades) عرضوا عليه تحرير خمسين ألف أسير.

14- لقد كان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) حانقاً على أريوغيسوس (Ariogæsos) إلى درجة أنه عرض على من يأتيه به حياً ألف قطعة نقد ذهبية، وخمسمائة قطعة نقد ذهبية لمن يأتيه برأسه بعد قتله، علماً بأنه في حالات أخرى كان يرأف بأعدائه الأكثر عناداً. فعوض أن يقتل تيريدات الساطرابي (le satrape Tiridate) الذي عصى بإثارته الفتن في أرمينيا (Arménie)، وذبحه لملك الهينيوكيين (les Hunniques)، وتهديده بالسيف لفيروس[2] (Vérus) الذي آخذه على أفعاله، فإنه اكتفى بنفيه إلى بريطانيا (Bretagne). إلى هذا الحد كان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) غاضباً على أريوغيسوس (Ariogæsos)، غير أنه لما ألقي القبض فيما بعد على هذا الأمير، فإنه لم يؤذه واكتفى بإرساله إلى الإسكندرية (Alexandrie).

15- وكان الماركومانيون (les Marcomans) الذين بعثوا للإمبراطورية سفارة قد التزموا بالشروط التي اشترطت عليهم، وإن كانوا قد قبلوها بصعوبة وتأخروا في تنفيذها. غير أنهم لما نفذوا في آخر الأمر كل الشروط المفروضة عليهم، منحهم مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) نصف البلاد التي تحد بهم، شريطة أن يستقروا على بعد ثمان وثلاثين غلوة من الدانوب (l'Ister). وحدّد لهم الأماكن والأيام (وقبل ذلك لم تكن محددة) ليتجروا معنا، وتبادل الرهائن معهم.

---

[1]- كان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) هو الذي ولى هذا الملك على الكواديين (les Quades). وكان بعض ملوك البابار يتمتعون بحماية روما ويستمدون قوتهم منها. راجع طاسيط:

Tacite, *La Germanie*, XLII ; Traduction: œuvres complètes de Tacite traduites en français avec une introduction et des notes par J. L. Burnouf, Paris, 1859.

[2]- يتعلق الأمر بمارتيوس فيروس (Martius Vérus) الذي خلف ستاتيوس بريسكوس (Statius Priscus)، راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, IX, p. 53; Vie de Verus, VII, pp. 103-105, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

وكان أول من أخبر الامبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بتمرد كاسيوس (Cassius)، حين كان على رأس إقليم كابادوكيا (Cappadoce).

16- وكان الإيازيج (Iazyges) الذين عوملوا بعنف قد قدموا للقاء الإمبراطور بهدف الاتفاق على تسوية ؛ وكان زانطيكوس (Zanticos) بنفسه قد توسل إلى مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin)، وكان الإيازيج (Iazyges) قبل ذلك قد ألقوا ملكهم الثاني بانداسبوس (Banadaspos) في السجن عقاباً له على إرسال سفراء إلى هذا الأمير ؛ حينذاك، جاء وجهاء الأمة صحبة زانطيكوس (Zanticos) للقياه، واتفقوا على نفس الشروط التي اتفق عليها فيما قبل مع الكواديين (les Quades) والماركومانيين (les Marcomans)، باستثناء أنهم أرادوا الاستقرار في منطقة تقع على بعد ضعف المسافة التي كانت تفصل الكواديين (les Quades) والماركومانيين (les Marcomans) عن الدانوب (l'Ister). وكان الإمبراطور بالفعل ينوي القضاء عليهم نهائياً، لأن القوة التي كانوا ما زالوا يحتفظون بها، والخسائر التي كانوا قد ألحقوها بالرومان، كانت تتجلى في المائة ألف أسير الذين حرروهم، وهم الأسرى الذين كانوا يحتفظون بهم، ناهيك عن الأعداد التي قاموا ببيعها، وتلك التي قتلوها، وتلك التي هربت. وأعطوا كذلك على الفور، بصفتهم حلفاء، ثمانية آلاف فارس، بعث منها مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) خمسة آلاف وخمس مائة إلى بريطانيا (Bretagne).

17- وكانت ثورة كاسيوس (Cassius) وسوريا (la Syrie) قد أجبرت مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) على التفاوض مع الإيازيج (les Iazyges) ، على كره منه. وكان خبر الثورة قد أثر فيه إلى درجة أنه لم يكتب للسيناتو لإطلاعه، كما كان يفعل عادة في الحالات الأخرى، على الأسباب التي دفعته إلى التفاوض مع هذا الشعب.

18- وبعث الإيازيج (les Iazyges) سفراء طالبين تخفيف الشروط التي اشترطت عليهم ؛ ولقد استجيب لمطالبهم بالتنازل عن بعض الشروط حتى لا يصبحوا أعداء. ولكن الإيازيج (les Iazyges) والبوريين (les Burres) رفضوا تقديم العون للرومان طالما لم يعطهم مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) الضمانات التي تثبت أنه سيستمر في الحرب حتى النهاية، لأنهم كانوا يخشون أن يعقد هذا الأمير معاهدة سلم مع الكواديين (les Quades)، كما وقع في السابق، ويصبحوا معرضين والحال هذه لأخطار حرب مع جيرانهم.

19- لم يكن مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) يستقبل سفراء كل الأمم التي كانت تبعثهم إليه بنفس الطريقة، بل حسب ما كانت تستحق أن تمنح هذه الأمم، إما حق المدينة الرومانية، أو الحصانة، أو إعفاءاً جزئياً من الجزية، دائماً أو مؤقتاً، أو إعانة دائمة. وبما أن الإيازيج (les Iazyges) كانوا قد نفعوه نفعاً كثيراً، فإنه تنازل عن عدة إن لم تكن كل

الشروط التي كانت قد فرضت عليهم، باستثناء تلك المتعلقة بالاجتماعات والتجارة، وتلك التي تمنعهم من استعمال قواربهم والنزول في جُزيرات الدانوب (l'Ister). وسمح لهم مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) بالاتجار مع الروكسولانيين (les Roxolans)، عبر داسيا (la Dacie)، كلما سمحت لهم حكومة هذه الولاية بذلك.

20– وبعث الكواديون (les Quades) والماركومانيون (les (Marcomans سفراء يتظلمون من الحاميتين العسكريتين المقيمتين في أراضي هذين الشعبين، والمكونتين كل واحدة منهما من عشرين ألف جندي كانوا يقيمون في الحصون، ويحرمونهم من رعي مواشيهم، ومن زراعة أراضيهم، ويسلبونهم حرية القيام بأي عمل ما في أمان ؛ ثم إن هؤلاء الجنود كانوا يستقبلون الخونة الفارين إليهم، وعدداً كبيراً من الأسرى. وأضاف السفراء أنه بالرغم من ذلك، فإن شعبيهما لم يكونا يعيشان عيشة بئيسة، إذ كان مواطنوهما يتمتعون بالحمامات ويحصلون على كل الضروريات بوفرة. وبما أن الكواديين (les Quades) لم يعودوا يحتملون هذه الحصون التي كانت تنتصب ضدهم، فإنهم حاولوا الهجرة بكثافة إلى أراضي السيمنونيين (les Semnons). لكن مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) لما اطلع على نيتهم، أوقفهم بسد الطرق التي كانوا يسلكونها. كانت هذه مشاعر مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) التي لم تدفعه لاحتلال بلد هذا الشعب بقدر ما دفعته للانتقام منه.

21– وكان الناريسطيون (les Naristes) أيضاً قد عانوا المتاعب، فقدمت منهم على الرومان ثلاثة آلاف، ومنحت لهم أراضي في البلاد الخاضعة لنا.

22– ولما تقلد بيرتيناكس[1] (Pertinax) القنصلية جزاء له على أعماله البطولية، سخط بعض الناس على هذه الرفعة نظراً لأن القنصل المذكور لم يكن شريف الأصل[2]، ووصفوه بهذا البيت من التراجيدية القائل :

هاهي ثمار هذه الحرب المؤسفة[3].

---

[1]– بخصووص بيرتيناكس (Pertinax)، راجع:

Julius Capitolinus, Vie de l'Empereur Pertinax, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* , pp. 115-117 .

[2]– كان أبوه (Helvius Successus) ابن عبد معتق؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de l'Empereur Pertinax, I, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 115.

[3]– أوريبيدس، *المتضرعات*، البيت: 109.

وهم لا يعرفون أنه سيصبح ملكاً في يوم ما. وكان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) قد أصيب بذعر شديد من جراء ثورة كاسيوس (Cassius) في سوريا[1]، فاستقدم من روما ابنه كمود (Commode) وكأنه قد بلغ الحلم[2]. وفيما يتعلق بكاسيوس[3] (Cassius)، فإن مولده كان في سيروس (Cyros)، في سوريا، وكان رفيع القدر وذا خصال يستحب أن تكون في الإمبراطور، لولا أنه كان ابناً لأحد كان يسمى هيليودوروس[4] (Héliodoros) الذي وصل إلى ولاية مصر بفضل براعته في فن الخطابة. أما بخصوص كاسيوس (Cassius)، فإن فوسطينا[5] (Faustine) غرته، فارتكب خطأه الفادح. ولقد كانت فوسطينا (Faustine)، وهي بنت أنطونينس التقي (Antonin le Pieux)، تنتظر وفاة بعلها بين لحظة وأخرى نظراً لأنه كان في صحة سيئة، وكان ابنها كمود (Commode) حدثاً وواهن العزيمة، فخشيت أن يستولي على الإمبراطورية أحد آخر وتفقد بذلك حظوتها كإمبراطورة. وأمام هذا الوضع، أقنعت كاسيوس (Cassius) سراً بأن يكون متأهباً للأمر، في حالة ما إذا قضى أنطونينس (Antonin) نحبه، بنكاحها والاستيلاء على السلطة العليا.

23- وبينما كان كاسيوس (Cassius) يقلب هذا المشروع في رأسه، وبما أنه في ظروف كهذه، فإن الشائعات السيئة عادة هي التي تنشر بين الناس، وصله خبر موت

---

[1]- بعث الامبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) أفيديوس كاسيوس (Avidius Cassius) إلى سوريا حتى يُعيد الانضباط في صفوف الجيش.

[2] - راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 79 ; Aelius Lampridius, Vie de Commode, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste*, Tome deuxième, trad. nouv. par M. Laass d'Aguen, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1847, p. 13.

كان كمود (Commode) قد ولد في يوم 31 غشت 914 حسب تقويم روما؛ وبالتالي كان سنه آنذاك أربع عشرة سنة. وكان أبوه قد تركه في روما عندما توجه إلى جرمانيا قصد الحرب، آملا أن تكون مدة هذه الحرب قصيرة.

[3] - Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius Cassius, *in : Écrivains de l'histoire auguste*, Tome premier, trad. nouvelle par M. Fl. Legay,... Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1847.

[4]- هو نفسه الذي كان سكرتيرا لهادريانس (Hadrianus)؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXIX، 3. وينبغي التمييز بينه وبين هيليودوروس (Héliodoros) آخر كان فيلسوفا معاصرا لهادريانس (Hadrianus)، وكذا هيليودوروس (Héliodoros) السفسطي الذي كان معاصرا لكاراكلا (Caracalla).

[5]- أورد كبيطولينوس (Capitolinus)، وفولكاتيوس (Vulcatius) هذا الادعاء كإشاعة دون تصديقها، راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 83; Vulcatius Gallicanus , Vie d'Avidius Cassius , VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 269.

ولقد ذهب فولكاتيوس غليكانوس، المصدر المذكور، (Vulcatius Gallicanus, IX) إلى حد ذكر رسالتين، الأولى من الامبراطور إلى فوسطين، والثانية من فوسطين إلى الإمبراطور تتوسل فيها إليه، باسم أولادها، ليعاقب كاسيوس (Cassius).

مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) ؛ وعلى الفور، ومن غير أن يتأكد من صحة الخبر، فإنه طمح إلى الإمبراطورية[1]، وكأنه انتخب فيما قبل من طرف الجنود الذين كانوا وقتئذ في بنونيا (la Pannonie). وبالرغم من كونه لم يلبث أن عرف الحقيقة، فإنه لم يتراجع مع ذلك عن قراره واستمر في تمرده. وخلال زمن قصير، تمكن كاسيوس (Cassius) من إقناع كل الشعوب الواقعة فيما قبل جبال الطوروس (Taurus) في الدخول تحت طاعته، وتهيأ للاستيلاء على السلطة بالسلاح. أما فيما يتعلق بمرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، فإن فيروس[2] (Vérus)، حاكم كبادوكيا (la Cappadoce) أخبره بالتمرد، وأخفى الإمبراطور بعض الوقت ما كان يجري، لكن الجنود كانوا جد مضطربين نظراً للشائعات التي كانت تنشر والتي أصبحت موضوعاً لحديثهم، فاستدعاهم وقرأ عليهم ما يلي[3] :

24– « رفاق السلاح، أتيت إلى هنا لأصف لكم ألمي أكثر من رغبتي في تفجير غضبي. فبالفعل، بما أن الآلهة تتحكم في كل شيء بسلطة مطلقة، فما جدوى أن يغتاظ المرء منها ؟ لكن، قد يضطر المرء أن يشكو عندما يكون تعيساً من غير أن يستحق ذلك، وهو ما يحدث لي في هذا الوقت. أليس شيئاً فظيعاً أن تنشب حروب تلو الأخرى دون توقف ؟ أليس أمراً غريباً أن نخوض غمار حرب أهلية ؟ والأفظع والأعجب من هذا هو أن ينعدم الوفاء بين الناس انعداماً، وأن يخونني أعز أصدقائي، وأدخل رغم أنفي في صراع مع رجل لم أُوذِه ولم أهنه قط. فأي فضيلة وأي صداقة يمكن الاعتقاد فيها وقد عرفت المصير الذي عرفته ؟ فهل مات الوفاء وكذا الأمل الجميل ؟ ولو كان هذا الخطر لا يهددني إلا وحدي، لما جزعت البتة (فلست خالداً) ؛ ولكن، بما أن الأمر يتعلق بخيانة علنية، أو على الأصح بتمرد وحرب سيصيبنا شرها جميعاً، أود، لو كان الأمر ممكناً، استدعاء كاسيوس (Cassius)

---

[1]- Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*, p. 83.

[2]– لا يتعلق الأمر هنا بلوكيوس فيروس (Lucius Vérus) أخي وصهر الإمبراطور مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) الذي سبق وأن توفي:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius Cassius , IX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*;

ولكن بمارتيوس فيروس (Martius Vérus) حاكم كبادوكيا (la Cappadoce) الذي سبق الحديث عنه في الفصل XIV، الهامش 2 من هذا الكتاب.

[3]– كان الامبراطور مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) قد كتب خطابه قبل إلقائه كما دأب على ذلك الأباطرة الذين غالبا ما كانوا يكلفون الآخرين بتلاوة خطبهم.

ليتناقش معي بخصوص أطماعه أمامكم أو أمام السيناتو. وسأكون مسروراً بالتنازل له عن السلطة دون قتال لو كان في ذلك فائدة ترتجى للصالح العام. فمن أجل هذا الصالح العام ما زلت مصراً على تحدي التعب والخطر، وباق هنا بعيداً منذ زمن طويل عن إيطاليا، في هذه السن وبصحة كهذه، حيث لا يمكنني أن أتناول طعاماً دون أن أتوجع، ولا أستمتع بالنوم دون أن يشجيني هذا الأمر.

25– ولكن، بما أن كاسيوس (Cassius) لن يقبل أن يدخل معي في هذا النقاش (فكيف يمكنه أن يثق في وعدي بعد أن أبان عن سوء نيته في إلى هذا الحد ؟). رفاق السلاح، عليكم أن تكونوا واثقين من أنفسكم كل الثقة. فالسيليسيون (les Ciliciens) والسوريون واليهود والمصريون لم يتفوقوا ولن يتفوقوا أبداً عليكم حتى ولو كونوا حشوداً تفوق أعدادهم الحالية بعشرة آلاف ؛ فكيف بهم ينتصرون عليكم وهم أقل عدداً منكم اليوم؟ وكاسيوس (Cassius) بنفسه، بالرغم من كونه اشتهر بأنه قائداً فذاً وأنه انتصر في عدة معارك، فإنه اليوم لا شأن له ؛ فلا خوف من عُقاب تقود أسراب قيق للمعركة، أو أسد يقود أيائلا ! إنه ليس كاسيوس (Cassius) الذي أنهى الحرب ضد العرب والفارثيين (les Parthes)، بل أنتم. ثم إذا كانت أعماله البطولية ضد الفارثيين (les Parthes) قد مكنته من بعض الفخر، فيحق لكم أنتم أن تفتخروا بفيروس[1] (Vérus) في صفوفكم، وهو لا يقل عنه شأناً، ويفوقه في الانتصارات التي أحرزها والبلاد التي غزاها. وربما يكون كاسيوس (Cassius) قد ندم منذ أن علم أني على قيد الحياة، لأنه بالتأكيد، لو لم يكن واثقاً من موتي، لما فعل ما فعل. ولو ظل ثابتاً على موقفه، فإنه لما سيعلم أننا نسير إلى قتاله، فإنه سيتردد في القتال لا محالة، وذلك خوفاً منكم واحتراماً لي.

26– أما أنا، رفاق السلاح، فلا أخشى إلا شيئاً واحداً (كل الحقيقة ستقال لكم)، وهو أن يجعل كاسيوس (Cassius) حداً لحياته بنفسه حتى يجنب نفسه خجل الظهور أمامنا، أو أن يقتله أحد آخر عند علمه بأني سأصل ثم أسير لمحاربته. وسيكون ذلك بمثابة سلبي فائدة كبرى أنتظرها من الحرب والنصر، وهي فائدة لم يجنها بعد أي إنسان قط. وما عساها تكون هذه الفائدة ؟ إنها الصفح عن السب، وأن أظل صديقاً بالرغم من التنكر للصداقة، وأن أبقى وفياً بالرغم من قلة الوفاء. وربما قد تبدو لكم هذه الكلمات غير مألوفة، غير أنه لا ينبغي لكم أن ترفضوا تصديقها، فكل المشاعر النبيلة لم تنمح تماماً

[1]– بخصوص بفيروس (Vérus) هذا راجع الهامش 2، (ص. 30)، المتعلق بالفصل XXIII من هذا الكتاب.

في بني الإنسان، فما زالت بيننا بقايا من الفضيلة القديمة. وإذا لم أصدق فيما أقول، فإن رغبتي لن تزداد إلا اشتداداً في جعل ما لا يعتقد الناس في إمكانية تحقيقه أمراً محققاً. ولقد استفدت من المصائب الحالية على الأقل شيئاً واحداً، وهو القدرة على تسوية هذه المسألة على أحسن وجه، وأن أبين للجميع أن هناك إمكانية جني فائدة ما حتى من الحرب الأهلية[1].»

27- هذا ما قاله مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) للجند، وما كتبه للسيناتو[2] من دون أن يستعمل أبداً تعابير جارحة في حق كاسيوس (Cassius)، باستثناء مؤاخذته دائماً على كفرانه بالنعمة. ولم يستعمل كاسيوس (Cassius) من جهته قط، لا في كلماته ولا في رسائله لفظاً مهيناً لشتم مرقس- أنطونينس[3] (Marc-Antonin). وبينما كان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) يستعد للحرب الأهلية، تلقى في الوقت نفسه خبر عدة انتصارات أخرى على البابار، وكذا خبر قتل كاسيوس[4] (Cassius). فلقد انقض قائد المائة أنطونيوس (Antonius) على كاسيوس (Cassius) الذي كان يمشي على رجليه، على حين غرة، وجرحه في عنقه جرحاً غير مميت، لأن فرسه جمح به، فلم يتمكن والحال هذه من ضربه ضربة قاضية، وكاد كاسيوس (Cassius) أن ينجو من الموت ؛ وفي هذا الظرف بالذات، قام قائد العشرة بإتمام ما بدأه قائد المائة. ولما حزّا رأس ضحيتهما، انطلقا لملاقاة الإمبراطور. هكذا قضى كاسيوس

---

[1]- بخصوص المشاعر التي عبر عنها الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) في هذا الخطاب، راجع:

Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius, VII, VIII, XII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- أورد فولكاتيوس غليكانوس (Vulcatius Gallicanus , XII)، المصدر المذكور، الرسالة التي وجهها الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) إلى السيناتو بعد موت المتمرد.

[3]- فولكاتيوس I (Vulcatius) يذهب عكس ذلك حسب الرسالة التي يقول أن فيروس (Vérus) بعثها إلى الإمبراطور مرقس- أنطونينس(Marc-Antonin)، والتي جاء فيها أن كسيوس (Cassius) "يسخر من ميلنا إلى الآداب، ويلقبنا، أنت بالفيلسوف العجوز، وأنا بالشاذ الطباع والمتهتك..."؛ وراجع أيضا الفصل III لنفس المؤلف.

[4]- لم يورد كبيطولينوس (Capitolinus) وفولكاتيوس غليكانوس (Vulcatius Gallicanus) اسم قاتل كسيوس (Cassius). وبخصوص تصرف الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بعد مقتل كسيوس (Cassius)، راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXIV- XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

(Cassius) نحبه بعد أن حلم بالإمبراطورية زهاء ثلاثة أشهر وستة أيام ؛ وقتل أيضاً ابنه الذي كان يوجد في بلد آخر[1].

28- وخلال جولته لزيارة الشعوب التي ساندت كاسيوس (Cassius) في تمرده، كان مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) حليماً غفوراً ولم يقتل أحداً، لا من علية القوم ولا من أخلاطه[2]. وبلغ الحزن من الإمبراطور كل مبلغ بعد موت كاسيوس (Cassius)، حتى أنه رفض رؤية رأسه الذي كان قد حُز ؛ وأعطى أمره بدفنه قبل أن يصل القاتلان إلى حضرته. كما لم يُمت ولم يأسر ولم يحذر بأية حال من الأحوال أي عضو من أعضاء مجلس الشيوخ الذين شايعوا كاسيوس (Cassius) في تمرده، ولم يقدمهم حتى أمام محكمته ؛ واكتفى ببعثهم أمام السيناتو حتى يصرحوا بذنبهم، وكأنهم اتهموا باقتراف جرم آخر غير ذلك الذي اقترفوه، وحدد لهم يوماً للمثول أمام المجلس المذكور. ولم يعاقب إلا ثلة من المواطنين الآخرين الذين ثبت أنهم لم يكتفوا فقط بمساعدة كاسيوس (Cassius) في تمرده، بل إنهم ارتكبوا جرائم بأنفسهم. والدليل على ذلك أن فلافيوس كلفيسيوس (Flavius Calvisius) حاكم مصر، عوض أن يعدم ويسلب ماله، فإنه اكتفي فقط بنفيه إلى جزيرة. وتم حرق الوثائق التي كانت تهمه حتى لا تستغل في توريط الآخرين ؛ أما المواطنون الذين شايعوه، فلقد أطلق سراحهم عن آخرهم[3].

29- وخلال هذه الفترة أيضاً ماتت فوسطينا (Faustine)، إما بسبب النقرس الذي كانت تعاني منه، أو بسبب آخر حتى لا يثبت تواطؤها مع كاسيوس (Cassius). وأتلف مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) الرسائل التي عثر عليها في صندوق بودنس[4] (Pudens) دون قراءتها، خشية أن يعرف أسماء المتآمرين الذين كتبوا شيئاً ما ضده، ويجد نفسه بالتالي، وبالرغم منه، مضطراً ليبغض أحداً ما. ويقال أن فيروس (Vérus) الذي

---

[1]- ميكيانوس (Mæcianus) الذي كان يحكم الأسكندرية. أما بخصوص بقية أولاد كسيوس (Cassius)، راجع:
Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius, IX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- عفا الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) عن سكان الأسكندرية الذين كانوا قد أيدوا التمرد وأبوا إلا أن يجرحوه بألسنهم؛ راجع:
Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXV-XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius, VII- VIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

3 - Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius, XII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- اسم كسيوس (Cassius) الشخصي، واسمه الكامل: أفيديوس بودنس كسيوس (Avidus Pudens Cassius).

كان أول من بعث إلى سوريا، الولاية التي نصب حاكماً عليهاً، لما عثر على الرسائل التي كان يحتويها صندوق كاسيوس (Cassius)، قام بإتلافها قائلا لنفسه إن عمله هذا سيدخل السرور على الإمبراطور، وحتى لو غضب منه، فالتضحية بشخص واحد أفضل من التضحية بعدة أفراد. ولم يكن مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يُسر بإراقة الدماء إلى درجة أن قتال المجالدين الذي كان يشاهده في روما[1]، كان قتالاً يخلو من المخاطر وكأنه مصارعة الرياضيين. فبالفعل، لم يمد الإمبراطور أبداً أحد المصارعين بسيف محدد الرأس، ولم يكونوا مجهزين للمجالدة إلا بأسلحة كلال وكأنها مغلفة. وكان يكره مشاهدة الدم كرهاً شديداً، والدليل على ذلك أنه استجاب ذات يوم للشعب وأمر بإحضار أسد رُوض على افتراس لحم البشر. وعوض أن ينظر إلى الأسد ويعتق صاحبه كما كان يحضه المشاهدون على ذلك، فإنه أمر المنادي أن ينادي في الناس بأن هذا الرجل لم يفعل شيئاً يستحق معه الحرية.

30– ولقد غمه موت فوسطينا[2] (Faustine) كثيراً، فكتب إلى السيناتو طالباً منه أن لا ينزل عقوبة الموت بأي أحد من مشاركي كاسيوس (Cassius) في تمرده، وكأن هذا العفو هو العزاء الوحيد الذي يمكن تقديمه إليه لتصبيره على ما أصابه[3]. وكان يقول، عسى الآلهة أن لا يلقى أحد منكم حتفه بحكم صادر عني، أو عن طريق تصويتكم معشر أعضاء السيناتو. وفي الأخير كان يضيف قائلا : « وإذا لم أنل هذا الفضل، فسأعجل موتي.» ! إلى هذا الحد بلغ صفاء نيته وطيبته وتقواه. ولم ينجح في تغيير طبعه لا شر المؤامرات الجريئة، ولا الخوف مما قد يسببه العفو على الأثمة من تشجيعهم على حوك مؤامرات كهاته. وكان مترفعاً عن الدنايا، عاجزاً عن اختلاق المؤامرات الكاذبة أو تخيل مشاهد درامية لم تقع، إلى حد العفو عن من تمردوا عليه جهاراً وحملوا السلاح ضده وضد ابنه، من قادة وزعماء أمم وملوك، ولم يُمِت أحداً منهم، لا بأمر منه ولا بحكم صادر عن السيناتو، متذرعاً بحجة ما. وأعلم علم اليقين أن كاسيوس (Cassius) بنفسه، لو ألقي

---

[1]– بخصوص إعادة تنظيم صراعات المجالدين، راجع:
Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2] - **Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[3]– راجع الخطاب الذي وجهه الإمبراطور مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) إلى السيناتو بهذه المناسبة:
Vulcatius Gallicanus, Vie d'Avidius, XII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

عليه القبض حياً، لترك على قيد الحياة. فبالفعل، لقد شمل صفح الإمبراطور عدة أفراد كانوا قتلة لما كانت لهم السلطة وهم في خدمة كاسيوس (Cassius) وابنه[1].

31- وصدر آنذاك قانون يمنع على أي كان أن يمارس قيادة في الإقليم الذي يرجع إليه أصله، نظراً لأن كاسيوس (Cassius) تمرد لما كان يحكم سوريا حيث يوجد مكان ازدياده. وأصدر السيناتو مرسوماً على شرف مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) و فوسطينا (Faustine) يقضي بنصب تماثيل من الفضة تمثلهما في هيكل فينوس[2] وروما (Vénus et Rome) حيث سيقام مذبح، وعلى هذا المذبح ستقدم كل جواري الحاضرة وخطابهن عند نكاحهن قرابين[3]. وكلما حضر الأمير عرضاً في المسرح، سيُحضر تمثال من الذهب يمثل فوسطينا (Faustine)، وسيوضع فوق كرسي عاجي ليُحط هذا التمثال في مكان الشرف من حيث كانت الأميرة، وهي حية، تشاهد العرض المسرحي، وأن سيدات روما ستجلسن حول هذا التمثال... أما فيما يخص مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin)، فإنه لما وصل إلى أثينا[4] (Athènes) وكُشفت له الأسرار، منح التكريمات للأثينيين (les Athéniens)، وأمد كل الناس في أثينا (Athènes) بأساتذة في كل العلوم، مخصصاً لهم رواتب سنوية.

32- وحينما رجع إلى روما، وقال فيما قاله خلال خطاب موجه للشعب إنه غاب عدة أعوام، هتف المواطنون بأعلى صوتهم : « ثمانية[5] »، وبينوا في نفس الوقت هذا العدد بأصابعهم، آملين أن يتلقوا نفس العدد من قطع النقود الذهبية لعشائهم[6]، فابتسم وكرر بنفسه « ثمانية »، ثم وزع عليهم حوالي مائتي دراخمة، وهو مبلغ يفوق بكثير المبالغ التي تلقوها حتى ذلك الحين. هذا ما فعله مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin)، وعلاوة على ذلك، منحهم جميعاً كل ما كانوا مدينين به لمصلحة الضرائب أو لخزينة

---

[1]- راجع هامشي الفصل XXVIII من هذا الكتاب.

[2]- يتعلق الأمر بالمعبد الذي بناه هدريانوس (Hadrianus)، راجع: *تاريخ ديون*،LXIX ، 4.

[3]- في الأماكن الأخرى، كان الأزواج يلمسون مذبح يونون (Junon)، إلهة الزواج عند الرومان.

[4]- **Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[5]- لا يتعلق الأمر بثمانية أعوام متصلة. فلقد غادر الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) روما صحبة أخيه عام 922 (من تقويم روما) عند بداية الحرب. ثم رجع إليها في هذه المدة بعد إلحاح أخيه ليرتاح أكثر من عام، وذلك إلى غاية سنة 925 (من تقويم روما) حيث رجع وحده إلى ميدان الحرب.

[6]- توزيع الأباطرة للمال عادة تثبتها عدة نصوص قديمة، نذكر منها خاصة:

Suétone, *Vie des douze Césars*, Vie de Claude, X et XXI.

الدولة، وذلك منذ ستة وأربعين عاماً، دون احتساب الأعوام الستة عشر التي حددها أدريان (Adrien)، ثم أمر بحرق كل السندات في قلب الساحة العامة في روما. وأجزل العطاء لعدة مدن، وكانت سمرنه (Smyrne) من بينها، وقد ألحق بها الزلزال أضراراً جسيمة، وأوكل لعضو من مجلس السيناتو كان قد مارس المقدمية (la préture)، مهمة إعادة إعمارها. لذلك فأنا أستغرب حتى الآن كيف اتهموه بقلة الجود وسماحة النفس، لأنه حتى إذا كان فعلا مقتصداً في كل شيء، فلا رادع كان يردعه كلما تعلق الأمر بالنفقات الضرورية، دون أن يثقل كاهل الشعب بالضرائب، كما ذكرت ذلك ؛ وعند الضرورة كان ينفق نفقات باهضة إضافة إلى المصاريف العادية.

33– وبما أن الأوضاع في سكيتيا (la Scythie) تطلبت حضوره من جديد، فإنه زفّ كريسبينا (Crispina) إلى ولده قبل التاريخ الذي كان يرغب أن يقيم فيه هذا الزفاف[1]؛ فالأخوان [كنديانوس (Condianus) ومكسيموس (Maximus)] كوينتيليوس[2] (Quintilius)، بالرغم من أنهما كانا اثنين، وتصرفا بفطنة واستبسلا في القتال، وحنكتهما التجارب، فإنهما لم يقدرا على إنهاء الحرب، فاضطر الإمبراطوريان[3] والحال هذه إلى التوجه بنفسيهما إلى مناطق القتال لإدارة المعارك الحربية. وطلب مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) حينئذ من السيناتو الترخيص له بأخذ المال من خزينة الدولة، ليس لأن ذلك المال لم يكن تحت تصرف الإمبراطور، ولكن، كما كان يقول، إن هذا المال وكذا كل شيء في ملك السيناتو والشعب ؛ وأضاف في خطابه في السيناتو : « نحن لا نملك شيئاً، وحتى الدار التي نسكنها هي في ملككم ». وعند نطقه بهذه العبارات، رمى بالقرب من معبد بيلون (Bellone) رمحاً ملطخاً بالدم، وكأنه يرمي به أرض العدو[4]، كما أخبرني بذلك

---

[1]- Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– هما اللذان قتلهما كومود (Commode)، كما سنرى ذلك في الكتاب LXXII، الفصل 6.

[3]– يخبرنا لمبريديوس بأن كومود (Commode) حُيّي كإمبراطور مع أبيه بعد عودته من سوريا ومصر، سنة 929 (من تقويم روما)؛ راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– يبدو حسب الفقرة أن هذه العادة التي كانت مألوفة خلال العصر الجمهوري والتي كان يقوم بها مجمع رهبان خاص يسمى (le collège des féciaux)، كان يشرف على الطقوس المتعلقة بالعلاقات مع الخارج، وخاصة إعلان الحرب وإنهائها، ومعاهدات السلم، الخ. وخلال العصر الإمبراطوري، لم يعد معمولا بهذه العادة، وإلا لما ذكرها المؤلف هنا؛ راجع:

Fetiales, jus fetiale, in : Le Dictionnaire des antiquités grecques et romaines de Daremberg et Saglio.

أولئك الذين كانوا معه، ثم انطلق في حملته. ومكن الإمبراطور باطيرنوس[1] (Paternus) من جيش قوي، ثم بعثه للقتال. ولقد قاوم الباربار نهاراً كاملاً، ولكن الرومان تمكنوا في نهاية الأمر من سحق جيشهم، ونودي بمرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) إمبراطوراً (*imperator*) للمرة العاشرة. ولو قدر له أن يعيش زمناً طويلاً، لأخضع كل هذا البلد لسلطته[2] ؛ غير أنه توفي يوم سابع عشر مارس، ليس بسبب المرض الذي كان يعاني منه آنذاك، ولكن، كما أعرف ذلك جيدا، بسبب السم الذي سقاه إياه الأطباء حتى ينالوا رضا كومود[3] (Commode).

34- وقبيل وفاته، أوصى مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) الجنود بكومود[4] (Commode) (ولم يكن يريد أن يعلم الناس أنه يحتضر بسبب جريمة ابنه)، ثم قال للضابط الذي سأله عن الأمر الذي يريد إصداره فقال : « انطلق لتلقي طلوع الشمس، فإني أقترب من أفولي[5]». ولما توفي، نظمت عدة تظاهرات إكراماً لذكراه، ورُفع له تمثال من الذهب في قلب السيناتو. هكذا انتهت حياة مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin). ولقد كان ورعاً يتقي الآلهة إلى حد أنه كان يقدم لها القرابين في داره حتى خلال الأيام المشؤومة. وكانت له كل

---

[1]- راجع الفصل 12 من هذا الكتاب، وكذا الكتابLXXII ، 6.

[2]- راجع :

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*:

" لقد حارب لمدة ثلاثة أعوام الماركومانيين (les Marcomans) والهرموندوريين (les Hermundures) والسارماطيين (les Sarmates) والكواديين (les Quades)؛ ولو قدر له أن يعيش حولا آخر لأخضع هذه البلاد وحولها إلى ولايات رومانية".

[3]- يختلف كبيطولينوس (Capitolinus) مع ديون كسيوس في رواية سبب وفاة الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بحيث يرده إلى الطاعون. فلقد أورد كبيطولينوس (Capitolinus) خبر الطاعون في عهد مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin)، وذلك خلال الحرب الأولى التي شنها صحبة أخيه على الماركومانيين (les Marcomans). فهل يتعلق الأمر بنفس الوباء، أم بوباء جديد ؟ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XIII, XXVIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- يبدو من خلال الكلمة التي ألقاها مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بحضرة أصحابه وهو يحتضر، أن الرجل لم يكن مرتاحا لأخلاق ابنه؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine* ; Depuis la mort de Marc-Aurèle jusqu'à l'avènement de Gordien III ; Livre I, 8 ; Traduction française : Léon Halevy, Paris, 1860, pp. 6-8 ; Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- وكان تبير (Tibère) قد خاطب أيضاً مكرون (Macron) وهو يحتضر قائلا:" أنت على صواب بتركك الشمس وهي آفلة، لتتهافت على طلوع شمس أخرى"؛ راجع: *تاريخ ديون*، LVIII، 28.

المزايا الأخرى، وأثبت من خلال ممارسته الحكم أنه أفضل كل الرجال الذين مارسوا سلطة ما على الإطلاق[1]. إلا أن قوة جسده حالت بينه وبين إنجاز الكثير مما يمكن للإنسان أن ينجزه، بالرغم من أن هذا الجسد مكنه من التحول من شخص شديد الضعف إلى رجل يتقد حماساً. ولقد وقف معظم حياته على الإحسان، تلك الفضيلة التي كرس لها هيكلاً في الكابيتول (le Capitole) أطلق عليه اسماً خاصاً وغير معروف إلى ذلك الحين. وتجنب كل الرذائل، ولم يرتكب أخطاء، لا عمداً ولا عن غير قصد. أما فيما يخص أخطاء الآخرين، وخاصة أخطاء زوجته، فإنه كان يصبر عليها دون أن يتحقق أمرها أو يعاقب مرتكبيها. بل إنه كان يذهب أبعد من ذلك، فكلما أتى أحدهم عملاً نافعاً، فإنه كان يثني عليه ثم يقره على ذلك العمل، من غير أن يكترث بالأمور الأخرى، قائلا : بما أنه يستحيل على الإنسان أن يكون كما نود أن يكون، فينبغي استعمال الناس، كل في الميدان الذي سيسدي فيه خدمة للدولة. وكان كل خلقه قائماً على الفضيلة، لا مكان للموارية فيه ؛ وذلك بيِّن لأنه على امتداد حياته التي دامت ثمانية وخمسين عاماً وشهرين وعشرين يوماً، والتي عمل خلالها لمدة لا يستهان بها في البداية تحت إمرة أبيه أنطونينس (Antonin)، ثم بعد ذلك بصفته إمبراطوراً مارس السلطة المطلقة لمدة تسعة عشر عاماً وأحد عشر يوماً، لم يغير سلوكه قط وظل وفياً لنفسه ولم ينفذ صبره أبداً. فلقد كان فعلاً رجلاً فاضلاً، ولم يعرف الموارية.

35- ولقد استفاد مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) جداً من تربيته التي تضلع خلالها من علم البيان والفلسفة ؛ وكان أستاذاه في علم البيان كورنيليوس فرونطون[2] (Cornélius Fronton) وكلاوديوس هيروديس[3] (Claudius Hérodès)، وفي الفلسفة جونيوس

---

[1]- راجع:

Julius Capitolinus, op. cit., Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- راجع بخصوصه: *تاريخ ديون*، LXVIII، 1؛ LXIX، 18. وحسب كبيطولينوس (Capitolinus)، فإن الإمبراطور مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) كان يكن تقديرا كبيرا لأستاذه هذا إلى درجة أنه طلب من السيناتو أن يصنع له تمثالا ؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- يتعلق الأمر بهيروديس أتيكوس (Hérodès Atticus) الذي ذكره كبيطولينوس (Capitolinus) في المصدر السابق، من بين أساتذة هذا الإمبراطور، والذي وردت ترجمته في :

Philostrate, *Vie des Sophistes*, II, 1.

روستيكوس[1] (Junius Rusticus) ونيكوميديس أبولونيوس (Nicomédès Apollonius) اللذان كانا على مذهب زينون (Zénon). ولقد دفع ولوعه بالفلسفة جماعة من الناس إلى تصنعهم حبها حتى ينهلوا من جزيل عطائه. غير أن الطبيعة هي التي حبته في الواقع خلقه النبيل، لأنه قبل أن يتحدث إلى هؤلاء الفلاسفة، فإنه كان ميالا إلى الفضيلة. ولقد أعجب به منذ طفولته كل أقربائه الذين كانوا كثيرين وذوي نفوذ وأثرياء، وغمروه بحبهم جميعاً. وبعد أن تبناه هادريانوس (Adrien) وضمه إلى عائلته، فإنه ظل على سجيته الحسنة ولم يتكبر قط، وبقي بالرغم من كونه شاباً وقيصراً، خاضعاً لأنطونينس (Antonin) منقاداً له طول مدة حكمه، وكرّم بكل تواضع المواطنين الأوائل. وكان يُحيّي في الدار التي كان يسكنها بالقرب من التيبر[2] (le Tibre)، وقبل أن يتوجه لزيارة أبيه، المواطنين حسب مراتبهم، دون أن يرتدي الحلة التي تليق بمقامه، مكتفياً بلباس شخص عادي، وكانت هذه التحية تتم في نفس الغرفة التي كان ينام فيها. وكان يعود المرضى مراراً، ويواظب على زيارة أساتذته. وكلما خرج منفرداً دون صحبة أبيه، فإنه كان يرتدي لباساً خشناً قاتم اللون، ولم يكن أبداً يسير

شخصياً وراء حامل فانوس. ولما عين ضابطاً (sévir) على رأس إحدى فرق العشرة فرسان الست، كان يأتي مع الفرسان الآخرين إلى ميدان روما، بالرغم من كونه قيصراً. هكذا كان سمو طبعه، وهذه هي الثمرة التي جناها من تربيته ؛ وكان دائما يغذي روحه بمبادئ علم البيان وفلسفة الإغريق واللاتين، بالرغم من بلوغه سن الرجولة وكونه كان يأمل في أن يصبح إمبراطوراً[3].

---

[1] – يطلعنا الإمبراطور مرقس– أنطونينس في الجزء الأول من كتابه:
(Marc-Aurèle, *Pensées*, Livre I, 7 ; Paris 1876) على كل ما هو مدين به لهذا الفيلسوف المعلم، الذي كان حسب كبيطولينوس،3 (Capitolinus) بارعا في الحرب كما في وقت السلم، والذي كان متبحرا في الفلسفة الرواقية. ولم يكن الإمبراطور يأتي أي شيء دون استشارته، وكان يقبله دائما قبل نائبي الولاية، وعينه قنصلا مرتين، وبعد وفاته، طلب من السيناتو أن يصنع له تماثيلا.

[2] - Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3] – راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

غير أن مرقس– أنطونينس يذكر في كتابه (Marc-Aurèle, *Pensées*, Livre I, 7) أنه مدين لجونيوس روستيكوس (Junius Rusticus) بالتخلي عن علم البيان والشعر، تبعا لعادة الرواقيين. وبالرغم من ذلك، فإنه كان يستمتع بسماع الخطباء، حتى لما أصبح إمبراطورا؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, III, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

36- وقبل أن يعين قيصراً، رأى في المنام أن له كتفين وذراعين عاجيين يمكنه استعمالهما كما تستعمل الأطراف العادية. ولقد أدت مثابرته على الدراسة وتمريناته إلى إضعاف جسده، بالرغم من أنه كان فيما مضى صلباً بما فيه الكفاية للقتال وأسلحته في يده، وقادراً على قتل الرتتة وهو يمتطي صهوة فرسه خلال القنص[1] ؛ كما كان قوياً بما فيه الكفاية لكتابة معظم الرسائل للأحماء من أصدقائه بخط يده، ليس فقط خلال شبابه، ولكن بعد ذلك أيضاً. إلا أنه لم يستمتع بالسعادة التي كان يستحقها، فجسمه كان فعلاً واهناً، وخلال كل مدة حكمه، فإنه قاسى عدة نوائب. وفي نظري، هذا ما يدعونا للنظر إليه بإعجاب أكثر، لأنه عرف كيف يتخلص من مواقف صعبة ومعقدة، وتمكن من الحفاظ على وحدة الإمبراطورية. ومما يعتبر من مناكيد حظه، أمر ابنه ؛ فبعد أن رباه وعلمه على أحسن وجه، فإنه خيب أمله تخييباً. وينبغي منذ الآن الحديث عن هذا الابن؛ فمثل حالنا اليوم وأحوال رومان هذا الزمان، كمثل التاريخ الذي هوى من عهد ذهبي إلى عهد الحديد والصدأ.

[1]- **Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

تاريخ ديون، الكتاب الثاني والسبعون

1- لم يكن كومود (Commode) بطبعه منطوياً على الشر ولا ماكراً، بصفته رجل مجتمع ؛ غير أن سذاجته وكذا خجله جعلاه عبداً لأولئك الذين كانوا على صلة وثقى به، وتركوه في بادئ الأمر غَوِيّاً غير مهتد بالخير[1]، الشيء الذي قاده لأن يصبح خليعاً وقاسي القلب ؛ وهي خلاعة وقسوة اعتادها ثم طبع عليها[2]. وأخال أيضا أن مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) قد توقع ما سيحدث لولده[3]. وكان عمر كومود (Commode) تسعة عشر عاماً لما توفي أبوه، ولقد ترك له بمثابة أوصياء عدة أعضاء بارزين في السيناتو، لم يعمل بنصائحهم ولم يسمع لتحذيراتهم، ليرجع على عجل إلى روما بعد أن تصالح مع البابار[4].

2- ولم تبق للماركومانيين (les Marcomans) لا وفرة الأقوات ولا كثرة الرجال، بسبب عدد من قتل منهم وكذا الخراب المتواصل الذي تعرضت له أراضيهم ؛ لذلك فهم لم يبعثوا كسفراء لكومود (Commode) للتفاوض في أمر السلم إلا شخصين رفيعي المنزلة، صحبة آخرين من منزلة دنيا. وبالرغم من أن كومود (Commode) كان قادراً على إبادة هؤلاء البابار بسهولة، فإنه فضل – بسبب كرهه إجهاد نفسه ورغبته في الاستمتاع على عجل بملذات روما – التفاوض معهم على أساس الشروط التي كان أبوه قد وضعها، فارضاً عليهم زيادة على ذلك، ضرورة إرجاع الفارين إلى العدو والأسرى الذين تم أسرهم منذ ذلك الحين، وكذا ضرورة مدّ روما كل سنة بكمية معينة من القمح، أعفاهم منها فيما بعد. واستلم منهم الأسلحة وثلاثة عشر ألف جندي من بين الكواديين (les Quades)، وعدداً أقل من هذا من

---

[1]- سنرى ذلك فيما بعد (الفصول 9- 13)، حيث أصبح كومود (Commode) عبدا لبرينيس (Pérennis) وكليأندر (Cléander).

[2]- بخصوص طبع كومود (Commode) الشّرير، راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, XXVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aelius Lampridius, Vie de Commode, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 6; Aelius Lampridius, Vie de Commode, III, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- **Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 7- 8.**

بين الماركومانيين (les Marcomans) ؛ ومقابل هؤلاء الجنود، فإنه أعفاهم من أولئك الذين كانوا يزودون بهم روما كل عام. كما أمرهم أيضاً بعدم تنظيم اجتماعات متكررة في أماكن مختلفة من البلاد[1]، وأن لا يجتمعوا إلا مرة في الشهر، وفي مكان واحد، وبحضور قائد مائة روماني ؛ كما ألزمهم علاوة على ذلك بعدم قتال الإيازيج (les Iazyges) والبوريين (les Burres) والوندال[2] (les Vandales). ومقابل هذه الشروط[3]، فإنه سالمهم وانسحب من كل القلاع التي كان يحتلها في بلادهم فيما وراء الأراضي التي كانت قد سلبت منهم.

3- وتصالح كومود (Commode) مع البوريين (les Burres) الذين كانوا قد بعثوا إليه سفراء. ولم يقبل كومود (Commode) فيما قبل هذا الصلح بالرغم من إلحاحهم عليه، لأنهم كانوا أشداء ولم يكن هدفهم الجنوح إلى السلم بقدر ما كانوا يرغبون في الحصول على الوقت الكافي لإتمام استعدادهم للحرب ؛ وبما أنهم كانوا هذه المرة منهوكي القوى، فإنه قبل التفاوض معهم بعد أن استلم الرهائن، واسترد من البعض خمسين ألف أسير، وأجبر البعض الآخر على القسم بأن لا يستقروا ولا يرعوا قطعان مواشيهم أبداً داخل المناطق التي تبعد بأقل من أربعين غلوة عن القسم الذي تحد به بلادهم بداسيا (la Dacie). وأخضع سبينيانوس (Sabinianus) تحت سلطته اثني عشر ألف داسيين (Daces) كانوا قد طردوا من بلادهم ويتأهبون لنجدة الآخرين، واعداً إياهم بمنحهم أراضي في داسيا (la Dacie) الرومانية.

4- ولقد أتى كومود (Commode) عدة أمور شنيعة وأهلك العديد من المواطنين. وحيكت ضده عدة مؤامرات[4]، وقتّل الكثير من المواطنين، رجالا ونساء، بعضهم علانية، وبعضهم سراً بسمهم. وذهب ضحية هذا التقتيل كل أولئك الذين حظوا بثقة ما خلال ملك أبيه وملكه من بعد، باستثناء بومبيانوس (Pompéianus) وبيرتيناكس (Pertinax)

---

[1]- وهذا احتياط من بين الاحتياطات التي اتخذها مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) بهدف التحكم في تحركات البابار ؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXI، 11، 15، 19.

[2]- ذكر كبيطولينوس،17 (Capitolinus) محاربة مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) للوندال، من بين الشعوب التي حاربها.

[3]- كانت المعاهدة قد أجبرتهم على الاستقرار على بعد ثمان وثلاثين غلوة من الدانوب (l'Ister)؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXI، 15.

[4]- حاكها بومبيانوس (Pompéianus)، ومطيرنوس (Maternus)، (راجع: هيروديان، I، 30)، علاوة على برينيس (Pérennis) الذي اتهم تهمة باطلة (*تاريخ ديون*، LXXI، 9 و10)، وأخيرا مارسيا (Marcia) وإكليكتوس (Eclectus) وليتوس (Lætus)، (*تاريخ ديون*، LXXI، 22)، وهي المؤامرة التي سيلقى كومود (Commode) حتفه فيها؛ راجع: (هيروديان، I، 50- 55)؛

Aelius Lampridius, Vie de Commode, XVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

وفكتورينوس[1] (Victorinus) الذين لا أدري كيف نجوا من الموت. وهذه الوقائع وتلك التي ستتلوها، لن أحكيها منذ الآن حسب روايات الآخرين، ولكني سأرويها حسب ملاحظاتي الشخصية. وبعد رجوعه إلى روما، كان من بين المزاعم الغريبة الواردة في خطبة خاطب بها السيناتو وقرظ نفسه فيها، أن أباه كان قد وقع في موحل عميق، وأنه كان يسير آنذاك راكباً فرسه بجانبه، فأنقذه. هذه هي الأعمال الباهرة التي كان يتبجح بها. وخلال دخوله إلى المدرج، حاول كلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) الاعتداء على حياته بطعنه بخنجر في المكان الأكثر ضيقاً من المدخل، صائحاً في وجهه: « خذ، هذا ما وجهه السيناتو إليك[2]». وكان بومبيانوس (Pompéianus) المذكور قد تزوج ببنت لوكيا (Lucilla)، وكانت تربطه علاقة بكل من البنت والأم، ولهذا السبب أصبح خادماً خاصاً لكومود (Commode) إلى درجة أنه شاركه في طعامه وتسلياته. ولم تكن لوكيا (Lucilla) عاقلة أكثر من أخيها كومود (Commode)، ولم يكن سلوكها أكثر انحرافاً من سلوكه، وكانت تزدري بعلها بومبيانوس[3] (Pompéianus) ؛ ولذلك أقنعت من تم الحديث عنه منذ قليل[4] بالتآمر على الإمبراطور، وسببت بذلك هلاكَه وهلاكَها لما تم اكتشاف أمرها[5]. ولقد قتل كومود (Commode) أيضا كريسبينا (Crispina) لما أغاظه زناها. وقبل أن يتم قتلهما، نفيتا إلى جزيرة كابري (Caprée). وأصبحت المدعوة مارسيا (Marcia) حظية كومود (Commode)،

---

[1]– كان بومبيانوس (Pompéianus) قد تزوج بلوكييا (Lucilla)، أرملة الامبراطور فيروس (Vérus)، وبنت مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، وأخت كومود الكبرى (Commode) (هيروديان، I، 20). وكان قد كُلف صحبة بيرتناكس (Pertinax) – الذي أصبح فيما بعد إمبراطورا – بالتصدي لغزوات الجرمان التي كانت تستهدف إيطاليا؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXI، 3. وكان وفكتورينوس (Victorinus) حاكما لروما (*تاريخ ديون*، LXXI، 11).

[2]- **Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 21; Aelius Lampridius, Vie de Commode, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[3]– كانت لوكيا الأغسطسية (Lucilla Augusta) تحتقر بومبيانوس (Pompéianus) وتعتبره دونها شرفا، وان كان قد ارتقى إلى رتبة القنصلية، خاصة وأنها بالرغم من زواجها الثانى، بعد موت زوجها الأول، الإمبراطور فيروس (Vérus)، فإنها ظلت تحتفظ بشعارات المقام الإمبراطوري، إلى أن تزوج كومود (Commode) كريسبينا (Crispina)، فاضطرت لترك مكان الشرف لزوجة الإمبراطور، وغمها ذلك كثيرا؛ (هيروديان، I، 20).

[4]– كلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) هذا هو خطيب بنت لوكيا الأغسطسية (Lucilla Augusta) وليس زوجها بومبيانوس (Pompéianus).

[5]– سيقت لوكيا (Lucilla) إلى التعذيب ثم قُتلت حسب (هيروديان، I، 23)؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 23;
وحسب لمبريدوس، فإن كومود (Commode) هتك عرض أخته قبل أن تُقتل، راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, IV-V, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

وبعد ذلك زوجة لإيكليكتوس (Eclectus) ؛ وكان هذا الأخير خادماً خاصاً لكوادراتوس (Quadratus)، وهو أحد الذين تم قتلهم، ثم أصبح خادماً لكومود (Commode). ولقد شهدت مارسيا (Marcia) هلاك كل من إيكليكتوس (Eclectus) و كومود (Commode)، وقد قتلا شر قتلة. ويروي التاريخ أن مارسيا (Marcia) هذه كانت تشفق على المسيحيين وتحسن إليهم كثيراً نظرا للحظوة التي نالتها عند كومود (Commode).

5- وقتل كومود (Commode) سالفيوس يوليانوس[1] (Salvius Julianus) وبطيرنوس طروطينيوس[2] (Paternus Tarruténius) اللذين كانا من بين الشخصيات التي شغلت منصب قنصل، كما قتل معهما أفراداً آخرين وكذا امرأة من النبلاء[3]. على أن يوليانوس (Julianus) كان بإمكانه مباشرة بعد وفاة مرقس- أنطونينس(Marc-Antonin)، أن يفعل ما يشاء ضد كومود (Commode)، لأنه كان يتمتع بالاحترام، وعلى رأس جيش قوي كان جنوده مخلصين له ؛ غير أنه لم يحاول فعل أي شيء نظراً للاعتدال الذي كان يميزه وكذا الاحترام الذي كان يكنه لكل من الأمير الحي والأمير الراحل. وكان بإمكان باطيرنوس (Paternus) أيضا، لو كانت له نية التآمر فعلا – كما اتهم بذلك – أن يقتله بسهولة لما كان على رأس الحرس الإمبراطوري، بيد أنه لم يفعل. وقتل كومود (Commode)، بالإضافة إلى هؤلاء الأخوين كوينتيليوس (Quintilius)، كنديانوس (Condianus) ومكسيموس (Maximus) اللذين كانا يتمتعان بسمعة طيبة، نظرا لعلمهما ومهارتهما في القتال ووفاقهما وثرائهما. وبالرغم من أنهما ظلا بمعزل عن أي مؤامرة ضد الحكم، فإن الخصال والمزايا المذكورة جعلتهما موضع ريبة، وظُن في سخطهما على ما كان يحدث. وكما عاشا في وفاق، ماتا سوياً مع ابن لأحدهما، لأنهما كانا يكنان لبعضهما حباً رائعاً، ولم يفترقا أبداً حتى خلال شغلهما المناصب التي شغلاها. ولقد اقتنيا أملاكاً كثيرة وأصبحا جد أغنياء ؛ وكانا سوياً حاكمي ولايات[4]، كما كانا يتبادلان المساعدة بينهما.

---

[1]- كان سالفيوس يوليانوس (Salvius Julianus) هذا ابنا لفقيه شهير في القانون عاصر هادريانوس. ويبدو أن الأمر لا يتعلق بيوليانوس، نائب الولاية الذي قُتل بعد ذلك (راجع الفصل XIV من هذا الكتاب).

[2]- *تاريخ ديون*، LXXI، 12.

[3]- وهي فيتراسيا فوسطينا (Vitrasia Faustina) حسب:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- كانا معا حاكمين لولاية آخيا (l'Achaïe)، وكتبا معا لمرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) الذي أجابهما؛ راجع:

***Digeste ou Pandectes,* Livre XXXVIII, titre 2, *Bonis Libertorum* , loi 16, ch. 4 : « …Les empereurs Sévère et Antonin l'ont ainsi décidé dans un rescrit adressé aux Quintilius. » ;**

6- أما فيما يخص سيكستوس كنديانوس (Sextus Condianus)، ابن مكسيموس[1] (Maximus)، الشاب الذي برز بين أقرانه بخصاله الطبيعية وبتربيته، فإنه لما علم بحكم الإعدام الصادر في حقه أيضاً، وكان وقتئذ في سوريا، فإنه شرب دم أرنب وحشية وامتطى صهوة جواده، ثم ألقى بنفسه عمداً من فوق فرسه على الأرض، وقاء ذلك الدم متظاهراً أنه دمه. وأُنهض بعد ذلك وكأنه رجل يحتضر، وحمل إلى بيته ثم اختفى عن الأنظار. وأحرقت جثة كبش حلت محله في النعش. ومنذ ذلك الحين وهو يغير حوائج السفر والملابس بدون انقطاع، وهام على وجهه من بلد لآخر ؛ غير أن خبره أشيع (وسر من هذا القبيل لا يمكنه أن يبقى مكتوماً لمدة طويلة)، فتعقبت آثاره في كل مكان. وعُذب عدة رجال بدلاً منه، إما لأنهم كانوا يشابهونه، أو لتواطئهم المزعوم معه، أو لأنهم استقبلوه. وفاق هؤلاء عدداً أولئك الذين جردوا من ممتلكاتهم، مع أنهم ربما لم يروه في حياتهم أبداً. أما فيما يتعلق بسيكستوس (Sextus)، فهل تم قتله فعلاً (فلقد حملت إلى روما عدة رؤوس على أنها رأسه)، أم تمكن من الفرار بنفسه ؛ فهذا أمر لا يعلمه أحد. على أي حال، فبعد موت كومود (Commode)، ادعى رجل أنه يسمى سيكستوس (Sextus) وحاول الاستيلاء على أملاكه وألقاب شرفه. وفي عدة مرات امتحنه خلالها بعض الناس، أوجب الاحترام برباطة جأشه ؛ غير أن برتناكس (Pertinax) وجه إليه سؤالاً بالإغريقية، وهي اللغة التي كانت بمثابة اللغة الأم بالنسبة لسيكستوس (Sextus)، فارتكب هذا المحتال عدة أخطاء، دون أن يتمكن من فهم ما كان يقال له. وهكذا مكنته الطبيعة من ظاهر سيكستوس (Sextus) إلى هذا الحد، وتمكن بفضل التمرين من مماثلته في سلوكه، لكنه بخصوص العلم كان نقيضه.

7- ولقد سمعت هذا الخبر بنفسي ؛ وشاهدت ما يلي: يوجد في مالوس (Mallos)، وهي مدينة في سيليسيا (la Cilicie)، معبداً لأمفيلوكوس (Amphilochos)، وكانت أجوبة الإله تنزل فيه عن طريق الرؤى[2]. وأجاب الإله سيكستوس (Sextus) برؤيا رواها هذا

وألفا قصائد زراعية الموضوع، ذكرت هنا وهناك في الموسوعة الإغريقية المتعلقة بالزراعة (*Geoponica*). راجع: *تاريخ ديون*، LXXI، 33.

[1]- حسب لمبريد، فإن سيكستوس (Sextus) كان ابن كنديانوس (Condianus)، وبموته انقرضت عائلة كوينتيليوس (Quintilius) ، راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- ذكر بوزانياس (Pausanias, *Le Tour de la Grèce*, I, 34) أجوبة الآلهة هذه كخبر حقيقي.

الأخير عن طريق رسم رسمه[1]. فلقد مثل في لوحة صبياً يخنق ثعبانين، وأسداً يطارد شادناً. ولما كنت مع والدي في سيليسيا (la Cilicie)، وكان وقتئذ والياً عليها، لم أتمكن من تفسير مغازي تلك الصور قبل أن أعلم بأن الأخوين قد خنقهما كومود (Commode) الذي قلد بعمله هذا هرقل (Hercule). وحسب ما يروى في التاريخ، فإن هرقل (Hercule) خنق، وهو ما زال في المهد، الثعابين التي أرسلتها جينون (Junon) ضده (وبالفعل، فلقد تم خنق الأخوين كوينتيليوس (Quintilius)، وأن سيكستوس (Sextus) هرب أمام من كان يتعقبه وكان أشد منه. وقد يختلط علي الأمر أيما اختلاط إذا ما أردت في سردي لهذه الوقائع أن أعطي أدق التفاصيل بخصوص كل أولئك الذين أهلكهم هذا الأمير، إما بناء على وشاية أو تبليغ كاذب، أو لأنهم كانوا محل شبهة، أو لغناهم أو لشرف نسبهم، أو لغزارة علمهم، أو لعلة أخرى. وفي روما، أعطى كومود (Commode) عدة أدلة على غناه، وأعطى أدلة أكثر على سلامة ذوقه. وفيما يلي عمل نافع قام به يخدم الصالح العام. كان منيليوس (Manilius)، شريك كاسيوس[2] (Cassius) في التمرد وكاتبه للرسائل اللاتينية، يتمتع بنفوذ كبير إلى جانب كومود (Commode)، فلما هرب ثم ألقي القبض عليه، رفض كومود (Commode) الإنصات إليه بالرغم من وعده بالكشف عن أسماء المتمردين، ثم أحرق كل أوراقه دون أن يقرأها.

8– وقام كومود (Commode) بعدة حروب ضد البابار الذين يسكنون فيما وراء داسيا[3] (la Dacie)، وهي حروب تألق خلالها ألبينوس[4] (Albinus) ونيجر[5] (Niger) اللذان تمردا فيما بعد على الإمبراطور سيفير (Sévère). غير أن الحرب في بريطانيا[6] (Bretagne) كانت أشد هذه

---

[1]– اعتاد القدامى على قصد المعابد للنوم فوق الأهب، حتى يرسل إليهم إله المكان رؤيا يقومون بتمثيلها على لوحة يتم تعليقها في المعبد. ويتعلق الأمر هنا بلوحة من هذه اللوحات.

[2]– لا علاقة لكاسيوس (Cassius) هذا بأفيديوس بودنس كسيوس (Avidus Pudens Cassius) الذي أحرق مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) رسائله؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXI، 28. وربما كان بودنس (Pudens) مكلفا بكتابة الرسائل الإغريقية، ومنيليوس (Manilius) بالرسائل اللاتينية.

[3]– قد يتعلق الأمر بالسارماطيين (les Sarmates)، إذا أخذنا بعين الاعتبار نص لامبريد :

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– راجع بخصوصه: *تاريخ ديون*، LXXV، 4، و 5، و 6.

[5]– راجع بخصوصه: *تاريخ ديون*، LXXIV، 6 و 7.

[6]– دامت هذه الحرب على الأقل ثلاث سنوات؛ وأطلق، حسب لمبريد، المتملقون من أعضاء السيناتو على كومود (Commode) لتشريفه بهذه المناسبة لقب "البريطاني"، بينما كان البريطانيون بصدد اختيار امبراطور آخر لتعويضه؛ راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الحروب فتكاً. فشعوب هذه الجزيرة، بعد اجتياحهم للسور المحصن الذي كان يفصلهم عن معسكر الرومان[1]، خربوا البلد وسحقوا القائد الروماني والجنود الذين كانوا تحت إمرته. وفزع كومود (Commode) فأرسل ضدهم أولبيوس مرسيلوس (Ulpius Marcellus) الذي كان بسيطاً ومعتدلاً في حياته، لا يحيد أبداً عن طريقة عيش الجنود عندما يكون في الحرب، فيما يخص مأكله ومشربه، وكذا في كل سيرته. وكان مرسيلوس (Marcellus) رفيع الخلق، سامي الشعور، وكان في نظر الجميع غير متأثر بالمال ؛ غير أنه لم يكن رائق المزاج ولا دمثاً. وكان ينام أقل من كل القادة ؛ وبما أنه كان يريد أن يظل القادة الذين كانوا معه يقاظى من النوم، كان يكتب كل مساء اثنتي عشرة صحيفة شبيهة بتلك التي تصنع من الزيزفون، ثم يرسلها إلى عدة ضباط في ساعات مختلفة من الليل، حتى يرى الضباط أن القائد مستيقظ فعلاً، وبالتالي لا ينامون إلا قليلاً. ولقد ولد مرسيلوس (Marcellus) باستعداد على مقاومة النوم، وفضلاً عن ذلك، كان يتدرب على اليقظة آناء الليل بتعوده على الأكل أكلاً يسيراً. وكان يقل من الطعام ؛ وحتى لا يتخمه الطعام، ولو كان خبزاً، فإنه كان يستجلب خبزه من روما، ليس لأنه لم يكن قادراً على أكل خبز البلد الذي كان يقيم فيه، ولكن لأن الخبز المستجلب كان يصبح يابساً [نظرا للمدة التي يستغرقها نقله]، وبالتالي فلم يكن يتناول منه إلا اليسير لسد الرمق، لأنه كلما أكل، كانت لثته تجرح بسبب يبس هذا الخبز، وأصبحت تدمى بسهولة. هكذا كان يجتهد على تدريب نفسه على هذه الحيلة حتى يظل يقظاً أكثر ما يمكنه ذلك. وبقوة شكيمته، تمكن مرسيلوس (Marcellus) من أن يثخن في باربار بريطانيا (Bretagne) ؛ وكاد كومود (Commode) أن يفتك به منذ ذلك الحين، نظرا لاستحقاقه وكفاءته، لكنه أبقي على قيد الحياة.

9- وكان الجنود الثائرون قد قتلوا برينيس (Pérennis) الذي خلف باطيرنوس (Paternus) على رأس قيادة الحرس الإمبراطوري. وبما أن كومود (Commode) كان قد استسلم للذة التي كانت تغمره وهو يقود العربات[2]، وتهتك في سلوكه أيما تهتك، وانقطع

---

[1]- يتعلق الأمر دون شك بالسور الذي شيده أنطونينس التقي (Antonin le Pieux)؛ ، راجع:
Julius Capitolinus, Vie d'Antonin le Pieux, V, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- بخصوص ولع كومود (Commode) بالعربات والقنص، راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 25 ; 43 ; 47-48 ; Aelius Lampridius, Vie de Commode, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

وبخصوص تهتكه، راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, V, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

عن الاضطلاع بأي واجب من واجبات السلطة الملكية، فإن برينيس (Pérennis) كان مجبراً على تدبير الأمور العسكرية وسياسة الدولة بنفسه[1]. وكلما حدث أمر لا يروق الجنود، فإنهم كانوا يغضبون على برينيس (Pérennis) ويحمّلونه سبب تذمرهم. وكان أولئك الذين يوجدون منهم في بريطانيا (Bretagne) قد أوخذوا على عصيانهم[2] (ولم يسكن غضبهم إلا عندما هدأهم بيرتيناكس (Pertinax)، فاختاروا من بين صفوفهم ألفاً وخمسمائة متمرد وبعثوهم إلى روما[3]. ولما وصل هؤلاء النواب إلى أبواب روما دون أن يوقفهم أحد، أتى كومود (Commode) للقياهم وسألهم : « ما هذا أيها الرفاق ؟ وما هو الغرض الذي أتيتم من أجله ؟ ». فأجاب هؤلاء : « جئناك لأن برينيس (Pérennis) يتآمر عليك ويعمل على جعل ابنه إمبراطوراً». فصدق زعمهم، وأمام إلحاح كليائدر (Cléander) – الذي كان يضمر ضغينة لبرينيس (Pérennis)، وكان هذا الأخير قد أجهض مؤامرته – سلم القائد للجند الذين كانوا تحت إمرته، وعجز عن حقر ألفين وخمسمائة جندي، في حين كان له من الحرس الإمبراطوري ما يفوق بكثير عدد المتمردين. وجلد الجند برينيس (Pérennis) وحزوا رأسه، ثم قتلوا زوجته وأخته وابنيه.

10– هكذا كانت نهاية برينيس (Pérennis) الذي كان يستحق مصيراً آخر، بالنظر إلى سلوكه وخدمته مصالح الإمبراطورية الرومانية بأسرها[4]، بالرغم من أن رغبته في القيادة كانت السبب الرئيس في نهاية زميله باطيرنوس (Paternus). ولم يبحث برينيس (Pérennis) قط في حياته عن المجد والغنى، بل بالعكس من ذلك، إنه عاش عيشة كلها نزاهة واعتدالاً، ولم يدخر جهداً في السهر على ضمان أمن كومود (Commode) وإمبراطوريته. وبعد تخلصهم من

---

[1]– ، راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, V, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– حسب لامبريد، كان برينيس (Pérennis) خلال حرب بريطانيا قد عوض السيناتوسيين بالشوفاليي على رأس الجيش، راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– ورد في (*Excerpta Vat.*) (*تاريخ ديون*، LXXII، ص. 95، الهامش 5 في الترجمة الفرنسية)، الأسطر التالية المتعلقة بهذه الأحداث:" كان جنود بريطانيا يريدون أن يجعلوا من الجنرال بريسكوس (Priscus) إمبراطورا؛ إلا أنه رفض وخاطبهم قائلا: "لو صرت إمبراطورا، لتسيّرت بسيرتكم أنتم كجند".

[4]– أصدر لامبريد وهيروديان حكما على برينيس يختلف عن ذلك الذي ورد في تاريخ ديون. ويصعب ترجيح هذا الرأي أو ذاك، غير أنه يبدو أن هيروديان لم يغفل بعض الحقائق فحسب، بل إنه أضاف أمورا أخرى، لو كانت قد وقعت فعلا، لما أهملها ديون الذي ينبغي أن لا ننسى أنه كان عضوا في مجلس السيناتو، ومطلعا على أسرار الدولة، وبالتالي فإهماله المفترض هذا كان من شأنه أن يسيء لسمعته كمؤرخ؛ وهو القائل "... ولكن بما أنها أفعال ارتكبها الإمبراطور، وأمور رأيتها بنفسي وسمعتها تفصيلا لأني كنت حاضرا وقت وقوعها وتكلمت خلالها، فمن واجبي والحال هذه ألا أكتم شيئا وأن أنقل هذه الأمور حتى تطلع عليها الأجيال القادمة..."، : (*تاريخ ديون*، LXXII، 18).

برينيس[1] (Pérennis)، ارتكب القيصريون (les Césariens)– وكان يتزعمهم كليأندر[2] (Cléander) – جرائم شتى، وباعوا كل شيء، ولجؤوا إلى العنف وشطّوا شططاً[3]. أما كومود (Commode)، فإنه استسلم معظم حياته للملذات وحب الخيول وقتال الحيوانات والمصارعة، دون الحديث عما كان يجري في داره. وغالباً ما كان يقتل علناً عدداً غفيرا من الناس والحيوانات. وهكذا قتل بمفرده خمسة أفراس نهر[4] في مرة واحدة، كما قتل خلال عدة أيام فيلين ؛ وعلاوة على ذلك، قتل أيضاً وحيدي قرن وزرافة. هذا ما يمكنني قوله بصفة عامة بخصوص مُلك هذا الإمبراطور.

11– ولقد تم نصب تمثال على شرف فكتورينوس[5] (Victorinus) الذي كان حاكما لروما. ولم يذهب فكتورينوس (Victorinus) ضحية مؤامرة ما ؛ وذات يوم انتشرت عدة شائعات مفادها أن هلاكه قريب، فقصد برينيس (Pérennis) وخاطبه قائلاً : « علمت أنك تريد قتلي، فلم التردد وتأجيل ذلك وأنت قادر عليه اليوم ؟ ». وبالرغم من ذلك، فإن فكتورينوس (Victorinus) لم يتعرض لأي أذى يذكر، ومات حتف أنفه ؛ ثم إنه كان من بين

أولئك الذين كرمهم مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) بأكثر ألقاب الشرف[6]، وكان أبرز رجال عصره بسالة وأحسنهم بياناً. وسأذكر مثالين كافيين لوصف كريم خلقه. فخلال الفترة

---

[1] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 23-29.

[2] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 37-40.

[3]– ، راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– راجع الفصل 18 من هذا الكتاب. وفيما يخص أفراس النهر ووحيدي القرن، كان الإمبراطور أغسطس أول من استقدمها إلى روما، راجع: *تاريخ ديون*، LI، 22.

[5]– عدة أشخاص يحملون هذا الاسم في هذا العصر. فهناك كورنيليوس فيكتورينوس (Cornélius Victorinus)، نائب الولاية في عهد أنطونينس التقي (Antonin le Pieux) (كبيتولان، 8)، وفوريوس فيكتورينوس (Furius Victorinus)، الذي كان هو أيضا نائبا للولاية في عهد مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) (كبيتولان، 14). ولكن لا يتعلق الأمر هنا بأي أحد منهما، نظرا لأن نيابة الولاية كانت تمنح لطبقة الفرسان، بينما كانت ولاية روما تمنح لمواطنين من الدرجة الأولى، بل حتى لمن شغلوا منصب قنصل. وبالتالي فقد يتعلق الأمر هنا بأوفيديوس فيكتورينوس (Aufidius Victorinus) الذي شغل منصب قنصل للمرة الثانية صحبة كومود (Commode) سنة 939 (من تقويم روما)، والذي كاتبه مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) مرارا. ويقول ديون بخصوصه أنه عاصر هذين الإمبراطورين.

[6]– يقول كبيتولان أن مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) كان يحب من بين زملائه في الدراسة، السيناتوسيين سييوس فوسكيانوس (Seius Fuscianus) وأوفيديوس فيكتورينوس (Aufidius Victorinus) بصفة خاصة؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, III, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

التي كان قد تولى فيها قيادة الجيش في جرمانيا[1]، حاول ذات يوم إقناع أحد ضباطه، رأساً لرأس في بداية الأمر، حتى لا يرتشي من الناس بواسطة الهدايا التي تقدم له ؛ وأمام رفض الضابط طاعة قائده، ارتقى هذا الأخير منبر محكمته، وبعد أن نادى المنادي في الجند بأن يلتزموا الصمت، أقسم أنه لم ولن يقبل الهدايا أبداً في حياته، ثم طلب من ضابطه أن يقسم بدوره ؛ وبما أن هذا الأخير رفض أن يحنث، أعفاه من سائر مهامه. وبعد ذلك، وخلال حكمه لإفريقيا (Afrique)، عوض أن يتصرف التصرف نفسه مع أحد مساعديه الذي سلك سلوك الضابط الآنف الذكر في جرمانيا، فإنه أرسله إلى روما على متن سفينة. هكذا كان خلق فكتورينوس (Victorinus).

12- وأصبح كليادر (Cléander) يتمتع بسلطة كبرى بعد موت برينيس (Pérennis)، وقد كان بيع في سوق النخاسة مع رفاق آخرين له في العبودية، وسيق إلى روما حيث اشتغل حمالاً. ومع مضي الوقت، حالفه الحظ وعلا نجمه إلى درجة أنه أصبح خادماً خاصاً لكومود (Commode) وتزوج حظيته دموسطراطيا[2] (Damostratia)، ثم قتل من بين من قتل سوطير النيكوميدي (Saoter de Nicomédie)، الذي كان يشغل المنصب الذي خلفه فيه كليادر (Cléander)، مع أن سوطير (Saoter) هذا كان يتمتع بدوره بسلطة هامة، وهي السلطة التي حصل بفضلها من السيناتو على السماح لسكان نيكوميديا (Nicomédie) بالاحتفال بألعابهم ورفع هيكل لكومود (Commode). فبفعل الحظ إذن، علا نجم كليادر (Cléander) علواً جعله يمنح ويبيع مراتب شرف أعضاء السيناتو، والوظائف في الجيش والأقاليم، ومناصب القيادة وكذا كل شيء يمكن بيعه. وبعد أن أنفق العديد من الناس كل ما كانوا يملكونه، أصبحوا أعضاء في السيناتو، كما حدث ليوليوس سولون (Julius Solon) الذي كان رجلاً وضيعاً، وبعد أن سُلبت أملاكه، نُفي إلى السيناتو، كما كان يقال بشأنه. هذه هي أفعال كليادر (Cléander) ؛ وعلاوة على ذلك، فلقد عين خمسة وعشرين قنصلاً

---

[1]- ذكر كبيتولان أن وأوفيديوس فيكتورينوس (Aufidius Victorinus) أرسل لمحاربة الكاطيين (les Cattes) في جرمانيا؛ راجع:
Julius Capitolinus, Vie de Marc-Antonin-le-philosophe, VIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- كان كليادر (Cléander) يزني بحظايا كومود (Commode)، ربما بأمر من هذا الأخير، وولد له منهن أطفال قُتلوا مع أمهاتهم بعد موته. ولكن الأمر هنا يتعلق بزواج شرعي بداموستراتيا (Damostratia)، مثله مثل زواج إكليكتوس (Eclectus) بمارسيا (Marcia) (*تاريخ ديون* LXXII ، 4)؛ راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, V, et VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

في السنة الواحدة[1]، وهو ما لم يقع أبداً فيما قبل ولا فيما بعد، وكان في عداد هؤلاء القناصل سيفير (Sévère) الذي أصبح إمبراطوراً فيما بعد. ولقد جبى كلياندر (Cléander) المال أنّى كان، وجمع أكثر مما جمعه أي خادم خاص بالإمبراطور قبله، واستعمل هذا المال لتقديم الهدايا لكومود (Commode) وحظاياه، كما أنفقه في تشييد المباني والحمامات ومنشآت أخرى مفيدة للخواص وللمدن.

13– وبعد أن سما كلياندر (Cléander) إلى أعلى المراتب، هوى نجمه فجأة وقُتل شر قتلة. ولم يقتله الجند كبرينيس (Pérennis)، بل قتله الشعب. فلقد عرفت روما نقصاً كبيرا في القمح، وكان ديونيزيوس بابيريوس (Dionysius Papirius) على رأس مصلحة التموين آنذاك، وعمل عن قصد على الزيادة في حدة هذه الأزمة حتى يعتقد أفراد الشعب أن سرقات كلياندر (Cléander) هي سبب هذا القحط الذي أصابهم[2]، ويثير بذلك بغضاءهم ويحرضهم على قتله. وهو ما حدث بالفعل. فلقد كان الناس يتفرجون على ألعاب السيرك، وفي الوقت الذي كان سينطلق فيه سباق الخيل السابع[3]، نزل إلى السيرك مجموعة كبيرة من الصبيان، وكانت تقودهم عذراء طويلة القامة، يثير مظهرها الذعر، أي كانت تقودهم إلهة، كما اعتُقد في ذلك بعد أن عرفت الحوادث المجرى الذي عرفته. فلقد تفرق الصبيان وصاحوا في حدة مفزعة، واستقبلهم الشعب الذي علا عجيجه وهرول في هرج ومرج قاصداً كومود (Commode) الذي كان يقيم في ربض كوينتيليوس[4] (Quintilius)، داعياً للأمير بالخيرات، وعلى كلياندر (Cléander)، بألف شر. فأرسل كلياندر (Cléander) ضد الشعب الجنود الذين جرحوا وقتلوا العديد من الناس ؛ غير أن الشعب لم يقف في تقدمه، فلقد رأى أنه كان كثير العدد وتسانده قوة الحرس الإمبراطوري، فحث خطاه والحال هذه أكثر فأكثر. وعند اقترابه من

---

[1]– راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– كان كلياندر (Cléander) هو الذي سبب في هذا القحط بجمعه كل ما أمكنه جمعه من كميات القمح المتوفرة آنذاك، خدمة لمصالحه وطموحه. ولقد أشار لامبريد إلى هذا القحط دون ذكر اسم كلياندر (Cléander)، إلا أنه أورد خبر قتل كومود (Commode) للمحتكرين الذين سببوا في القحط المذكور، وقد يكون كلياندر (Cléander) ووالي المحاصيل ديونيزيوس بابيريوس (Dionysius Papirius) من بينهم.

[3]– كان هناك أربعة وعشرون سباق خيل في روما، تنطلق خلال كل واحد منها أربع كُدْرَيْجات (مركبة بدولابين تجرها أربعة جياد) تُصفّ الواحدة بجانب الأخرى، بعد أن يتم خروجها من أربعة أبواب مختلفة.

[4]– بعد أن نجا من تآمر مطيرنوس (Maternus) الذي كان وراء حرب الفارين من الجندية، لم يعد كومود (Commode) يظهر أمام الناس إلا نادرا. وظل يقيم في ربض كوينتيليوس (Quintilius) الذي بقي يسمى باسم هذا الأخير، بالرغم من أن الأخوين كوينتيليوس (Quintilius) كانا قد قُتلا، وصودرت أملاكهما؛ راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب.

القصر، وبما أن أي أحد لم يخبر كومود (Commode) بما كان يحدث، فإن مارسيا[1] (Marcia)، حظية كوادراتوس (Quadratus)، أطلعته على ما كان يجري. وبما أن الأمير كان جد جبان، فإنه أصيب بذعر شديد وأعطى أمره على الفور بقتل كليساندر (Cléander) وابنه الذي كان صبياً يربيه كومود (Commode) في القصر. فرمي بالطفل وحطم على الأرض، أما كليساندر (Cléander)، فلقد تمكن منه الرومان، وجروا جسده وأهانوه، وحزوا رأسه ورفعوه فوق حربة وتجولوا به في كل أنحاء المدينة. ولقد تم أيضاً تقتيل عدد كبير من أولئك الذين كانت لهم في عهده سلطة هامة.

14– ولكي يتنفس كومود (Commode) بعد الملذات والسلوة التي كان غارقاً فيها، فقد كان يريق الدم ويهلك شرفاء المواطنين[2] ؛ وكان من بينهم يوليانوس[3] (Julianus)، نائب الولاية الذي كان كومود (Commode) يضمه بين ذراعيه ويقبله علناً ويطلق عليه اسم الأب ؛ وكذا يوليوس ألكسندر (Julius Alexander) الذي أماته لقتله أسداً بضربات الرمح وهو راكب فرسه. ولما فهم ألكسندر (Alexander) أن القتلة جاءوا لقتله، استغل ظلام الليل لقتلهم وقتل أعدائه من بين الإيميسيين (Emésiens) مواطنيه ؛ وبعد ذلك امتطى صهوة جواده وفر إلى الباربار. وكاد أن ينجو بنفسه لولا غلام عرقل الأمر. فلقد كان ألكسندر (Alexander) فارساً ماهراً، غير أنه لم يطق ترك الطفل المنهوك القوى ؛ ولما حوصر، قتل رفيقه ثم وضع حداً لحياته[4]. وقتل كومود (Commode) أيضا ديونيزيوس

(Dionysius) رئيس مصلحة التموين. وظهر وباء من أخبث الأوبئة التي سمعت بها، فغالباً ما كان يقضي نحبه في روما ألفا شخص في اليوم الواحد[5]. وفضلا عن ذلك،

---

[1]– حسب هيروديان، فإن فديلا (Fadilla)، أكبر أخوات كومود (Commode) سنا بعد مقتل أخته لوكيا (Lucilla)، هي التي أطلعته على ما كان يجري؛ راجع:

Hérodien, Histoire romaine, *op. cit., Livre I, 39.*

[2]– بعد رجوعه إلى روما، لم يعد كومود (Commode) يثق في أي أحد، وبدأ يصغي إلى المفترين، وأهلك العديد من المواطنين، كما ذكر ذلك هيروديان:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I,42.

ولقد أورد لامبريد قائمة بأسماء المواطنين الذين ذهبوا ضحية هذا التقتيل، راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– نفسه.

[4]– راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]– راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 36 :

وخلال هذا الوباء، يطلعنا هيروديان على أن كومود (Commode) انعزل في لورونط (Laurente) بناء على نصائح أطبائه، نظرا لنقاء هواء هذا المكان المكسو بأشجار الغار الكثيفة التي اشتق منها اسمه (لوروس

مات عدد غفير من أشخاص آخرين، ليس في الحاضرة فحسب، بل في كل ربوع الإمبراطورية إن صح القول، وقد ذهبوا ضحايا أثمة كانوا يتسلحون بسفافيد صغيرة يدهنونها بسم قاتل، و يُسمِّمون الناس مقابل أجر كانوا يتقاضونه. وكان ذلك قد وقع من قبل في عهد دوميتيانوس (Domitien). غير أن موتهم لم يؤخذ بعين الاعتبار.

15– وكان كومود (Commode) بالنسبة للرومان أشد فتكاً من كل الأوبئة وأكثر شرّاً من كل سحر مؤذ، وذلك لعدة أسباب، كالأمر الذي أصدره تحت التهديد بخصوص تحويل تلك المراسيم التي نشرت تعبيراً عن الود الذي كان المواطنون يكنونه لأبيه، لصالحه. وهكذا أمر أن تسمى روما نفسها كومودية[1]، وتسمى الجيوش أيضا كومودية، وأن يطلق على اليوم الذي نشرت فيه هذه المراسيم كومودي. واتخذ لنفسه عدة ألقاب، من بينها هرقل. وروما كذلك (وكان يريد أن تشتهر بكونها استعمرت من طرفه) لقبت بألقاب الخالدة والسعيدة والمستعمرة العالمية للأرض. ورفع له تمثال من الذهب مع ثور وبقرة، بلغ وزن الكل ألف رطل ؛ وبلغ الأمر إلى حد إطلاق أسمائه على كل أشهر السنة[2] التي أصبحت تعد كالتالي : أمازونيوس[3] (Amazonius)، إنفيكتوس (Invictus)، فليكس (Felix)، بيوس (Pius)، لوكيوس (Lucius)، أيليوس (Ælius)، أوريليوس (Aurelius)، كومودوس (Commodus)، أوغوسطوس (Augustus)، هرقليوس (Heracleus)، رومانوس (Romanus)، إكسوبيراطوريوس (Exsuperatorius). وكان يتخذ بالفعل تارة أحد هذه الأسماء، وتارة غيره ؛ أما اسما أمازونيوس (Amazonius) وإكسوبيراطوريوس (Exsuperatorius)، فإنه أطلقهما على نفسه بشكل دائم وكأنه قاهر الناس جميعاً. إلى هذا الحد بلغ جنون هذا الوحش. وكان يكتب إلى السيناتو على هذا الشكل: « الإمبراطور قيصر (César)، لوكيوس أيليوس أوريليوس (Lucius Ælius Aurelius)، كومود (Commode)، أوغوسطوس (Auguste)، التقي (Pieux)،

« *laurus* » باللاتينية يعني الغار « laurier » بالفرنسية). فلقد أشاد أطباؤه بهذه الأرض العذيّة في مأمن من العدوى... ولقد استفحل الداء في روما يوما بعد يوم، وحصد عددا لايحصى من الضحايا.

[1]– راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, VIII, et XV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– يشير هيروديان (I ، 14) إلى أن معظم هذه الأسماء مستمدة من هرقل. أما فيما يخص أمازونيوس (Amazonius)، فسببه حسب لامبريد يرجع إلى الحب الذي كان كومود (Commode) يكنه لمارسيا (Marcia) التي كان يسر برسمها على شكل أمزونية (amazone) ...؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 14 ;
Aelius Lampridius, Vie de Commode, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

السعيد (Fortuné)، السرمتي (Sarmatique)، الأكبر (Très Grand)، الجرماني (Germanique)، البريطاني (Britannique)، المحل للسلام في العالم، الذي لا يُغلب، هرقل الروماني، الكاهن الأكبر في السنة الثامنة عشرة من سلطته التريبونية، إمبراطورا (*imperator*) للمرة الثامنة، قنصلاً للمرة السابعة، أب الوطن، يقرئ السلام على القناصل والحكام وتريبونيي الشعب والسيناتو الكومودي السعيد». ولقد نصبت له تماثيل كثيرة تحمل رموز هرقل[1]. واتخذ قرار إطلاق القرن الذهبي على مدة ملكه[2]، ووضع هذا الشعار – القرن الذهبي – في مستهل كل القرارات، بدون استثناء.

16– وفي بعد ظهر أحد الأيام، وفجأة، خرج الأمير الذهبي، هرقل، الإله (لأنه سمي بهذا الاسم أيضاً) مسرعاً من ربضه في روما، وتبرع في ظرف ساعتين بثلاثين سباق خيل[3]. ولم يكن ذلك السبب الوحيد الذي جعله يحتاج للمال. فلقد كان جزيل العطاء، ووزع على الشعب مراراً مائة وأربعين دراخمة للفرد، غير أن معظم نفقاته كانت تصرف فيما ذكرته سابقاً. ولأجل ذلك، كان يلفق التهم للنساء والرجال، ويأمر بقتل بعضهم، ويسلب البعض الآخر ماله مقابل تركه على قيد الحياة. وأخيراً، في يوم ميلاده، أمرنا رجالاً ونساء وأطفالاً بأداء ضريبة سنوية مقدارها ديناران ذهبيان للفرد الواحد، وحوالي خمس دراخمات لأعضاء مجلس الشيوخ في كل المدن الأخرى. ولم يستفد من هذا المال، وإنما بذره تبذيراً في تنظيم سباقات الخيول وصراعات المجالدين.

17– ولم يقد أبداً أية عربة جهاراً، إلا ما يمكن أن يكون قد حصل في بعض الليالي غير المقمرة ؛ وقد تمالك عن ذلك خجلاً من أن يراه الناس، بالرغم من رغبته في ممارسة هذا الفن أمام الملأ. غير أنه كان يتعاطاه باستمرار، خفية، ومرتدياً كسوة خضراء. ولم يمنعه خجله من الناس، من نحر العديد من الحيوانات سراً وعلانية. كما لم يتوقف عن المصارعة في قصره، على طريقة المجالدين، حتى أنه أراق الدم في داره. (وفي مرات أخرى، كان يتسلح بموسى وكأنه يريد حلق شعر المجالدين، ثم يجدع أنوف البعض، ويقطع أذناً أو أعضاء أخرى للبعض الآخر). ولم يكن يظهر أبداً علناً بدون سيف ومن غير أن يكون ملطخاً بدم البشر. وقبل أن يأتي إلى المدرج، كان يرتدي قميصاً

---

[1]- Aelius Lampridius, Vie de Commode, IX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- Aelius Lampridius, Vie de Commode, XIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– كان كومود (Commode)، مثله مثل نيرون (Néron)، (Suétone, *Néron*, 22)، قد زاد في عدد سباقات الخيل التي كان عددها فيما قبل، أربعة وعشرون سباقا. راجع : الفصل XIII من هذا الكتاب، الهامش 3، ص. 51.

كماه من حرير أبيض، وقد طرز بالذهب، (وفي هذا الزي كنا نحييه)، ثم يلبس عند دخوله إلى المدرج قميصاً أرجواني اللون، وسلهاماً قصيراً أرجوانياً كذلك، على طريقة الإغريق، وتاجاً مرصعاً بجواهر الهند والذهب، ويدخل ماسكاً بصولجان كميركور (Mercure). أما جلد الأسد والدبوس، فإنهما كانا يحملان أمامه في الشوارع ؛ وفي المدرج، حاضراً كان أو غائباً، فإنهما كانا يوضعان على منصة مذهبة. وكان يدخل المدرج مرتدياً لباس ميركور (Mercure)، وبعد نزعه ثيابه الأخرى، يباشر عمله مرتدياً قميصه فقط، وحافي القدمين.

18– ولقد قتل لوحده في اليوم الأول مائة دب، رمياً بالأسهم، من أعلى محيط المدرج. وكان المدرج مقسماً بحواجز على شكل أقطار، يعلوها طريق دائري، وتتقاطع هذه الحواجز القطرية مثنى حتى تقسم الحيوانات إلى أربع مجموعات، غير بعيدة عن بعضها البعض، ويتم بالتالي طعنها بسهولة. ولما كان يتعب عند منتصف الصراع، كان يشرب في كأس على شكل دبوس، خمراً معسولة مرطبة تسقيها إياه امرأة[1] ؛ وفي نفس الوقت، كان الشعب ونحن جميعاً نصرخ عاش، كما جرت العادة أن يصرخ المرء في الولائم. ولا يظن أحد أنني برواية أشياء كهذه، سأدنس عظمة التاريخ. فلو كانت هذه الوقائع تافهة لما حكيتها، ولكن بما أنها أفعال ارتكبها الإمبراطور، وأمور رأيتها بنفسي وسمعتها تفصيلاً لأني كنت حاضراً وقت وقوعها وتكلمت خلالها، فمن واجبي والحال هذه ألا أكتم شيئاً وأن أنقل هذه الأمور حتى تطلع عليها الأجيال القادمة، وكأن الأمر يتعلق بأحداث جسام في غاية الأهمية. وفيما يخص بقية الأحداث التي وقعت حينئذ، سأكون أكثر دقة في روايتي هاته بالمقارنة مع روايتي السالفة، لأنني عشت أحداثها، ولأني لا أعرف من بين من قد تكون لهم القدرة على تدوين تاريخها بشكل مناسب، أحداً له اطلاع دقيق عليها كاطلاعي.

19– هذا ما حدث في اليوم الأول، وخلال الأيام التالية، فإنه بعد نزوله من أعلى مكانه إلى أرض المدرج، قتل كل الحيوانات التي اقتربت منه، وهي إما حيوانات قدمت له، أو أتي بها داخل أقفاص ؛ ثم نحر ببراً وفرس نهر وفيلاً، وانصرف بعد ذلك. ولما فرغ من عشائه فيما بعد، تصارع كمجالد. وكان يقوم بتمارين أصحاب هذه المهنة، ويستعمل سلاح أولئك الذين يسمون بالسيكوتوريين (*secutores*) الذين كانوا يتصارعون بترس في ذراعهم اليمنى، ممسكين بسيف خشبي في يدهم اليسرى ؛ لأنه كان فخوراً بكونه أعسر. وكان

[1]– يطلعنا لامبريد على أن كومود (Commode) غالبا ما كان يشرب الخمر أمام الملأ، في المسرح وخلال الألعاب؛ راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, XIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

خصمه إما رياضياً أو مجالداً يتناول مقرعة، وهو خصم تارة يتحداه كومود (Commode)، وتارة يختاره الشعب، لأنه كان يقبل بهذا الدور ويخضع لكل الواجبات، شأنه شأن باقي المجالدين، مع فرق واحد، وهو أن هؤلاء المصارعين كانوا يأتون إلى المدرج مقابل أجر زهيد، في حين كان كومود (Commode) يُمنح في كل يوم مائتين وخمسين ألف دراخمة تقتطع من الأموال المخصصة للمجالدين. وعندما كان يتصارع، كان يقف إلى جانبه كل من أيميليوس ليتوس (Æmilius Lætus) نائب الولاية، وإكليكتوس (Eclectus) خادمه، وبعد تصنع القتال والانتصار بطبيعة الحال، كان يقبل صاحبيه وهو مرتدٍ لباسه ودون أن يخلع خوذته. وبعده، كان المجالدون الآخرون يتصارعون فيما بينهم. ففي اليوم الأول، قام بنفسه من أسفل المدرج بقرن المجالدين إثنين إثنين، وهو يرتدي اللباس الكامل لميركور (Mercure)، وبيده قضيب من ذهب، وجالس على عرش من ذهب أيضاً، وهي حالة بدت لنا كأعجوبة. وجلس بعد ذلك على كرسيه المعتاد من حيث شاهد معنا بقية المشهد ؛ ولم تكن هناك أدنى تسلية فيما جرى فيما بعد : فلقد هلك جم غفير من الناس. وبما أن بعض المجالدين أبطؤوا في قتل خصومهم، فإنه قيدهم مثنى وأمرهم بالقتال جميعاً في الوقت نفسه. وهكذا تصارع أولئك الذين كانوا مقيدين مع بعضهم البعض، الواحد ضد الآخر، وقتل بعضهم ناساً بدون أدنى حق، لأنهم وُجدوا ساعتها وسط المصارعين، مرتبكين في الزحام، لا مفر لهم في مكان ضيق.

20- وإجمالاً، استغرق هذا المشهد أربعة عشر يوماً ؛ وكلما كان الإمبراطور يصارع، كنا نذهب، نحن أعضاء مجلس الشيوخ صحبة الفرسان، إلى المدرج، باستثناء الشيخ كلاوديوس بومبيانوس[1] (Claudius Pompéianus) الذي لم يظهر في المدرج أبداً. فلقد كان يبعث أولاده، ولكنه لم يأت شخصياً ولو مرة واحدة، مفضلاً أن يقتل بسبب هذا الرفض على أن يرى الإمبراطور، ابن مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) يحط من قدره بنفسه بهذا الشكل. وعلاوة على الهتاف العادي، كنا نرفع أصواتنا باستمرار مرددين، كما أمرنا بذلك : « أنت السيد، أنت الأول، أنت أسعد الناس قاطبة. أنت المنتصر، وستظل كذلك إلى الأبد، أيها الأمازوني (*Amazonius*)، إنك المنتصر». والكثير من الناس لم يأت إلى المدرج ؛ بعضهم، بعد أن ألقى نظرة على ما يقع، رجع من حيث أتى، خجلاً مما كان يجري بداخله، وخوفاً من

---

[1]- زوج لوكيا (Lucilla)، أخت كومود (Commode) وأرملة فيروس (Vérus)،(*تاريخ ديون*، LXXI ، 3، وLXXII، 4). ولقد عاش إلى غاية عهد ديديوس يوليانوس (Didius Julianus)، ولكن منعزلا في طيراسين (Terracine). وكان يوليانوس (Julianus) قد استدعاه ليشارك في الحكم، غير أنه اعتذر إليه بحجة سنه وقصر نظره.

إشاعة انتشرت بين الناس، مفادها أن كومود (Commode) كان ينوي رمي المتفرجين كما رمى هرقل طيور السطامفال (Stymphale). ولقد صدقت هذه الإشاعة، لأنه جمع في أحد الأيام كل أولئك الذين كانوا في المدينة عاجزين عن المشي، إما نتيجة لمرض أو حادثة ما، وربط حول ركبهم صور ثعابين ؛ وبعد أن أعطاهم إسفنجات لرميه بها بدلا من الأحجار، فإنه دق رؤوسهم بالدبابيس وكأنهم العمالقة[1].

21– ولقد عم هذا الخوف الجميع، نحن والآخرين. وأتى الإمبراطور أيضاً أمراً يتعلق بنا نحن السيناتوسيين ؛ ولم يكن هذا الأمر في نظرنا دليلاً واهياً على قرب هلاكنا. فبعد أن قتل نعامة وحز رأسها، تقدم نحو المكان حيث كنا جالسين، ماسكاً ذلك الرأس بيده اليسرى بينما كانت يده اليمنى ترفع السيف الملطخ بالدم، دون أن يهتف بأدنى كلمة، ثم حرك رأسه فاتحاً فاه وكأنه يريد أن يظهر لنا أنه قادر على أن يفعل بنا ما فعله بالنعامة. وأمام هذا المشهد، أخذ بعضنا في الضحك – لأننا كنا نستسلم للضحك أكثر مما نستسلم للحزن – وكنا سنقتل بضربة سيف لو لم أضع بنفسي في فمي أوراق الرند التي اقتلعتها من إكليلي[2]، وأنصح من كانوا بجانبي أن يفعلوا الشيء نفسه حتى تدل حركة شفاهنا الدائمة على أن الأمر يتعلق باللوك ولا يشك في الضحك. وفي هذه الأثناء، أبى إلا أن يشيع في أنفسنا حبوراً، لأنه في الوقت الذي كان يستعد فيه للصراع من جديد على طريقة المجالدين، أمرنا بأن نتوجه إلى المسرح في زي الفرسان، مرتدين لباساً سميكاً، وهو اللباس الذي لم

نكن نرتديه أبداً للذهاب إلى المسرح، وإنما كنا نلبسه عند موت الإمبراطور[3]. وبالإضافة إلى ذلك، ففي آخر يوم من العروض، سقطت خوذته عند ارتطامها بالباب الذي تخرج منه جثث الموتى [الباب الليبيتيني[4] (*porta Libitinensis*)]. وبحدوث هذين الأمرين، اقتنع الكل بأن هلاكه على أي حال وشيك.

22– ومات فعلاً، أو على الأصح، قُتل بعد ذلك بقليل. فلقد أغاظ شطط كومود (Commode) ليطوس (Lætus) وإكليكتوس (Eclectus) اللذين كانا علاوة على ذلك، يخشيان

---

[1] - Aelius Lampridius, Vie de Commode, IX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– لم يكن أفراد الشعب وأعضاء السيناتو فقط هم الذين يكللون بأكاليل من الرند، بل حتى الجند، وذلك قصد تشريف الأمير. ولقد سبق لديون (LXIII، 4)، في إطار حديثه عن استقبال نيرون لتيريدات (Tiridate) ، أن وصف صفوف أفراد الشعب في ميدان روما، وهم مزينون بملابس بيضاء وبأكاليل من الرند... وراجع أيضا: *تاريخ ديون*، LXXIV، 1.

[3] - Aelius Lampridius, Vie de Commode, XVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– كان للمدرجات بابان، الباب الليبيتيني (*porta Libitinensis*)، والباب السانافيفاري (*porta Sanavivaria*).

تهديداته، (وكان يتوعدهما لأنهما كانا يحولان بينه وبين جوره) ؛ فدبرا خطة هلاكه. وبالفعل، كان كومود (Commode) قد صمم على قتل القنصلين إريكيوس كلاروس Erycius (Clarus) وسوسيوس فلكون (Sossius Falcon)، والخروج في فاتح يناير بصفته قنصلاً وسكتوراً (*secutor*) إلى المكان الذي كان يُطعَم فيه المجالدون، لأنه كان يشغل هناك الحجرة الأولى وكأنه أحدهم[1]. ولن يكذبني أحد، لأن هذا الأمير، بعد اقتلاع رأس الجبار (le Colosse) وتعويضه بصورة لرأسه، ثم تسليحه بدبوس ووضع أسد من البرونز إلى جانبه، حتى يشبه هذا التمثال هرقل (Hercule)، أمر بنقش نقيشة تحمل علاوة على الأسماء المذكورة أعلاه، ما يلي: « مصارع السيكوتوريين (*secutores*) الأول، الذي بما أنه أعسر، قهر وحده، أعتقد، اثني عشر ألف رجل»[2]. وحمل هذا الشطط ليطوس (Lætus) وإكليكتوس (Eclectus) على تدبير مؤامرة ضده، ثم أطلعا مرسيا (Marcia) عليها. وهكذا، في ليلة آخر يوم من السنة، بينما كان المواطنون يحتفلون بالعيد، دسا له السم في لحم البقر، بواسطة مرسيا[3] (Marcia). غير أن إفراطه بشكل دائم في شرب الخمر

والاغتسال في الحمام، عوض أن يسببا في موته على الفور، فإنهما أديا إلى تقيئه، الشيء الذي أثار فيه الشكوك التي تحولت إلى تهديدات. وفي هذا الحال، أرسل إليه المتآمران مدرباً للرياضيين يسمى نرسيس (Narcisse) الذي خنقه داخل الحمام. هكذا كانت نهاية كومود (Commode) بعد حكم دام اثني عشر عاماً وتسعة أشهر وأربعة عشر يوماً. ولقد عاش واحداً وثلاثين سنة وأربعة أشهر ؛ وبموته، لم يعد حكم الإمبراطورية في أسرة الأوريليين[4] (les Aurèles).

---

[1]– كان المجالدون يسجنون في حجرات حيث كانوا يُتغذّون ويُدربون، غير بعيد عن المدرج.

[2]– فيما يخص الجبار، راجع: *تاريخ ديون*، LXVI، 15؛ و:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, XVII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الذي ذكر أن كومود (Commode) قام بقطع رأس الجبار الذي كان يمثل نيرون (Néron)، ووضع محله رأسه. ثم أضاف إلى التمثال دبوسا وإهاب أسد، وأمر بنقش الكلمات التالية على قاعدة التمثال: لوكيوس كومود هرقل (Lucius Commode Hercule).

[3]– يحكي هيروديان خبر قتل كومود (Commode) بطريقة مختلفة؛ وتشبه روايته في عدة أوجه موت دميسيان كما ورد في *تاريخ ديون*، LXVII، 15. وبالرغم من اختلاف الروايات بخصوص هذا القتل، فلقد أجمع المؤرخون على أن كومود (Commode) سُمّ ثم خنقه رياضي يدعى نرسيس (Narcisse) بعد ذلك، نظرا لأن السم لم يعمل فيه بطريقة فعالة؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 54-55.

[4]– اتخذ كل من الأباطرة كركالا (Caracalla)، وماكران (Macrin)، والاجبل (Elagabale)، والأسكندر سيفير (Alexandre Sévère) اسم أوريليوس (Aurélius)، كما اتخذ عدة أمراء فيما بعد اسم أنطونينس (Antonin).

23- أعقبت موت كومود (Commode) حروب وفتن في غاية الخطورة، ولقد دونت تاريخها بالمناسبة التالية. كنت قد نشرت كتاباً[1] عن الأحلام والرموز التي عقد عليها سيفير (Sévère) آمالا كباراً ليصل إلى حكم الإمبراطورية ؛ وبعد قراءته، أجابني سيفير (Sévère)، الذي كنت قد بعثت إليه الكتاب، بعبارات لطيفة. وبعد توصلي بالرسالة في المساء، نمت، وخلال منامي، أوحى إلي جنّيي بكتابة التاريخ. هكذا بدأت هذا المشروع. وبما أن هذا المؤلف نال إعجاب الجميع، وخاصة سيفير (Sévère) بنفسه، شعرت آنذاك بالرغبة في كتابة تاريخ لكل الأحداث الأخرى التي تهم الرومان. لذلك صممت على عدم ترك هذا المؤلف الأول وحيداً، ودمجه في هذا التاريخ، حتى أدون في كتاب واحد كل ما حدث من البداية إلى الزمن الذي تريده ربة الحظ (la Fortune). فلقد شجعتني هذه الإلهة على كتابة التاريخ لما كنت أتحفظ وأخشى أن أقوم بذلك، وحفزتني على هذا الأمر في منامي لما كانت الصعوبة تدفعني إلى التخلي عن مشروعي هذا، ومنحتني الأمل الجميل في أن عملي هذا سيدوم، وأن الزمن لن يشوهه في شيء. ولقد وجدت في هذه الإلهة، على الأرجح، الساهرة على تقويم سلوكي في الحياة ؛ ولهذا السبب كرست نفسي لها. وقضيت عشر سنوات في جمع أخبار كل الأحداث التي وقعت منذ بداية تاريخ الرومان إلى موت سيفير (Sévère)، واثنتي عشرة سنة أخرى في استيعابها ؛ أما بقية هذا التاريخ، فسأكتبها كلما وقعت أحداث جديدة.

24- على كل حال، فلقد سبقت موت كومود (Commode) العلامات التالية[2] : أتى سرب كبير من العقبان حلقت فوق الكابيتول (le Capitole) مرسلة صياحاً لا ينبئ بالخير، كما سمع صياح بومة في المكان نفسه. وشب حريق خلال الليل في إحدى الدور، ثم انتقل إلى هيكل السلام (la Paix)، وأتى على مخزن سلع مصر والجزيرة العربية[3] ؛ واضطرمت النار واشتد لهيبها وامتدت إلى القصر حيث ألحقت أضراراً عديدة حتى أنها التهمت كل وثائق الدولة تقريباً[4]. وكان ذلك مؤشراً على أن هذه الآفة لن تقتصر على

---

[1]- لقد ضاع هذا الكتاب، إلا أن المؤلف (LXXIV، 3) يذكر بعض هذه الأحلام والأعاجيب.

[2] - راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, XVI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- أمر الأسكندر سيفير (Alexandre Sévère) ببناء مخازن عمومية في كل أحياء روما لصالح من لم يكن لهم مكان في دورهم لحفظ محاصيلهم؛ راجع:

Aelius Lampridius, Vie de Commode, XXXIX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- يتعلق الأمر بوثائق " *Commentarii Principales* " التي ذكرها طاسيط (Tacite, *Histoires*, IV, 40)، والتي كانت محفوظة، حسب ما يعتقد، في معبد أبولون بالاتان (Apollon Palatin). ويحكي هيروديان أنه بعد زلزال خفيف، وبسبب إما انفتاح الأرض، أو صاعقة، شب حريق معبد السلام (la Paix) دون أن يُعرف سببه، وهو المعبد الذي وضع فيه العديد من الناس ثرواتهم. ولقد أتى الحريق فيما أتى عليه، على معبد فيسطا (Vesta)، ودام عدة أيام من غير أن تتم السيطرة عليه، إلى أن أمطرت السماء فجأة فأخمدته؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 44- 45.

روما، بل ستعم كل العالم الخاضع لها. ولم يتمكن العديد من الناس والجنود من إخماد الحريق، بالرغم من أنهم هبّوا لإطفائه بالماء، وأن كومود (Commode) بنفسه هرع إلى المكان من داره في الربض ؛ ولما التهمت النيران كل ما وجدته في طريقها، خمدت لانعدام الوقود.

الكتاب الثالث والسبعون

1- كان برتناكس (Pertinax) أميراً فاضلاً، غير أنه لم يحكم إلا لمدة قصيرة، لأن الجنود قتلوه. وقبل أن يشاع خبر قتل كومود[1] (Commode)، أتى إكليكتوس (Eclectus) وليطوس (Lætus) للقياه وأخبراه بما جرى ؛ ولم يترددا في اختياره إمبراطوراً نظراً لفضيلته ووقاره. ولما رآهما وسمع قولهما، بعث برتناكس (Pertinax) أوفى أصحابه ليرى بأم عينه جثة كومود (Commode). ولما تيقن من خبر موته، توجه خفية إلى المعسكر، وهو ما أذهل الجنود، لكن حضور ليطوس (Lætus) ووعود الإمبراطور الجديد (وعدهم بمنحهم ثلاثة آلاف دراخمة لكل واحد منهم) جعلته يكسب ودهم[2]. وكانوا سيظلون هادئين بكل تأكيد، لولا أنه في نهاية خطابه قال لهم : « رفاق السلاح، لقد عمت فوضى كثيرة في قرننا هذا، ولكن بإعانتكم، سنقضي عليها». ولقد جعلتهم هذه الكلمات يخشون عزمه على تجريدهم من كل الأعطيات التي منحهم إياها كومود (Commode)، والتي كانت خروجاً عن الأعراف، وهو ما أثار غيظهم[3] ؛ غير أنهم ظلوا هادئين وأخفوا حنقهم. وعند خروجه من المعسكر، أتى إلى مجلس الشيوخ ليلاً[4]، وبعد السلام علينا، وقد حاول كل واحد منا

---

[1]- حسب هيروديان، حمل الجثة عبيد أوفياء، وكأنها رِزمة أسمال تم لفها في غطاء بال، وسط حرس سكارى وشبه نيام؛ ثم نقل إلى أريستيوم (Aristéum)؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 1.

[2]- راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

ولقد أبدى الجند في البداية بعض التردد قبل أن يفعلوا ما فعل الشعب، ويعترفوا هم أيضا ببرتيناكس (Pertinax) إمبراطورا، ويسلموا عليه باسم أغسطس (Auguste) وأبي الوطن...؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, LivreII, 8.

[3]- ذكر كبيتولان سببا آخر ساهم في غيظ الجند؛ فلما جاءه التريبيون في اليوم الأول ليطلب منه كلمة الأمر اليومي، أجابه قائلا:" فلنحارب"، وهو الأمر الذي كرره في اليوم التالي، وكذا خلال كل الحروب التي قادها، مزعجا بذلك الراحة التي كان الجند ينعمون بها خلال الحكم السابق؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, V- VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

ومما سبب في غيظ الجند أيضا، الأمر الذي أعطاه لهم بيرتناكس بعدم سب المواطنين وتعنيفهم، ومحاولته إعادة النظام إلى نصابه؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 12.

[4]- راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, I, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Aurelius Victor, *Des Césars*, XVII, 10; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 9.

الوصول إليه وسط هذا الجمع الغفير، خاطبنا مرتجلاً :

« لقد عينني الجنود إمبراطوراً، ولكنني في غير حاجة للسلطة[1]، وأتنازل عن الحكم منذ اليوم بسبب سني وآفات الشيخوخة، وكذا بسبب ما وصلت إليه أحوال الدولة». ولقد جعلنا هذا الخطاب نقرظه تقريظاً صادقاً، وانتخبناه حقيقة، لأنه كان ذا روح طيبة وجسد شديد، اللهم ما كان يشكو منه من ألم خفيف في قدميه.

2- هكذا تم إعلان برتناكس (Pertinax) إمبراطوراً، وكومود (Commode) عدواً، وسط سيل من شتائم السيناتو والشعب[2]. وكان الناس يريدون أن يجروا جسده في الشوارع وأن يمزقوه تمزيقاً، كما فعلوا بصوره ؛ لكن برتناكس (Pertinax) قال لهم أن الجثة قد دفنت[3]، وبالتالي لم يمسوها، غير أنهم سبوا الميت سباً ؛ ولم يسمه أحد من الناس باسم كومود (Commode) ولا إمبراطور، ولكن كانوا ينادونه بطاعون الدولة، والطاغية، ويضيفون على وجه السخرية ألقاب المجالد، وقائد العربات، والأعسر والمصاب بالفتق[4]. وكانت الجماهير تخاطب السيناتوسيين، وخاصة منهم أولئك الذين كان كومود (Commode) قد توعدهم : « تشجع، تشجع، لقد نجوت وانتصرت ». وكل الشعارات الموزونة الإيقاع التي كان يُهتف بها على شرف كومود (Commode) في المسرح، غناها الشعب، ولكن بعد تغيير مدلولها بحيث جعلت كومود (Commode) أضحوكة للناس. فلقد تم التخلص من هذا الأمير، ولم يكن الأمير الآخر يُخشى بعد، وكنا في هذه الأثناء نستمتع بالحرية التي جعلتنا بفضل الأمان الذي كانت تمنحه، قادرين على الكلام بجراءة، لأننا لم نعد نقتع بالتخلص من الخوف، وكنا نريد أن نعبر عن ثقتنا عن طريق التلفظ بالشتائم. وبقدر ما أحسن الناس الظن ببرتناكس (Pertinax)، فإنهم أساؤوا الظن بكومود (Commode) إلى درجة أن أولئك الذين سمعوا بما جرى، خافوا من أن يكون الأمر مجرد شائعة نشرها كومود (Commode) حتى يمتحنهم، وأن الكثير من حكام

---

[1]- يحكي كابيتولان أن برتناكس (Pertinax) حث بومبيانوس (Pompéianus) على قبول منصب الإمبراطور، إلا أن هذا الأخير رفض. وذكر هيروديان كيف أخذ برتناكس (Pertinax) بيد غلابريون (Glabrion) ثم جذبه إليه وأراد أن يجبره على الجلوس في المكان المخصص للأباطرة؛ راجع:
Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, IV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 10.

[2]- راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, XVIII-XIX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aurelius Victor, *Des Césars*, XVII, 10 ; *Abrégé de l'histoire romaine* par Eutrope, *op cit.*, p. 373.

[3]- بأمر من برتناكس (Pertinax)، دُفنت جثة كومود (Commode) ليلا، راجع:
Aelius Lampridius, Vie de Commode, XX ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4] - **Aelius Lampridius, Vie de Commode, XIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

الولايات سجنوا كل من أتاهم بهذا الخبر، ليس لأنهم كانوا راغبين في عدم صحته، ولكن لأنهم، بين تصديق موت كومود (Commode) وعدم الانضمام إلى برتناكس (Pertinax)، فضلوا الخيار الأول، فبعض الشر أهون من بعض. وهكذا كان الكل مطمئناً ولو ارتكب خطأ من هذا القبيل في حق الأمير الجديد ؛ ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لكومود (Commode)، لأن الناس كانوا يرهبون جانبه حتى وإن لم يخطئوا.

3- وبخصوص برتناكس (Pertinax)، فإن مولده كان في ألبا بومبيا (Alba Pompéia) بليغوريا (Ligurie). وهو يتحدر من أب غير شريف النسب ؛ ودرس بما فيه الكفاية ليعيش من ثقافته الأدبية[1]. ولقد جمعت هذه الدراسة بينه وبين كلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) الذي مكنه بفضل نفوذه من الالتحاق بسلاح الفرسان برتبة تريبون[2]، ثم ما فتئ يرتقي حتى أصبح سلطان بومبيانوس (Pompéianus) نفسه. ولقد رأيت، في عهد برتناكس (Pertinax)، بومبيانوس (Pompéianus) هذا لأول وآخر مرة في مجلس الشيوخ ؛ لأنه في عهد كومود (Commode)، كان يقضي معظم حياته في البادية، ولا ينزل إلى المدينة إلا نادراً، بدعوى الشيخوخة ومرض عينيه ؛ ولم يظهر أبداً فيما مضى في مجلس الشيوخ بحضوري. غير أنه بعد موت برتناكس (Pertinax)، مرض من جديد، [لأنه في عهد هذا الأمير، كان يبصر ويتمتع بصحة جيدة، ويقوم بواجباته كعضو في مجلس الشيوخ]. وكان برتناكس (Pertinax) يجلسه إلى جانبه على مقعده في السيناتو، وهو أحد الأدلة على التقدير الذي كان يكنه له. وكان يخص أكيليوس غلابريون[3] (Acilius Glabrion) بنفس التشريف، لأن غلابريون (Glabrion) كان وقتئذ يسمع ويبصر. فبرتناكس (Pertinax) كان إذاً يشرف هذين الشخصين كثيراً، وكان يتصرف معنا بلباقة تامة[4] ؛ كما كان لطيفاً، ودائم الاستعداد للإصغاء إلى مطالبنا، ويجيبنا في رفق ؛ وكان هذا التصرف يبدو له سديداً. وكان يدعونا إلى مائدته التي كان طعامها

---

[1]- راجع بخصوص حياة برتناكس (Pertinax) الذي كان حفيد معتق:
Aurelius Victor, *Épitomé*, XVIII, 4 ; trad. nouv. par M. N. A. Dubois,...Paris : C. Panckoucke, 1846 ; Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, I-III, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, II, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- كان غلابريون (Glabrion) عريقا عالي المنزلة، وتولى القنصلية مرتين.

[4]- Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, IX, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*
إلا أن كابيتولان انتقص فضل برتناكس (Pertinax) فيما بعد بشكل بيِّن، راجع:
Julius Capitolinus., Vie de Pertinax, XII- XIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

بسيطاً[1]، ولما لم يكن يفعل ذلك، كان يبعث بهدايا لهؤلاء وأولئك، وإن كانت أشياء زهيدة الثمن. ولقد أثار تصرفه هذا استهزاء الأغنياء وعلية القوم ؛ أما نحن الذين نفضل الفضيلة على انحراف الأخلاق، فكنا نثني عليه.

4- وكان برتناكس (Pertinax) ما يزال في بريطانيا، بعد قمعه للعصيان الكبير[2]، حيث أظهر أنه كان أهلاً لأن يمدحه الجميع، لما دخل فرس يدعى برتناكس (Pertinax) سابقاً في حلبة روما ؛ وكان هذا الفرس في ملك الخُضر (les Verts)، وكان كومود (Commode) متولعاً به[3]. ولما تعالت أصوات أصحاب هذا الفريق صائحة: « ها هو ذا برتناكس (Pertinax) »، رد عليهم أصحاب الفريق الخصم[4]، وقد كانوا ساخطين على كومود (Commode)، صائحين : « ليته هو ! »، وهم يقصدون في أمنيتهم هذه شخص برتناكس (Pertinax) وليس الفرس. وبعد ذلك، بعث كومود (Commode) في طلب الفرس نفسه، وكان قد أعفي من السباق في الحلبة بسبب كبر سنه، وترك في البادية يعلف[5] ؛ وأتي به إلى السيرك وقد طليت حوافره بماء الذهب وغطي بجل من جلد مطرز بالذهب. ولما رآه المشاهدون وهو يظهر فجأة، هتفوا من جديد: « ها هو ذا برتناكس (Pertinax) ». وكانت هذه الكلمات وحدها بمثابة تنبؤ بالمستقبل، لأنها قيلت خلال الألعاب الأخيرة التي أقيمت في السيرك هذه السنة، وانتقلت السلطة مباشرة بعد ذلك إلى برتناكس (Pertinax). وفي هذا السياق أيضاً، تم الحديث عن الدبوس[6] الذي وضعه كومود (Commode) بين يدي برتناكس (Pertinax) في آخر يوم من الألعاب، عندما كان سيتصارع كمجالد.

5- هكذا وصل برتناكس (Pertinax) إلى الإمبراطورية، وأطلق عليه، بالإضافة إلى الأسماء الأخرى التي تنعت مقامه[7]، لقب آخر يعكس نيته في أن يكون محبوباً من الشعب:

---

[1] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2] -Dion Cassius, *Histoire romaine*, LXVII, 9 ; Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, III, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- كان كومود (Commode) من أكبر أنصار عُصبة الخضر.

[4]- عُصبة الزرق التي كانت بالإضافة إلى عُصبة الخضر، العصبتين الوحيدتين اللتين كانتا تثيران اهتمام المشاهدين، بل وحتى الأباطرة أنفسهم.

[5]- كان نيرون (Néron) (*تاريخ ديون*، LXI، 6) قد خصص أجرة علف للأفراس الشهيرة التي أصبحت مسنة.

[6]- الدبوس، رمز هرقل الذي كان يوضع في المسرح فوق منصة ذهبية، وكان كومود (Commode) يستعمله في بعض الأحيان؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXII، 19 و 21.

[7] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, V, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

فلقد سمي أمير مجلس الشيوخ بالمفهوم القديم للكلمة[1]. وفي الحال، عادت المياه إلى مجاريها بعد الاضطراب الذي عرفته أحوال الدولة واختلال أمورها، وبدت جلية في كل المصالح التي تعمل إلى جانب الإمبراطور، الإنسانية واللطف والاقتصاد، وأعطيت عناية خاصة لكل ما يتعلق بالصالح العام. ومن بين الإجراءات التي اتخذها برتناكس (Pertinax)، وهي الإجراءات التي يمكن انتظارها من أمير طيب، رد الاعتبار إلى الذين سفكت دماؤهم ظلماً، وأقسم علاوة على ذلك بأن لا يفرض أبداً عقاباً كهذا[2]. وفي الحال، بدأ الناس، وعيونهم تذرف الدموع، ونشوة الفرح بادية للعيان، ينادون بأعلى أصواتهم، بعضهم يصيح بأقربائه، والبعض الآخر بأصحابه (لأن ذلك لم يكن مسموحاً به فيما قبل) ؛ ثم أخرجوا الجثث من مدافنها، وكان بعضها ما زال كاملاً، والبعض الآخر عبارة عن أشلاء، حسب الطريقة التي قتل بها كل واحد منهم، أو حسب المدة الفاصلة بين زمن القتل وزمن نبش القبور ؛ وحملوا الجثث بخشوع ثم دفنوها في أضرحة أجدادهم. وكانت موارد بيت المال قد استنزفت بحيث لم يبق فيه إلا عشرون ألف دراخمة[3]. وبالرغم من الأموال التي تم تحصيلها من بيع التماثيل والأسلحة والخيول والأثاث وغلمان كومود (Commode)، وجد برتناكس (Pertinax) صعوبة في أداء المبلغ الذي وعد به الحرس الإمبراطوري[4]، وحوالي مائة دراخمة لكل فرد من أفراد الشعب[5]. وبالفعل، عرض في المزاد العلني كل ما اشتراه كومود (Commode) لترفه وقتاله مع المجالدين وسباقاته وهو يقود العربات، لتباع معظم هذه الأشياء[6]، وكذا ليتبين الناس طريقة عيش هذا الأمير واهتماماته ؛ كما عرضت لمعرفة أولئك الذين سيقتنونها.

---

[1]– كما سمي بذلك أغسطس (*تاريخ ديون*، LIII، 1) وتيبريوس من بعده (*تاريخ ديون*، LVII،8).

[2] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 13- 14.

[3] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– يقول كبيتولان في روايته أن الأموال التي تم جنيها من عملية البيع هذه، والتي كانت هائلة، مكنت من منح الجند أعطياتهم؛ راجع :

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]– يتفق كبيتولان (الفصل 15) هنا مع ديون؛ حيث قال: "منح لكل فرد من أفراد الشعب مائة دنير (*denarios centenos*)" راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XV, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[6]– يعطي كبيتولان تفاصيل غريبة عن عملية البيع هذه؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

6- أما ليطوس (Lætus)، فكان يشيد بذكر برتناكس (Pertinax)، وينهال على كومود (Commode) شتماً. وكان البابار قد تسلموا مبلغاً كبيراً من المال ذهباً ليحافظوا على السلم[1]، فاستدعاهم (وكانوا في طريق رجوعهم) وطالبهم بالمبلغ مضيفاً : « قولوا لأهاليكم أن برتناكس (Pertinax) هو الإمبراطور » ؛ وكانوا بالفعل يعرفون جيداً اسمه لأنه أثخن في العدو لما كان يقاتلهم إلى جانب مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin). وقام ليطوس (Lætus) أيضا بشيء مماثل لما فعله مع البابار، حتى يلحق العار بذكرى كومود (Commode). فلقد استهدف البهالين والبهاليل السفلة، وهم أناس دمام الهيئة، أسماؤهم وأخلاقهم أقبح من هيئاتهم، أغناهم كومود (Commode) فوق الحد بسبب وقاحتهم وفحشهم، فعرضهم ليطوس (Lætus) للبيع علناً، مبيناً أسماءهم ومواهبهم العديدة. ولقد أثار هذا المشهد ضحك البعض وسخط البعض الآخر وحزنه : فمجموعة من هؤلاء كانت تملك أموالاً كثيرة، منحها لهم الأمير بعد قتل أصحابها، وهم عدة أعضاء في مجلس الشيوخ. غير أن ليطوس (Lætus) لم يبق دائماً وفياً لبرتناكس (Pertinax)، أو على الأصح، لم يبق كذلك لمدة طويلة. فبالفعل، لما لم ينل ما كان يرغب فيه، حرض الجنود على التمرد عليه، كما سنذكر ذلك.

7- قلد برتناكس (Pertinax) حماه فلافيوس سولبيكيانوس (Flavius Sulpicianus) ولاية روما، وكان الرجل أهلاً لمنصب كهذا ؛ لكنه رفض، بالرغم من مرسومنا، أن يلقب زوجته أغسطسية (Augusta) ولا ابنه قيصراً (César). وكان رفضه للقبين قاطعاً، إما لأن سلطته لم تكن قد وطدت بعد، وإما لأنه كان يرفض أن يدنس لقب أغسطسية (Augusta) بخلاعة زوجته. أما فيما يخص ابنه الذي كان ما زال صبياً، فإنه كان يعمل على عدم فساد أخلاقه بسبب سحر هذا الاسم والأمل الذي قد يولده في نفس الصبي الذي لم يكن قد أتم تعليمه بعد[2]. وعوض أن يربيه في القصر، تنازل منذ اليوم الأول عن كل ما كان يملكه فيما قبل، ليوزعه على ولديه[3] (وكانت له بنت أيضاً)، وأمر أن يظلا في بيت جدهما. وعلى كل حال، لم تكن علاقته بهما دائمة، غير أنها كانت علاقة الأبناء بوالدهم، وليس بالإمبراطور.

---

[1]- كان كومود، حسب هيروديان، قد اشترى السلم من البابار مقابل مبلغ كبير؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre I, 15.

[2] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, V-VI ; XIII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

8- وبما أنه لم يعد يرخص للجنود بالنهب، وللقيصريين (les Césariens) بالشطط، فإنهم أضمروا له البغضاء. لكن القيصريين الذين كانوا مجردين من السلاح، لم يحاولوا شيئاً، بينما تآمر عليه جنود الحرس الإمبراطوري مع ليطوس[1] (Lætus) ؛ واختاروا في البداية القنصل فلكون[2] (Falcon) إمبراطوراً، نظراً إلى أصله وغناه. وكانوا سيدخلونه إلى معسكرهم بينما كان برتناكس (Pertinax) مشغولاً في البحر يتفحص محصول الحول[3]. ولما أخبر برتناكس (Pertinax) بهذه المؤامرة، رجع على عجل إلى روما، ثم اتجه إلى مجلس الشيوخ وخاطب أعضاءه قائلا : « معشر الشيوخ الرومانيين، ينبغي أن تعلموا أنه بالرغم من كوني لم أجد ببيت المال إلا خمسة وعشرين ألف دراخمة، فإن الأعطيات الجزيلة التي أنعمت بها على الجنود لا تقل عما أعطاه لهم ماركوس (Marcus) ولوكيوس (Lucius) اللذان وجدا ببيت المال سبعة وستين ألفاً وخمسمائة. ولكن الذين تسببوا في هذه الأزمة هم القيصريون (les Césariens) الملاح ». ولقد كذب برتناكس (Pertinax) لما قال أنه منح للجند نفس المبلغ الذي منحه لهم لوكيوس (Lucius) و ماركوس (Marcus)، (فبالفعل، أعطى الواحد منهما للجند حوالي خمسة آلاف دراخمة، والآخر حوالي ثلاثة آلاف)، فاشتد غيظ الجند والقيصريين (les Césariens) الذين كانوا يتواجدون في مجلس الشيوخ (وكانوا كثيرين)، وتعالت غمغمتهم المفزعة. وكنا على وشك الحكم على فلكون (Falcon)، [بعد أن أعلنا أنه عدو للوطن]، لما انتصب برتناكس (Pertinax) قائماً وصاح : « خلال ملكي، لن تسمح الآلهة بإعدام أي عضو من السيناتو، ولو كان ذلك بحق». هكذا نجا فلكون[4] (Falcon).

9- واغتنم ليطوس (Lætus) مؤامرة فلكون (Falcon)، ثم قتل عدة جنود، وكأن أمر القتل صدر عن الإمبراطور[5]. ولما انتبه الآخرون إلى ما جرى وخافوا من القتل كما قتل

---

[1]- زعم أوريليوس فيكتور (Aurelius Victor, *Vie des Césars*, XVIII, 2) وسبارتيان (Spartien, *Julianus*, 3) أن المحرض على المؤامرة هو يوليانوس؛ بينما ذهب كابيتولان (Capitolin, Albinus, 1 et 14) إلى أن المحرض على هذه المؤامرة هو ألبينوس (Albinus). ونرى من خلال الفصلين 10 و 11 أن كابيتولان (Capitolin, *Pertinax*, 10 et 11) يتفق مع ديون؛ راجع:

Spartien, Vie de Didius Julianus, 3, *in : Écrivains de l'histoire auguste* ; Tome premier ; Trad. nouvelle par M. Fl. Legay, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1844.

[2] - سوسيوس فالكون (Q. Sosius Falcon) الذي كان كومود (Commode) ينوي قتله عشية غرة يناير.

[3] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, VII, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, X, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- نفسه.

رفاقهم من قبل، تمردوا. وتوجه مائتان[1] من شجعانهم إلى القصر شاهرين سيوفهم. ولم يعلم برتناكس (Pertinax) بمسيرتهم إلا لما وصلوا لأعلى الدرج[2] ؛ فأسرعت زوجته آنذاك لإخباره بما يحدث[3]. ولما اطلع على ما كان يجري، تصرف تصرفاً يمكن نعته إما بالنبل أو بالخرق أو سمه ما شئت. فعوض أن يسحق المعتدين، قبل كل شيء، وكان قادراً على ذلك (فلقد كان يحميه حرس الليل والفرسان، وكان يوجد وقتئذ في القصر أيضاً الكثير من الرجال)، أو على الأقل أن يختفي ويهرب بعد إقفال باب الدخول إلى القصر والأبواب الأخرى في الوسط، فإنه لم يصنع شيئاً. ولقد كان يأمل في فرض هيبته عليهم بحضوره، ويقنعهم بكلامه[4]، فتقدم والحال هذه نحوهم، وكانوا حينئذ داخل جناحه في القصر ؛ ولم يحاول الوقوف في وجههم أي من رفاقهم، وعوض أن يغلق البوابون وكذا القيصريون الآخرون الأبواب، فإنهم، عكس ذلك، فتحوها عن آخرها.

10- ولما طلع عليهم الأمير، استولت على الجند الدهشة لأنهم كانوا يتهيبونه، باستثناء واحد منهم ؛ فغضوا من أبصارهم، وغمدوا سيوفهم ؛ ولكن بمجرد ما وثب ذلك الرجل على برتناكس (Pertinax) قائلاً: « ها هو ذا السيف الذي أرسله الجند إليك»، ثم انقض عليه فوراً وضربه، لم يتمالك الجنود أنفسهم فطعنوه وإيكليكتوس (Eclectus) عدة طعنات[5]. وكان إيكليكتوس (Eclectus) الوحيد الذي ظل بجانبه ودافع عنه بكل ما أوتي من قوة إلى درجة أنه جرح عدة قتلة ؛ ولقد نظرت إليه فيما مضى كرجل خير، ثم زاد هذا الحدث في إعجابي به. وبعد أن حز الجنود رأس برتناكس (Pertinax)، رفعوه فوق حربة، متباهين بهذا العمل البطولي. هكذا مات برتناكس (Pertinax)، لأنه أراد إصلاح كل شيء في وقت قصير. فبالرغم من خبرته في الأعمال، فإنه لم يفهم أنه من المستحيل تصحيح التجاوزات العديدة مرة واحدة دون التعرض للأخطار، وأن تأسيس الدولة يتطلب الوقت والحذر أكثر من

---

[1]- ثلاثمائة حسب :
Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- نفسه.

[3]- يحكي هيروديان أن أصحاب الأمير أطلعوه على ما كان يجري ونصحوه بالهرب؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, 17.

[4]- نفسه، وراجع:
Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

أي شيء آخر. ولقد عاش سبعة وستين عاماً إلا أربعة أشهر وثلاثة أيام، وحكم خلال سبعة وستين يوماً.

11- وما أن شاع خبر موت برتناكس (Pertinax)، حتى هُرِع الناس، بعضهم للاختباء في بيوتهم، والبعض الآخر في بيوت الجند، واهتم الجميع بأمن ذويه[1]. أما سولبيكيانوس[2] (Sulpicianus)، فإنه ظل في المعسكر (وكان برتناكس (Pertinax) قد بعثه إلى هناك ليعمل على استتباب النظام)، وعمل على أن يتم اختياره إمبراطوراً. وفي غضون ذلك، فإن ديديوس يوليانوس[3] (Didius Julianus)، الرجل الذي لا يروى تعطشه إلى المال، والمبذر إلى أقصى حد[4]، كان همه الوحيد حوك المؤامرات، (وبسبب تصرفه هذا، كان كوموود (Commode) قد منعه من مغادرة وطنه ميلانو[5] (Milan). فديديوس يوليانوس (Didius Julianus) هذا كما ذكرت، بمجرد ما علم بموت برتناكس (Pertinax)، توجه إلى المعسكر[6]، وطلب من الجنود وهو واقف أمام باب التحصينات، السيادة على روما. وحدث آنذاك شيء شنيع وشائن في حق روما ؛ فلقد أضحت وكأنها في ساحة عامة أو في سوق تباع هي وإمبراطوريتها بأسرها في المزاد العلني[7]. وكان الباعة أولئك الذين قتلوا إمبراطورهم،

---

[1]- وحسب هيروديان، لما أتم الجند جريمتهم، خشوا سوء العاقبة، فهربوا إلى معسكرهم واحتموا فيه بعد إغلاقهم الأبواب، ثم وضعوا حراسا فوق الأبراج حتى لا يقترب الشعب من أسوار المعسكر؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XIX- XX.

[2]- هو نفسه الذي تم الحديث عنه في الفصل السابع من هذا الكتاب.

[3] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXII; Spartien , Vie de Didius Julianus, 2 et 3, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- حسب سبارتيان، كان الرجل عكس ذلك بحيث بلغ شحه أقصى حد؛ راجع:
Spartien, Vie de Didius Julianus, 3, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5] - Spartien, Vie de Didius Julianus, 1, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[6]- حسب هيروديان، فإن زوجة يوليانوس (Mallia Scantilla) وبنته (Didia Clara) وبعض أصحابه ألحوا عليه ليغادر مأدبة العشاء ويتوجه للمعسكر ليرى ما يجري هناك، ثم يستولي على الإمبراطورية...؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXII.
وحسب سبارتيان، فإن يوليانوس كان في طريقه إلى السيناتو الذي استدعي أعضاؤه للاجتماع بعد مقتل برتيناكس، لما أجبره التريبونيان فلوريانوس (P. Florianus) وقيكتيوس أبير (Vectius Aper) لمصاحبتهما إلى معسكر الحرس الإمبراطوري. ويضيف نفس المؤرخ أن يوليانوس استحضر إلى القصر زوجه وبنته اللتين قصدتاه بدون طيبة خاطر وهما ترتعشان، وكأنهما استشعرتا النهاية المأساوية التي كانت تنتظرهم جميعا؛ راجع:
Spartien, Vie de Didius Julianus, 2-3, *in : Écrivains de l'histoire auguste*, op. cit.

[7]- لا يتحدث سبارتيان عن مزايدة، ويقول فيما يخص أعطيات الجند:" لم يعد ديديوس الجند إلا بمبلغ 25.000 سسترسا لكل فرد منهم، ثم أعطاهم 30.000"؛ راجع:
Spartien, Vie de Didius Julianus, 3, *in : Écrivains de l'histoire auguste*, op. cit.
وحسب هيروديان، فلكي ينجز يوليانوس وعده، فإنه استنفد أمواله وجمع كل ما وقعت عليه يده من مال، حتى في المعابد، ليوزعه على الجند قصد إرضائهم، دون جدوى؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXII, XXXIX.

والشاريان سولبيكيانوس (Sulpicianus) و يوليانوس (Julianus) اللذان كانا، الواحد داخل المعسكر، والآخر خارجه، يعملان على التزايد في أعطيات الجند. ولم تلبث مبالغ المزاد العلني أن ارتفعت حتى خمسة آلاف دراخمة للجندي الواحد، بفضل الرسل الذين كانوا يقصدون يوليانوس (Julianus) ليقولوا له : « إن سولبيكيانوس (Sulpicianus) يعرض مبلغ كذا، فهل تزيد على مبلغه ؟ ». ويقولون لسولبيكيانوس (Sulpicianus) : إن يوليانوس (Julianus) يعرض مبلغ كذا، فهل تعد بأكثر من ذلك ؟ ». وكان سولبيكيانوس (Sulpicianus) سيفوز على الأرجح لأنه كان بداخل المعسكر، وكان يشغل أيضاً منصب ناظر المدينة، ثم لأنه أول من عرض مبلغ خمسة آلاف دراخمة، لولا أن يوليانوس (Julianus) زاد في المبلغ، ليس تدريجياً، بل جعله ألفاً ومائتين وخمسين دراخمة دفعة واحدة، صائحاً بأعلى صوته ومبيناً المبلغ بعده مستعملاً أصابعه. ولقد أغري الجند بهذا المزاد وكانوا خائفين في نفس الوقت من أن ينتقم سولبيكيانوس (Sulpicianus) لبرتناكس (Pertinax)، كما كان يلمح بذلك يوليانوس (Julianus) الذي استقبلوه في معسكرهم ونادوا به إمبراطوراً[1].

12– في هذه الظروف، ذهب يوليانوس (Julianus) في المساء إلى ميدان روما (le Forum) ومجلس الشيوخ على عجل، صاحباً معه عدداً كبيراً من أفراد الحرس الإمبراطوري حاملين عدة رايات، وصفهم أمامنا وكأن الأمر يتعلق بالعدو، هادفاً من وراء ذلك إجبارنا، نحن [شيوخ روما] والشعب على الانضمام إلى حزبه، وموقعاً منذ البداية الرعب في قلوبنا. ومن بين الألقاب الرفيعة التي كان الجنود يطلقونها عليه، كومود (Commode)، كما كانوا يسمونه. ولما اطلعنا [نحن شيوخ روما] على هذا التغيير، بدأ كل من أخبر منا بما حدث، يتهيب يوليانوس (Julianus) وجنده، وخاصة منا أولئك الذين كانت تربطهم ببرتناكس (Pertinax) علاقة ما... (ولقد كنت من بينهم ؛ فمن بين مراتب الشرف التي أنعم علي بها برتناكس (Pertinax)، منصب قاض مفوض معين، ومراراً، وأنا أدافع عن المواطنين أمام المحاكم، كنت أندد بجور يوليانوس (Julianus) المتكرر). إلا أنه مع ذلك، فلقد بدا لنا أنه لا أمان لنا إن نحن قعدنا في ديارنا، خوفا من أن يثير تصرفنا هذا الشكوك، فخرجنا، ليس فقط بعد استحمامنا، ولكن أيضا بعد تناول طعام العشاء ؛ ودخلنا إلى مجلس المشيخة متخللين

[1] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXIII ; Spartien , Vie de Didius Julianus, 2, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الجنود، وسمعنا يوليانوس (Julianus) يلقي خطاباً يليق به، خطاباً قال فيه من بين ما قال: « أرى أنكم بحاجة إلى زعيم، وأنا جدير بأن أسودكم. وسأعدّ عليكم كل خصالي الحميدة إن كنتم لا تعرفونها ولم تمتحنوني بعد. وبالتالي فإني لست في حاجة إلى أن أصحب معي عدداً غفيراً من الجنود، فلقد أتيت للقياكم وحيداً حتى تؤيدوا قرار الجند بمنحهم إياي الحكم»[1]. ولقد زعم أنه أتى وحيداً، في حين، خارج مجلس المشيخة، كان المكان مطوقاً من كل جهاته برجال مسلحين، وكان بصحبته عدد كبير من الجنود في قلب الجمعية نفسها ؛ فلقد كان يريد أن يُشهد ضمائرنا على حياته التي لم تكن توحي في الواقع إلا بالبغض والذعر.

13- وبعد أن ثبّت يوليانوس (Julianus) سلطته بقرار صادر عن مجلس الشيوخ[2]، صعد إلى القصر حيث وجد طعام العشاء الذي كان قد أعد لبرتناكس (Pertinax)، فمزح كثيراً، ثم أمر بالبحث في أي مكان وبأي طريقة يمكن العثور بواسطتها في ذلك الوقت على صحاف ثمينة، وتملّأ طعاماً بينما كانت الجثة ما زالت ممددة على الأرض في داخل القصر، لم تدفن بعد، ولعب لعبة النرد، وكان إلى جانبه من بين من حضر الراقص بيلاد (Pylade). وفي الغد، ذهبنا للسلام عليه وتكلفنا الأمر وكاتمناه حزننا ؛ وعبر الشعب عن حزنه علناً، وكان كل واحد يجهر ويقول ما يريد، ويستعد لفعل ما يستطيع فعله. وأخيراً، لما وصل يوليانوس (Julianus) إلى مجلس الشيوخ، وبدأ يستعد للتقرب بذبيحة لجانوس[3] (Janus) أمام أبواب مجلس المشيخة، أطلق الناس صرخات في الوقت نفسه، وكأن إشارة أعطيت لهم، صائحين في وجهه باسمي مغتصب السلطة والقاتل[4]. وتظاهر يوليانوس (Julianus) بأنه لم يغضب عليهم، ووعدهم بالمال، الشيء الذي أثار سخطهم، وكأن الأمر يتعلق برشوهم، فصاحوا صيحة واحدة : « لا نريد مالك ولن نقبله». ورددت المباني المحيطة بهم صدى صيحتهم الذي اقشعرت لرجعه الأنفاس. وأمام هذه الجلبة، لم يعد يوليانوس (Julianus) يملك نفسه، وأعطى الأمر بقتل من كانوا الأقرب إليه، وهو ما زاد في اغتياظ الشعب الذي أطلق العنان للتعبير

---

[1]- ينسب سبارتيان إلى يوليانوس تصرفا وكلاما يتعارض والكلام الذي ينسبه إليه ديون؛ راجع:
Spartien, Vie de Didius Julianus, 2-3, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2] - Spartien, Vie de Didius Julianus, 3 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- هذه هي الذبيحة التي تحدث عنها ديون في الفصل التالي، وهي التي كان يتقرب بها من يستدعي أعضاء السيناتو للاجتماع. ويخبرنا ديون هنا أن هذه الذبيحة كانت تقدم خاصة لجانوس، إله الأبواب، الذي كان له مذبح أمام مقر المشيخة. وكان أعضاء هذا المجلس يتقربون إلى هذا الإله بإحراق البخور وإهراق الخمر، بينما كان الأباطرة يتقربون إليه بالأضاحي.

[4] - Spartien, Vie de Didius Julianus, 4 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

عن أسفه على فقدان برتناكس[1] (Pertinax)، والانهيال على يوليانوس (Julianus) شتماً، والاستغاثة بالآلهة جهاراً، واستنزال اللعنات على الجند[2]. وبالرغم من كون العديد من الناس جرحوا وقتلوا في عدة مواضع من المدينة، فإن ذلك لم يثبط عزمهم في الاستمرار في المقاومة[3]. وأخيراً، حمل الشعب السلاح وهرع إلى السيرك[4] حيث قضى الليل ونهار الغد دون أن يشرب ويأكل ؛ وبأعلى أصواتهم، استغاث الناس بالجنود الآخرين، وخاصة ببسينيوس نيجر[5] (Pescennius Niger) وأولئك الذين كانوا تحت إمرته في سوريا (Syrie). وبعد أن أنهكهم الصراخ والجوع والسهر، تفرق القوم وسكنت حركتهم في انتظار الأمل الذي قد يأتي من الخارج.

14- وبعد استيلائه على الإمبراطورية، مارس يوليانوس (Julianus) السلطة بدناءة، متوددا إلى السيناتو والمواطنين الذين كان لهم نفوذ في الدولة، واعداً البعض، ومانحا العطايا للبعض الآخر، وضاحكاً ومازحاً مع أولئك الذين كان يلقاهم. وكان يختلف إلى المسارح ويقيم الولائم ؛ وباختصار، فإنه لم يكن يفوت أدنى فرصة قصد خطب ودنا. ولكن، بالرغم من كل ذلك، لم يكن الرجل محل ثقتنا، وكنا نرى أن سلوكه يمليه التملق ليس إلا. فكل سلوك يتجاوز الحدود، قد يراه البعض وكأنه نعمة، لكن الرشداء يرون أنه ينطوي على خطر حتماً. هذا ما كان يجري في روما، وسأروي الآن الأحداث التي وقعت في الخارج، وما هي حركات العصيان التي قامت. فلقد كان هناك وقتئذ ثلاثة رجال في بلدان مختلفة، يقودون ثلاثة جيوش مكونة من مواطنين وعدد غفير من الأجانب، وكان هؤلاء الثلاثة يطمحون إلى السلطة، وهم : سيفير (Sévère) ونيجر (Niger) وألبينوس (Albinus) الذين كانوا بالتوالي على رؤوس جيوش بنونيا (Pannonie) وسوريا (Syrie) وبريطانيا (Bretagne). وهم الذين رمزت إليهم النجوم الثلاثة التي سطع نورها حول الشمس لما قدم يوليانوس (Julianus) ضحية "الدخول" بحضرتنا أمام مجلس المشيخة. ولقد تلألأت هذه النجوم بوضوح، حتى أن الجنود لم يكفوا عن مشاهدتها وكانوا يُرونها لبعضهم البعض ؛ ثم أشاعوا

إشاعة مفادها أن يوليانوس (Julianus) ستصيبه مصيبة لا محالة. أما نحن، فبالرغم من أننا كنا نرغب في أن تتحقق الإشاعة ونأمل في ذلك، فإن الخوف كان يحول بيننا وبين الجرأة

---

[1] - Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*,; Spartien, Vie de Didius Julianus, 3 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2] - نظرا لقتلهم برتناكس الذي كان قد لُقب بأبي الوطن.

[3] - Spartien, Vie de Didius Julianus, 4 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXVI.

[5] - Spartien, Vie de Didius Julianus, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

على رفع أبصارنا إلى هذه النجوم، وحتى إن فعلنا، نظرنا إليها خلسة. وأعرف، على الأقل، أن هذه الأعجوبة وقعت هكذا.

15- كان سيفير (Sévère) أدهى الجنرالات الثلاثة[1]، وكان يرى أنه بعد خلع يوليانوس (Julianus) سيبقى ثلاثة متنافسين على الإمبراطورية، وأنهم سيحاربون بعضهم بعضاً، فقرر أن يتحالف مع من كان أقرب المتنافسين إلى جواره. وأرسل بالتالي إلى ألبينوس (Albinus) رسالة سلمها إلى نجيّه، وهي رسالة نودي من خلالها بألبينوس (Albinus) قيصراً. أما نيجر (Niger) الذي جعلته مناداة الشعب عليه يتكبر[2]، فإن سيفير (Sévère) يئس من كسب وده. ولما تأكد ألبينوس (Albinus) بأنه سيتقاسم الإمبراطورية مع سيفير (Sévère)، فإنه ظل في أراضيه[3] ؛ أما سيفير (Sévère) فبعد إخضاعه لكل مدن أوربا، باستثناء بيزنطة[4]، فإنه عجل بالسير في اتجاه روما، دون أن يضع السلاح أبداً، بل إنه ظل ليل نهار وسط ستمائة من صفوة محاربيه، ولم يخلع هؤلاء الرجال دروعهم قبل وصولهم إلى روما[5].

16- ولما علم يوليانوس (Julianus) بسير سيفير (Sévère) في اتجاه روما، استصدر من مجلس الشيوخ إعلان سيفير (Sévère) عدواً للشعب، واتخذ احتياطات ضده[6]. فأمر بحفر خندق أمام المدينة، وتحصن وراء الأبواب التي تشرف على الخندق، وكأنه كان ينوي أن يقيم معسكره هناك، للزحف إلى خصمه[7]. وكان مشهد روما في تلك الأيام يشبه معسكراً في كل شيء، وكان المرء يحس بنفسه وكأنه في أرض العدو. ولقد عمت المدينة فوضى هائلة ناتجة عن إيوائها الجند والخيل والفيلة، وتداريب العسكر والحيوانات. وساهم في

---

[1]- راجع وصف "سيفير الإفريقي" في:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXXIII-XXXV.

[2]- راجع الفصل الثالث عشر من هذا الكتاب، و:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXVI- XXIX.

[3]- كان سيفير ينوي في البداية تعيين نيجر وألبينوس خليفتين له في حالة ما إذا ما مسه سوء، إلا أنه غير رأيه بعد ذلك نظرا للحب الذي كان يكنه لولديه اللذين كبرا، ونظرا لحسده لألبينوس وخاصة إلحاح زوجته حتى يرجع عن رأيه بخصوص هذا التعيين، راجع:
Julius Capitolinus, Vie de CL. Albinus, III, *in: Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*,; Spartien, Vie de Pescennius, 4; Vie de Sévère, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*
ويرى هيروديان أن تصرف سيفير هذا مع ألبينوس، ومنحه لقب قيصر كان من باب الخداع ليس إلا؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XLVIII.

[4]- عن المقاومة التي أبدتها هذه المدينة، راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب الرابع والسبعون، 10.

[5]- Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXXVII- XXXIX.

[6]- من بينها بعث رجال محنكين لقتله، راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 5; Vie de Pescennius, 2; in : *Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[7]- أصحاب يوليانوس نصحوه باحتلال شعاب جبال الألب، إلا أنه فضل البقاء في روما؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXXIX.

هذه الفتنة الناس المسلحون كذلك، نظرا للضغائن التي كانوا يضمرونها للمواطنين، فلقد أثاروا الهلع في وسط باقي السكان. وأحيانا كنا ننفجر ضحكاً، لأن أفراد الحرس الإمبراطوري الذين تعودوا العيش في الميوعة[1]، لم يقوموا بأي عمل يليق باسمهم ووعودهم. وكان الجنود الذين أتوا من مسين (Misène)، حيث كانوا يعملون في الأسطول الراسي هناك، عاجزين عن القيام بالتداريب العسكرية ؛ وانزعجت الفيلة من أحمالها ولم تعد تحتمل فيّالتها ورمت بهم على الأرض. غير أن الشيء الذي كان يبعث الأكثر على الضحك، هو مشاهدة القصر وقد حصن بالمزاليج والأبواب المتان، لأنه خُيِّل ليوليانوس (Julianus) أنه لو كانت أبواب القصر موصدة، لما تمكن الجند من قتل برتناكس (Pertinax) بسهولة، وبالتالي ظن أنه لو تحصن في القصر في حالة الهزيمة، لتمكن من النجاة بجلده. وفي أثناء ذلك الوقت، أمر بقتل ليطوس (Lætus)[2] ومرسيا (Marcia)، حتى يهلك كل من تآمر على كومود (Commode). (وكان سيفير (Sévère) قد أمر فيما بعد برمي نرسيس[3] (Narcisse) إلى الحيوانات المفترسة، فيما كان المنادي ينادي : «هاهو الذي خنق كومود[4] (Commode) ! »). وقتل أيضا عدة أطفال ليتقرب بهم كذبائح سحرية، آملا أن يتقي بذلك من مخاطر المستقبل، لو تمكن من التنبؤ به[5]. ولم يكف عن بعث العملاء لقتل سيفير (Sévère) غدراً.

17– ولكن لما وصل سيفير (Sévère) إلى إيطاليا، واستولى على رافين[6] (Ravenne) بلا عناء، انضم إليه الرسل الذين بعث بهم إليه قصد حثه على الرجوع من حيث أتى، أو لقطع السبل أمامه ؛ ولما تحطمت إرادة الحرس الإمبراطوري، وقد أرهقتهم الأتعاب، وأصابهم الذعر لما علموا بمقدم سيفير (Sévère)، وهم الذين كان يوليانوس (Julianus) يعول عليهم، استدعانا الإمبراطور وأمرنا بإعلان سيفير (Sévère) زميله على رأس

---

[1]- Spartien, Vie de Didius Julianus, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– قُتل ليتوس لأنه كان يعتقد أنه من أنصار سيفير. وهو الذي كان قد برّأ هذا الجنرال لما اتهم بحضرة كومود باستطلاع رأي العرافين لمعرفة ما إذا كان سيصبح إمبراطورا، ولقد مكنته حماية ليتوس من أن يتقلد قيادة جيش جرمانيا؛ راجع:

Spartien, Vie de Didius Julianus, 6 ; Vie de Sévère, 4 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- Spartien, Vie de Sévère, 14 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit* ;

نرسيس هذا هو الذي كان وراء تقلد قيادة الفيالق الرومانية في سوريا؛ راجع:

Spartien, Vie de Pescennius, 1; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[4]– بخصوص مقتل كومود، راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب الثاني والسبعون، 22.

[5]– استعمل يوليانوس بدوره الأطفال للتكهن بالمستقبل، وتقرب بالأضاحي حتى ينزع البغض من قلوب الشعب وتصبح أسلحة أعدائه غير فعالة؛ راجع:

Spartien, Vie de Didius Julianus, 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[6]- Spartien, Vie de Didius Julianus, 6; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الإمبراطورية[1]. غير أن الجنود الذين كانوا قد أمنوا سيفير (Sévère) لما أكد لهم من خلال رسالة أنهم لن يمسوا بأي سوء شريطة أن يسلموا أولئك الذين قتلوا برتناكس (Pertinax)، ويظلوا هادئين، ألقوا القبض على القتلة وأخبروا سيليوس ميسالا (Silius Messala)، الذي كان قنصلاً آنذاك، بذلك. فجمعنا هذا الأخير في الهيكل المسمى بالأثيني[2] (l'Athénée) الذي كان يتخذ مكاناً يتدرب فيه الأدباء، وأخبرنا بما فعله الجنود ؛ فقررنا حينذاك إعدام يوليانوس (Julianus)، ونادينا بسيفير (Sévère) إمبراطوراً، ومنحنا برتناكس (Pertinax) تكريمات إلهية[3]. وبعد ذلك قتل يوليانوس (Julianus) في سريره بالقصر دون أن يلفظ بكلام آخر غير هذه الكلمات : « ما الذي أتيته من أمر قبيح ؟ من الذي سلبته الحياة ؟ »[4]. وعاش ستين عاماً وأربعة أشهر وأربعة أيام، وحكم خلالها مدة ستة وستين يوما[5].

---

[1]- Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XL; Spartien, Vie de Didius Julianus, 7 ; Vie de Sévère, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- كان الإمبراطور هادريانوس هو الذي أسس هذه المنشأة المدرسية، وكلف أساتذة يتلقون راتبا من الدولة بتدريس الآداب الإغريقية واللاتينية فيها؛ راجع:

Aurelius Victor, Des Césars, XIV, 3; Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 35*; in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.,* Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XI, *in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*

[3]- Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*

[4]- Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XLI ; Spartien, Vie de Didius Julianus, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- حسب سبارتيان، عاش يوليانوس ستة وخمسين عاما وأربعة أشهر، وحكم خلال شهرين وخمسة أيام؛ راجع:

Spartien, Vie de Didius Julianus, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الكتاب الرابع والسبعون

1- لما أصبح سيفير (Sévère) إمبراطوراً، أنزل عقوبة الإعدام بقتلة برتناكس (Pertinax) ؛ ثم استحضر، قبل أن يدخل روما، أفراد الحرس الإمبراطوري الآخرين، وأمر بتطويقهم في أرض عراء، دون أن يعلموا ما الذي سيحل بهم[1]. وبعد أن عاتبهم عتاباً شديداً على خيانتهم لإمبراطورهم، جردهم من سلاحهم، وانتزع منهم خيولهم وطردهم من روما[2]. فألقى هؤلاء السلاح رغماً عنهم، وتخلوا عن خيولهم، وتفرقوا لابسين فقط القمصان دون أحزمة. وكان فرس أحدهم قد أبى فراق فارسه وظل يتبعه محمحماً، فقتله الفارس ثم قتل نفسه بعد ذلك ؛ ويبدو حسب بعض من شاهدهما أن الجواد مات ووجهه يشع حبوراً. وبعد ذلك توجه سيفير (Sévère) إلى روما ممتطياً دائما صهوة فرسه ومرتدياً زيّ الفارس، إلى أن وصل أبوابها حيث تخلى عن هذا الزي وبدله بلباس عادي، ثم ترجل، وسار وكل جيشه من مشاة وخيالة يسيرون إلى جانبه بسلاحهم[3]. وكان ذلك أروع مشهد لم أر مثله قط. فلقد كانت المدينة بأسرها مكللة بالزهور والرند، ومزينة بحائطيات مختلفة الألوان، مضيئة بمشاعلها ومواقد ذبائحها ؛ وكان المواطنون يرتدون ملابس بيضاء ومشاعر الفرح العظيم بادية على وجوههم وهم يهتفون ؛ وكان الجنود يحملون أسلحتهم وكأنهم يرافقون موكباً انتصارياً، ويمشون في نظام بديع ؛ وكنا نحن نسير في مقدمة الموكب مرتدين لباس الزينة اللائق بمقامنا[4]. وكانت العامة تتعجل توقاً لرؤيته وسماع صوته، وكأن القدر غيّره، ومنهم من كان يحمل بعضهم البعض حتى يراه من عل.

---

[1]- **Spartien, Vie de Sévère, 6 ;** ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[2]- حسب هيروديان، فإن سيفير منع هؤلاء الجند من الاقتراب من روما أكثر من مائة ميل، وإلا قتلوا؛ راجع:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre II, XLIII.**

[3]- **Spartien, Vie de Sévère, 7 ;** ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*****; Hérodien,** ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre II, XLII-LXV.**

[4]- يعطي سبارتيان بخصوص دخول سيفير وجنده إلى روما وصفا يناقض وصف ديون، الذي كان شاهد عين فيما يتعلق بهذا الحدث، بحيث كان هذا الدخول، حسب سبارتيان، مريعا ورهيبا، وسلب الجند خلاله المدينة ونهبوها...؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 7 ; ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

2- ولما دخل، وعدنا متحدثا باختيال، مثله مثل الأباطرة الطيبين القريبي العهد[1]، أنه لن يقتل أي عضو من أعضاء مجلس الشيوخ، وأقسم بذلك ؛ والأدهى من كل هذا هو أمره لنا بإقرار قانون – بالاتفاق معه – يعلن الإمبراطور ومن قد يساعده على ارتكاب هذه الجريمة، بل حتى أبناءهم، أعداء للشعب[2]. وكان أول من خرق هذا القانون، وأبعد الناس عن الوفاء بعهده، لما أمر بقتل عدة أعضاء من مجلس الشيوخ. فبالفعل، بعد ذلك بقليل، تم قتل يوليوس سولون (Julius Solon)، وهو الذي كان قد حرر القانون المذكور تنفيذاً لأمره[3]. ووقعت عدة أمور لم ترقنا، فلقد اتُّهم بإزعاج المدينة بجم غفير من الجنود، واستنزف موارد بيت المال بنفقات غير ضرورية، والأدهى من ذلك هو أنه كان يعمل على حماية نفسه، ليس عن طريق حب أولئك الذين كانوا يحيطون به، وإنما بالاعتماد على شدة جنده. ومما كان يؤاخذ عليه خاصة، حسب البعض، إلغاؤه العرف المعمول به بخصوص استقدام الحرس الخاص فقط من إيطاليا (l'Italie) وإسبانيا (l'Espagne) ومقدونيا (la Macédoine) ونوريكا (la Norique)، وهي البلاد التي يتميز رجالها بمظهر أجمل، وأخلاق سليمة، وأمره بإسناد المناصب الشاغرة في صفوفهم، كلما دعا الأمر إلى ذلك، إلى رجال قدموا من كل الفرق العسكرية بدون تمييز. وبالنسبة إليه، كان هذا القرار يهدف إلى تثبيت إخلاص الجنود الذين كان قد جرب خدمتهم، ومكافأة أولئك الذين تميزوا من بينهم ببسالتهم. غير أن نتيجة ذلك كانت، دون شك، انحراف عدد لا يستهان به من شبان إيطاليا الذين تحولوا إلى قطع الطرق وصراعات المجالدين، وملء روما بحشد مختلط من الجنود الذين تثير مشاهدتهم الرهبة، وتبعث أصواتهم الرعب في النفوس، وكانوا صعاب المراس في طريقة عيشهم[4].

---

[1]- يلمح ديون إلى الأباطرة: نيرفا (Nerva)، وطراجان (Trajan)، وبيرتيناكس (Pertinax)؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXVIII، 2؛ 5؛ LXXIII ، 8.

[2] -Spartien, Vie de Sévère, 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*. ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XLVI.

[3]- بالإضافة إلى يوليوس صولون، فإنه أمر بقتل أصحاب يوليانوس حسب:

Spartien, Vie de Sévère, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

وحاكم أصحاب نيجر، (*تاريخ ديون*، LXXIV، 8)، وأمر بقتل بعض أصحاب ألبينوس (*تاريخ ديون*، LXXV، 8). وأعطى سبارتيان قائمة طويلة بأسماء من أعدمهم سيفير بدون أية محاكمة، راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 13 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[4]- عن دخول سيفير روما ووسلب الجنود المدينة ونهبها، راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

3- وها هي العلامات التي جعلته يأمل السلطة. فلما تم قبوله عضواً في مجلس الشيوخ، رأى في منامه أنه يرضع ذئبة كما فعل رومولس (Romulus) من قبله[1]. وعندما تزوج يوليا[2] (Julia)، أعدت لهما فوستين (Faustine)، زوجة مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) فراش الزفاف في هيكل فينوس (Vénus)، بالقرب من القصر. وفي مرة أخرى، خلال نومه، تفجر الماء من يده وكأنها عين. وبينما كان يقود الجند في ليون (Lyon)، أتى كل الجيش الروماني للسلام عليه ؛ وأتكلم هنا عن رؤيا. وفي مرة أخرى، قيد إلى مرصد حيث اكتشف من أعلاه كل الأراضي والبحار، ولمسها وكأنها آلة موسيقية عذبة الصوت، فانبعثت من هذه العناصر نغمات منسجمة[3]. وفي مرة أخرى كذلك، خيل له أن فرساً في ميدان روما (le Forum) أوقع برتناكس (Pertinax) الذي كان يمتطيه، وقبله هو على صهوته دون عناء. هذا ما علمته الرؤى لسيفير (Sévère). غير أنه ذات يوم في شبابه، وكان يقظاً حينئذ، جلس على كرسي الأمير سهواً [4]. وكان هذا الحدث، علاوة على الأحداث الأخرى، قد بشره بالسلطة العليا.

4- وما أن تقلدها حتى رفع هيكلا لبرتناكس (Pertinax)، وأمر أن يتلى اسمه في كل الصلوات والأقسام[5]، وأن تمثالا من الذهب لهذا الأمير سيحمل إلى السيرك فوق عربة تجرها فيلة ؛ وفي المسارح الأخرى[6] سيؤتى بثلاثة عروش مذهبة على شرفه[7]. أما بخصوص جنازته، فبالرغم من أن برتناكس (Pertinax) كان قد مات منذ مدة طويلة[8]، فهكذا أقيمت جنازته. ففي ميدان روما (le Forum)، تم نصب منصة خشبية بالقرب من المنصة الحجرية، وفوقها تم رفع بناء بدون أسوار، على شكل رواق بأعمدة مزين بالعاج

---

[1] - Spartien, Vie de Sévère, 1; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]- بعد موت زوجته الأولى: مارسيا (Marcia)؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 3; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[3] - Spartien, Vie de Sévère, 3 *; in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4] - Spartien, Vie de Sévère, 1; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- لم يكن الرومان يقسمون فقط بالأمراء الأحياء، بل وحتى بالأموات منهم؛ وغالبا ما كان الأباطرة يأمرون بذلك، كما فعل كايوس (Caius) فيما يخص أخته دروسيليا (Drusilla) التي يروي ديون أن النساء كن يقسمن بها، بعد موتها (*تاريخ ديون*، LIX، 11) وكذا كلود (Claude) فيما يخص ليفيا (Livia)(*تاريخ ديون*، LX، 5)، الخ.

[6]- قد يكون الأمر يتعلق بمسارح بومبى (Pompée)، وبالبوس (Balbus)، ومرسيلوس (Marcellus).

[7] - Spartien, Vie de Sévère, 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[8]- كان جسد بيرتناكس الذي ضُم إليه الرأس قد دُفن في مدفن جد زوجته؛ ويتعلق الأمر هنا بمأتم رسمي نُظم على شرفه؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Pertinax, XIV, *in : Écrivains de l'histoire auguste. op. cit.*

والذهب ؛ وحمل إلى هذا المبنى سرير صنع من نفس المادتين، وأحيط برؤوس حيوانية، برية وبحرية، زادته مفروشات أرجوانية وذهبية بهاء، ثم وضع فوق هذا السرير تمثال لبرتناكس (Pertinax) من الشمع، وقد زين بثياب النصر، وعند رأسه غلام وسيم يدفع الذباب بمروحة صنعت من ريش الطاووس، وكأن الأمير كان يرقد. ولما عرض برتناكس (Pertinax) بهذا الشكل، تقدم كل من سيفير (Sévère) ونحن معشر الشيوخ وكذا زوجاتنا، لابسين ثياب الحداد ؛ فجلست نساؤنا تحت الأروقة، وجلسنا نحن خارجها. ولما تمت هذه الاستعدادات، سار أمامنا بالتعاقب صفاً صفاً، في البداية، تماثيل كل مشاهير الرومان في العصر القديم، ثم تلتهم جوقات الصبيان والرجال وهم يغنون ترنيمة مأتمية على شرف برتناكس (Pertinax) ؛ وسارت وراءهم كل الشعوب الخاضعة ممثلة بواسطة تماثيل نصفية من البرونز وقد ألبست أزياءها الوطنية، والمواطنون الذين كانوا يشغلون في المدينة مهن حملة الفأس، وكتاب المحكمة والضباط المنادون ومهناً أخرى من هذا القبيل. وبعد أن تعاقبت أمامنا تماثيل نصفية لرجال آخرين اشتهروا إما بأعمالهم أو باختراعاتهم أو بحرفهم ؛ وبعدهم سار رجال يمتطون خيولا وآخرون يسيرون على الأقدام، ثم الخيول التي كانت تتبارى في حلبات السباق، وكل ما كان يحتاج إليه لإقامة المآتم ؛ وقد بعث بذلك الإمبراطور ونحن ونساؤنا ومشاهير الفرسان، والشعوب والفرق المهنية في روما ؛ وفي الأخير كان الموكب الجنائزي متبوعاً بمذبح مذهب ومزين بالعاج وجواهر الهند.

5- ولما انتهى هذا الاستعراض الفخم، ارتقى سيفير (Sévère) منصة الخطب (les Rostres) ثم أبن برتناكس (Pertinax). أما نحن، فغالباً ما كنا نقاطع تأبينه بهتافنا معبرين عن ثنائنا على الراحل وتأسفنا عليه، ولقد تضاعف هذا الهتاف لما فرغ الإمبراطور من تأبينه. وأخيراً، لما حان وقت حمل النعش، انفجر نواحنا وتهاطلت دموعنا جميعاً. وحمل النعش من المنصة الأحبار والقضاة الذين كانوا يشغلون وظائفهم، أو أولئك الذين كانوا قد عينوا لشغلها في السنة القادمة، ثم سلموه للفرسان ليحملوه بدورهم. وكانت جماعة منا تسير أمام النعش، وكان بعضنا يقرع صدره، والبعض الآخر يترنم على أنغام المزامير ترنيمة مأتمية ؛ وكان الإمبراطور آخر من كان يسير وراء النعش. وفي هذا الترتيب وصلنا إلى شان دو مارس (Champ-de-Mars)، حيث تم تهيئ محرقة على شكل برج من ثلاث طبقات، مزين بالعاج والذهب والتماثيل ؛ وعلى قمة البرج وضعت عربة مذهبة كان يقودها برتناكس (Pertinax). ورمي في المحرقة ما كان يرمى فيها كما هي العادة في المآتم، ثم وضع فيها النعش ؛ وبعد ذلك قبل سيفير (Sévère) وأقرباء برتناكس (Pertinax) صورته. وارتقى سيفير (Sévère)

منصة، وصعدنا نحن أعضاء مجلس الشيوخ، باستثناء القضاة، فوق أساقيل حتى نتمكن من مشاهدة حفل التأبين بسهولة ودون أن نتعرض للخطر. وطاف حول المحرقة قضاة طبقة الفرسان حاملين شارات رتبة شرفهم، والعساكر الممتطون خيلهم والمشاة وهم يسيرون كل حسب مشية فرقته ؛ ثم أوقد القنصلان النار في المحرقة التي اندفع منها بعد ذلك نسر. وهكذا التحق برتناكس (Pertinax) بجماعة الخالدين.

6- أما بخصوص سيفير (Sévère)، فإنه حمل على نيجر (Niger). وكان أصل هذا الأخير من إيطاليا، وينتمي لطبقة الفرسان ؛ ولم تكن له مزايا ولا عيوب خارقة العادة من شأنها أن تجعل المرء يمدحه أو يذمه. وقلده كومود (Commode) ولاية سوريا(la Syrie). وكان نيجر (Niger) قد اختار من بين من اختاره كمعاون له أيميليانوس (Æmilianus)، لأن أيميليانوس هذا، بحفاظه على الحياد بين الأحزاب، وباغتنامه للفرص، كان يبدو أفضل من كل أعضاء مجلس الشيوخ في زمننا، فيما يخص حصافته وتجربته. ولقد باشر العمل في عدة ولايات، ثم إنه كان قريبا لألبينوس (Albinus)، وهو ما جعله يتغطرس. ولما نشبت الحرب، قدم نيجر (Niger) إلى بيزنطة[1] (Byzance)، ومنها زحف على بيرنطة[2] (Périnthe). ولقد استولى عليه الذعر بعد أن تطير من الحادث التالي: فلقد حط نسر على راية عسكرية وبقي نازلا عليها بالرغم من محاولات طرده عنها، حتى أخذ. ووضعت النحل خلاياها على ألوية جنوده، وخاصة على صوره نفسِها. ولهذه الأسباب قفل راجعاً إلى بيزنطة. أما أيميليانوس (Æmilianus)، فإنه هُزم وقُتل أثناء اشتباك في سيزكة[3] (Cyzique) مع زعماء

---

[1]- لما نادى به الجند إمبراطورا، اعتقد نيجر أن كل الصعاب قد ذلّلت أمامه؛ فلقد احتقر قوات النجدة التي عُرضت عليه من البلاد الواقعة فيما وراء دجلة والفرات؛ ولم يول اهتماما لجيوش إليريا (l'Illyrie)، وكان شغله الشاغل تنظيم الألعاب والحفلات لسكان أنطاكية (Antioche)؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre II, XXXVIII.

فلما لم يفلح بعد ذلك في الحصول على مساندة قوات الأرمن و الفارثيين، اكتفى، حينما هاجمه سيفير، باحتلال مضيقي طوروس (Taurus) وبيزنطة اللذين كان يرى أنهما ممرا استراتيجيا للدفاع عن أراضيه، معتمدا فقط على قواته وعلى العسكر الذين تمكن من تجنيدهم في سوريا.

[2]- كان نيجر قد استولى على بيزنطة، وحاول أن يستولي كذلك على بيرنطة (Périnthe) التي كانت، في تنافسها مع بيزنطة، قد أيدت سيفير ؛

Spartien, Vie de Sévère, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[3]- كان سيفير، حسب هيروديان، يعرف أن بيزنطة تحتلها حامية عسكرية، ويعرف قوة المدينة، لذلك اتجه نحو سيزيكا (Cyzique)، مدينة ميسيا (Mysie) بالقرب من البروبونتيد (Propontide)؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 3.

حزب سيفير (Sévère). وبعد ذلك تحارب الخصمان وسط خوانق نيقية (Nicée) وكيوس (Cios)، وكانت الحرب بينهم سجالا[1]. فبعضهم كان يحارب بثبات في السهل، بينما احتل البعض الآخر التلال وشرع في تسديد الضربات للخصم مستغلا ارتفاع الموضع ورامياً العدو بوابل من السهام ؛ فركب أصحاب السهل القوارب[2] وشرعوا في رمي أعدائهم بالنبال. وفي بداية المعركة، انتصر جنود سيفير (Sévère) الذين كانوا تحت إمرة كانديدوس (Candidus)، بعد استغلالهم للموضع الإستراتيجي الذي كانوا يحاربون من فوقه ؛ لكن لما ظهر نيجر (Niger) بعد ذلك بنفسه، تمكن جنوده من دحر رجال سيفير (Sévère) وإحراز النصر. وبعد ذلك، أوقف كانديدوس (Candidus) حاملي الألوية، وأدارهم حتى أصبحوا وجهاً لوجه مع الأعداء، وأحس جنوده بالخزي بعد أن عنفهم على جبنهم، فعكسوا اتجاههم وحملوا على العدو فانتصروا بدورهم. وكان جيش نيجر (Niger) سيسحق عن آخره لولا جوار المدينة ودجو الليل.

7- وبعد ذلك شهدت إيسوس (Issus) معركة كبرى بالقرب من الموضع المسمى بالأبواب (les Portes) بين جيش سيفير (Sévère) الذي كان على رأسه أنولينوس فليريانوس (Anulinus Valérianus)، وجيش نيجر (Niger) الذي كان يقود فرقه بنفسه ويهيئها للقتال[3]. ويسمى المكان الذي التقى فيه الجمعان بالأبواب السيليسية (Portes ciliciennes) بسبب ضيقها. فبالفعل كانت تمتد في هذا المكان جبال وعرة من جهة، وحافات عميقة تشرف على البحر من جهة أخرى. وأقام نيجر (Niger) معسكره فوق تل

وحسب سبارتيان، فإن قادة سيفير هزموا أيميليانوس (Æmilianus) في الهيلسبونت (الدردنيل)، فالتجأ إلى سيزيكا (Cyzique)، ثم إلى مدينة أخرى حيث تم قتله بأمر من المنتصرين عليه؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 8 ; *in* : *Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[1]- بعد الانتصار في سيزيكا (Cyzique)، انتقلت المعارك إلى بيثنيا (la Bithynie) حيث انتصر سكان نيكوميديا (Nicomédie) لسيفير، بينما ظل سكان نيقية (Nicée) مخلصين لنيجر؛ وكان هؤلاء يبغضون النيكوميديين (فالمدينتان كانتا تطمحان لتحظي إحداهما بلقب عاصمة بيثنيا (la Bithynie) وحاضرتها)، وهو البغض الذي جعلهم يستقبلون جند نيجرالمنهزمين؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 7.

[2]- في بحيرة أسكانيوس (Ascanius) التي كانت نيقية (Nicée) تقع على ضفافها.

[3]- بعد هزيمته، اتجه نيجر إلى أنطاكية (Antioche) ليجمع جيشا جديدا ويحصل على المعونة. وكان سيفير بدوره قد غادر بيثنيا (la Bithynie) وغالاتيا (la Galatie)، واستولى على مضيق طوروس (Taurus) بعد ما هدم مطر مدرار التحصينات التي بناها نيجر، وأجبر الجند على التراجع. وبعد أن جمع قوات في سوريا وسيليسيا، جاء نيجر من جديد لمواجهة سيفير؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 9-12.

محصن، ثم وضع في الصف الأول جنوداً مسلحين بأسلحة ثقيلة، يليهم الحرابون والرماة بالمقاليع، والنبالة في المؤخرة. ولقد نظم جيشه بهذا الشكل حتى توقف الصفوف الأمامية العدو بقتاله عن قرب، ويتمكن الجنود الذين كانوا خلفهم من القتال عن بعد، مسددين ضرباتهم من فوق رؤوس رفاقهم في المقدمة، ولأن ميمنته وميسرته كانتا محميتين بالحافات من جهة البحر، وبغابة لفاء يتعذر السير فيها. وبعد أن رتب الجيش على هذا الشكل، أبعد الأمتعة إلى الوراء حتى يقطع سبيل الهرب على من قد يفكر في ذلك. وأمام هذا المشهد، وضع أنولينوس فليريانوس (Anulinus Valérianus) في مقدمة جيشه جنوداً محميين بالتروس، وصفّ وراءهم كل أولئك الذين كانوا مسلحين سلاحاً خفيفا حتى يتمكن هؤلاء من دحر العدو عن بعد، وذلك برميه من خلف المقدمة، وتتمكن المقدمة بدورها من إفساح المجال أمام الجنود المناوشين حتى يتمكنوا من تسلق المنحدرات الصعبة بأمان ؛ ثم أرسل الخيالة تحت قيادة فليريانوس (Valérianus)، وأمره بالدوران حول الغابة بأي طريقة كانت، وأن يأخذ مؤخرة جيش نيجر (Niger) على حين غرة. ولما بدأ الاشتباك، احتمى جنود سيفير (Sévère) بتروسهم واضعين إياها أمامهم، وفوق رؤوسهم على شكل قفعة[1]، ثم قصدوا العدو. وظلت الحرب سجالا لمدة طويلة، ثم تغلب جنود نيجر (Niger) بفضل عددهم واستغلالهم لفوائد المكان الذي كانوا يقاتلون فوقه، وكان بإمكانهم أن يحرزوا نصراً مبيناً لولا تلبد السماء بالغيوم الكثيفة، وقد كانت صحواً قبل ذلك، وهبوب الريح بعد أن كانت ساكنة، وقصف الرعد بشدة، ولألأة البرق ؛ ثم أغدق المطر ليصيب أوجههم مباشرة. ولم تزعج هذه العاصفة جنود سيفير (Sévère)، لأنها كانت تهب وراء ظهرانيهم ؛ أما جنود نيجر (Niger)، فإنهم ضاقوا بالعاصفة ذعراً، لأنها كانت تواجههم. ولقد ولدت هذه العاصفة الثقة في نفوس البعض لاعتقادهم أن الآلهة قدمت لنصرتهم، بينما أصاب البعض الآخر هلع شديد لاقتناعهم بأن الإله كان يحارب ضدهم، وهو ما جعل حماس أحد الفريقين يزيد اتقاداً، وذعر الفريق الآخر يزيد اشتداداً بالرغم من الموارد التي كانت في حوزته. وكان أصحاب هذا الفريق قد شرعوا في الهرب لما ظهر فليريانوس (Valérianus). فلما رأوه، أعادوا الكرة، لكن أنولينوس (Anulinus) هزمهم، فلاذوا بالفرار، وهاموا على أوجههم بحثاً عن النجاة.

[1]– سبق لديون أن وصف المناورة العسكرية المسماة بالسلحفاة؛ راجع: *تاريخ ديون*، XLIX، 30.

8- ووقعت في هذه الحرب مجزرة فظيعة[1]، وسقط من بين صفوف جيش نيجر (Niger) عشرون ألف مقاتل، وهو ما كانت ترمز إليه رؤيا الراهب. فبينما كان سيفير (Sévère) في بنونيا (Pannonie)، رأى راهب جوبيتر (Jupiter) في منامه رجلاً أسود ينقض على معسكر سيفير (Sévère) ثم يقتل تحت ضرباته. وبالفعل، عندما يترجم اسم نيجر[2] (Niger) إلى الإغريقية، يتضح أنه هو رجل الرؤيا الأسود. ولما تم الاستيلاء بعد ذلك بقليل على أنطاكية (Antioche)، هرب نيجر (Niger) منسحباً في اتجاه الفرات (l'Euphrate) بنية الفرار إلى البابار، غير أن متعقبيه ظفروا به وحزوا رأسه. ثم بعث سيفير (Sévère) بالرأس إلى بيزنطة[3]، وشده إلى صليب حتى يحث السكان، أمام هذا المشهد، على الانضمام لحزبه. وبعد ذلك حاكم أولئك الذين ساندوا نيجر (Niger). وعاقب سيفير (Sévère) بعض المدن والأشخاص، وكافأ البعض الآخر ؛ أما أعضاء مجلس الشيوخ الروماني، فإنه لم يقتل منهم أي أحد، غير أنه سلبهم أموالهم تقريباً جميعاً، ونفاهم إلى الجزر[4]. وكدس كذلك المال وانتزعه من أصحابه قهراً ؛ ومن بين الطرق التي استعملها في انتزاعه، إجباره الأشخاص والشعوب التي منحت نيجر (Niger) مبالغ مالية، إن طوعاً وإن كراهية، على تسليمه أربعة أضعاف المبالغ التي وهبوها لنيجر (Niger). وكان يشعر في قرارة نفسه أن عمله هذا سيسبب له بغض الناس، غير أن حاجته الملحة للمال جعلته لا يكترث بالإشاعات.

9- ولقد استدعي عضو مجلس الشيوخ كسيوس كليمنس (Cassius Clémens) أمام محكمة سيفير (Sévère)، وعوض أن يخفي الحقيقة، فإنه توجه إلى المحكمة بهذه الكلمات الجريئة : « لم أكن أعرفك، لا أنت ولا نيجر (Niger)، غير أني لما وجدت نفسي في حزبه، أذعنت للأمر الواقع آنذاك، ليس بهدف محاربتك، ولكن بهدف الإطاحة بيوليانوس

---

[1]- **Hérodien,** ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre III, 13.**

[2]- حسب سبارتيان، كان عنق نيجر شديد السواد إلى درجة أن معظم المؤلفين يفسرون كنيته نيجر (الأسود) بهذه الخاصية؛ راجع:

Spartien, Vie de Pescennius, 6 ; ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[3]- يختلف سبارتيان مع ديون في هذه الرواية، بحيث يروي أن رأس نيجر بعد أن حُز وطيف به وقد ثُبّت فوق حربة، بُعث إلى روما وليس إلى بيزنطة؛ راجع:

Spartien, Vie de Pescennius, 6 ; ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[4]- عن الإجراءات التي اتخذها سيفير في حق السيناتوسيين الذين ناصروا خصمه نيجر وحاربوا في صفوفه، راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 9 ; ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

(Julianus). فبعملي هذا لم أرتكب إذاً أي جريمة، لأني كنت أسعى مبدئياً إلى نفس الهدف الذي تسعى إليه. فإذا لم أترك فيما بعد الزعيم الذي دلتني الآلهة عليه لألتحق بصفوفك، فإنك أنت أيضاً لم تكن لتقبل بخيانة أحد من هؤلاء الذين يجلسون إلى جانبك لمحاكمتي، والتحاقه بحزب خصمك. فلا تحاسب إذاً أشخاصنا وأسماءنا بقدر ما عليك أن تحاسب الأمور التي دفعتنا إلى ارتكابها دفعاً. وكل ما ستحكم به ضدنا، سيكون بمثابة قرار ضدك وضد أصحابك، لأنك بالرغم من كونك لن تدان من طرف أي محكمة، ولن يُنطق ضدك بأي حكم، إلا أن الصيت الذي سيذيع بين الناس وسيبقى ذكرى خالدة، سيحتفظ إما بإدانتك لنا أو إنصافك». ولقد أعجب سيفير (Sévère) بحرية التعبير هذه، فمنحه نصف أمواله. واتهم عدة أشخاص افتراء بأنهم ناصروا نيجر (Niger) مع أنهم لم يروه أبداً، ولم يسدوا له أية مساعدة. وحتى يثبت الجريمة على من كان يعاقبهم، حاول سيفير (Sévère) أن يغوي إريكيوس كلاروس[1] (Erycius Clarus) ليسعى بهم، وذلك بهدف الحط من قدر الرجل واستغلال شرفه وسمعته لإضفاء الشرعية على الحكم، ووعده بتركه على قيد الحياة وعدم عقابه. وبما أن إريكيوس كلاروس (Erycius Clarus) فضل الموت على تراض من هذا القبيل، فإن سيفير (Sévère) توجه إلى يوليانوس (Julianus) وحمله على التكفل بالقضية. ولهذا السبب عفا عنه تاركاً إياه على قيد الحياة، وجنّبه الخزي ؛ وكان قد استنطقه محققاً معه في كل التفاصيل وهو يعذب تعذيباً أليماً، دون أن يراعي شرفه.

10– لقد أنجز البيزنطيون في حياة نيجر (Niger) وبعد موته عدة أمور عجيبة. وتقع مدينتهم بالضبط في الموضع الأكثر ملاءمة من أراضي المضيق والبحر الذي يفصل بين عدوتيه ؛ وهي محصنة بطبيعة المكان نفسه وبفضل البوسفور (Bosphore). ولقد تم بناؤها على مرتفع من حيث تتقدم في البحر الذي يجري انطلاقاً من البحر الأسود (Pont) وكأنه سيل، ليلتطم بالشناخ ويحول جزءاً من مياهه على اليمين حيث يكون خليجاً ومراسي، ثم يزيد جريانه سرعة ليصب معظم مياهه في بحر مرمره (la Propontide)، قدام المدينة نفسها. وكانت لبيزنطة أسوار ضخمة، وكان المتراس مكوناً من أحجار سميكة مربعة الشكل، تشدها لبعضها البعض صفائح برونزية. وكان داخل المدينة محصناً بممرات

1– كان إريكيوس كلاروس (Erycius Clarus) قنصلا في السنة التي قبل هذه، (*تاريخ ديون*، LXXII، 22)؛ ويُفترض أنه ابن من كان يتولى القنصلية لما وُلد سيفير، حسب سبارتيان الذي يذكره في قائمة الشخصيات التي قتلها سيفير بدون محاكمة؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 1 ; 13; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Aulu-Gelle, *Les Nuits attiques*, VI, 6.

مرتفعة ومبان، بحيث كانت كل التحصينات تبدو كأنها لا تشكل إلا سوراً متيناً يوجد وراءه ممر مسقف سهل الحراسة، كان يجانب سور المدينة. وكانت توجد خارج المدينة أيضا عدة أبراج كبرى لها نوافذ تتناظر فيما بينها حول المدينة، بحيث كان المهاجمون يجدون أنفسهم محاصرين داخل الدائرة التي كانت تشكلها هذه الأبراج. وبالفعل، فلقد بنيت قريبة بعضها من البعض، ليس على شكل خط مستقيم، بل منحرف. فلقد شيدت مجموعة من الأبراج على خط، ثم تلتها مجموعة ثانية على خط آخر ينحرف عن الخط الأول، بحيث يحاصر مجموع الأبراج كل من حاول الاقتراب منها. أما فيما يتعلق بسور المدينة، فإن الجزء الذي كان ينتصب من جهة البر كان شاهقاً يصد هجمات العدو ؛ أما الجزء الذي كان يقع من ناحية البحر، فإنه كان أقل ارتفاعاً، لأن الصخور التي بني عليها، واندفاع أمواج البوسفور (Bosphore)، كانت أحسن دفاع في هذه الجهة. وكان مدخلا الميناءين الموجودين داخل الأسوار يسدان بالسلاسل. وعلى أرصفة الميناء الملتوية، انتصبت من كل جهة أبراج كانت بموضعها المتقدم تجعل اقتراب العدو أمراً عسيراً. وجملة القول، فلقد كانت للبوسفور (Bosphore) منفعة كبرى بالنسبة لبيزنطة، لأن السفن عندما كانت تجد نفسها وسط التيار البحري، فإنها كانت تدفع حتماً، وبالرغم منها نحو البر. وكان ذلك شيئاً ممتعاً بالنسبة لسفن الأصدقاء، ولكنه مقلق للغاية بالنسبة لسفن الأعداء.

11- هكذا كانت تحصينات بيزنطة، وعلاوة على ذلك، كانت آلات الحرب المختلفة ترى من فوق الأسوار في كل مكان. فهنا كانت تقذف الصخور وقطع الخشب على من كانوا يقتربون، وهناك ترمى الأحجار ويرشق بالسهام والرماح من كانوا يهاجمون من بُعد، بحيث لم يكن بوسع أي كان أن يقترب كثيراً من أسوار المدينة دون أن يعرض نفسه للخطر. وكانت هناك آلات أخرى مجهزة بمزاريق كانت تنزل بغتة ثم ترفع بسرعة السفن وآلات العدو. وكان ابن بلدي بريسكوس (Priscus) هو الذي صنع معظم هذه الآلات الحربية، فجر على نفسه بذلك عقوبة الإعدام، ثم عفي عنه فيما بعد، لأن سيفير (Sévère) لما أخبر بحذقه، أوقف تنفيذ الحكم، واستعمله منذئذ في جملة من عمليات الحصار، كحصار أطرا (Atra) حيث كانت آلات بريسكوس (Priscus) الحربية هي الوحيدة التي تمكنت من مقاومة نيران البابربار. وكان البيزنطيون قد صنعوا، إضافة إلى ذلك، خمسمائة سفينة، معظمها لها صف واحد من الجدافين، وبعضها لها صفان، ومخاريق. وكانت بعض السفن مجهزة في طرفيها، في الكوثل والجؤجؤ بدفة، وكان يقودها ربانان، ولها طاقمان حتى لا تضطر

للقيام بتحركات قصد الإبحار إلى الأمام أو إلى الوراء، وتتمكن من مفاجأة العدو بتقدمها أو تراجعها.

12- لقد قام البيزنطيون بعدة أشياء، ولقوا من أعدائهم الأمرّين حيث أنهم عانوا من حصار أساطيل العالم بأسره، إن صح التعبير، لمدة ثلاث سنوات. وسأروي بعض أعمالهم البطولية الباهرة. فلقد تمكنوا من أسر عدة سفن كانت تجري بجوارهم لأنهم هاجموها في الوقت المناسب، وأسروا للأعداء أيضاً سفناً ثلاثية المجاديف، عند رسوها، ذلك لأنهم كانوا يقومون بقطع حبال المراسي من لدن الغواصين، ويدقون المسامير في جوانب السفن ثم يجرونها بواسطة حبال تشد إلى شاطئهم بحيث ترى السفن تجري وحدها وتبحر بنفسها دون أن تحركها المجاديف ومن غير أن تدفعها الريح. وعلاوة على ذلك، كانت السفن التجارية تستسلم لأسرهم عن طواعية، وإن كانت تتظاهر بالمقاومة ؛ ثم بعد بيعها أوساقها بالثمن الغالي، فإنها كانت تفر مسرعة بنشرها كل القلاع. غير أن البيزنطيين لما أنهوا استهلاك كل ما كانوا يتوفرون عليه داخل المدينة، وضاقت بهم السبل، وكاد رجاؤهم ينقطع، وبالرغم من أنهم كانوا مهاجمين بشدة ومحاصرين، ومواصلاتهم مقطوعة مع الخارج، فإنهم لم يكفوا عن مقاومتهم إطلاقاً، واستعملوا خشب دورهم لإصلاح سفنهم، وشعور نسائهم لفتل الحبال. ولما كان العدو يهاجم الأسوار، فإنهم كانوا يرمونه بالأحجار التي يقتلعونها من مسارحهم، وبالخيول وبتماثيل البرونز الكاملة، ثم لما نفد زادهم فإنهم بللوا الجلود لأكلها[1]. وبعد أن نفدت هذه الموارد، أبحر معظم السكان في جو عاصف وبحر هائج حتى لا يصادفوا الأعداء في طريقهم، بهدف الموت أو الحصول على الزاد، وانقضوا بغتة على البادية ثم خطفوا كل شيء بدون تمييز. أما أولئك الذين مكثوا في المدينة، فإنهم أتوا فعلاً فظيعاً، إذ لما ضعفوا ضعفاً شديداً، تقاتلوا وأكل بعضهم لحوم البعض.

13- هكذا كانت حالة هؤلاء، أما الآخرون، فبعد أن ملؤوا مراكبهم فوق الحد، رفعوا المراسي والعاصفة في أشد عنفها، لكن بلا جدوى، لأن الرومان لما رأوا سفنهم المحملة التي كانت تطفو بصعوبة فوق الماء، أبحروا في اتجاهها وشدوا عليها وهي مشتتة ومستسلمة للريح والأمواج، ولم يكلفوا أنفسهم عناء القتال؛ واكتفوا بضرب السفن

[1]- حسب هيروديان، فإن الاستيلاء على بيزنطة تم بسبب المجاعة؛ راجع:
Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.*****, Livre III, 19.**

ضرباً لا هوادة فيه، دافعين بعضها بالخطاطيف، ومحدثين في الأخرى ثقبا بمخاريقهم، ومنها من قلب فقط بفعل الصدمة. وبالرغم من رغبتهم في النجاة، فإن هؤلاء التعساء لم يستطيعوا شيئاً ؛ وفي محاولتهم الهروب، غرق البعض بسبب الريح العاتية التي استسلموا لها بدون مقاومة، وقتل البعض الآخر بوقوعهم بين يدي العدو. وأمام هذا المشهد، توسل أولئك الذين كانوا في بيزنطة في البداية إلى الآلهة، مطلقين صرخات طوراً بسبب هذا الحادث وطوراً بسبب ذاك، بحسب ما كان يشاهده كل واحد منهم في هذا المشهد الرهيب ؛ ولكنهم لما رأوا أن ذويهم ماتوا دون أدنى نجدة، انفجروا آنذاك جميعاً بالعويل والنواح، ولم يكفوا عن البكاء عليهم بقية نهارهم والليل كله. وكان حطام السفينة من الكثرة بحيث حمل البحر بعضه حتى إلى الجزر، بل وحتى إلى آسيا حيث عرف به الناس هزيمة البيزنطيين قبل أن يصلهم خبرها. ولقد زاد يوم الغد في شقاء المحاصرين، لأن العاصفة كانت قد هدأت، فبدا كل البحر الواقع أمام بيزنطة مكسواً بالجثث وحطام السفن والدم، والكثير من هذه الأشياء دفعها البحر نحو اليابسة، الشيء الذي جعل مشهد هذه الفاجعة أكثر ترويعاً مما هي في الواقع.

14– وسلم البيزنطيون – بالرغم منهم – المدينة في الحال، فقتل الرومان الجنود وكل أولئك الذين كانوا يتقلدون المناصب، بالإضافة إلى رياضي كان يتعاطى الملاكمة، وكان قد أسدى عدة خدمات للبيزنطيين وأزعج الرومان إزعاجاً شديداً. فلقد سدد هذا الرياضي على الفور لكمة لأحد الجنود، وركل الآخر حتى يحرضهم على قتله، فمات قبل الجميع. أما بخصوص سيفير (Sévère) الذي كان يوجد آنذاك في بلاد الرافدين (Mésopotamie)، فإن فتح بيزنطة جعله يشعر بفرح عظيم حيث خاطب جنوده قائلا : « وأخيراً فتحنا بيزنطة أيضاً». ولقد حرم هذه المدينة من حريتها ومن حقوقها السياسية[1] ؛ وبعد أن فرض عليها الجزية وصادر أموال مواطنيها، وهب المدينة وأراضيها للبيرنطيين[2] (Périnthiens) الذين عاملوها وكأنها قرية، وتصرفوا مع أهاليها تصرفاً وقحاً. ولقد بدا سيفير (Sévère) في هذه المناسبة وكأنه عدل، لكنه لما هدم أسوار البيزنطيين[3]، فإنه جعلهم يشعرون بغم شديد، إذ حرمهم من

[1]– كان البيزنطيون قد حصلوا على حرية حكم أنفسهم طبقا لقوانينهم، وذلك جزاء لهم على الخدمات التي أسدوها إلى روما في حربها مع ميتريدات (Mithridate)؛ وفي عهد كايوس (Caius)، حظيت مدينتهم بحمل لقب حاضرة.

[2]– كانت بيرنطة (Périnthe) خصمة بيزنطة؛ راجع الفصل السادس، الهامش 2، ص. 80 من هذا الكتاب.

[3]– حسب هيروديان، كانت المدينة قد هدمت عن آخرها:

الفخر الذي كانوا يحسون به وهم يُرونها للآخرين. ثم إنه هدم قلعة مشهورة كان الرومان يحتمون داخل أسوارها، وينطلقون منها كلما حملوا على برابرة البحر الأسود (Pont) وآسيا (l'Asie). ولقد رأيت الأسوار محطمة وكأن قوماً آخرين، غير الرومان، استولوا عليها ؛ وكنت قد رأيتها أيضا قائمة، وسمعتها وهي تتكلم. فلقد كانت هناك فعلاً سبعة بروج تنتصب فوق المجال الذي يمتد من أبواب تراقيا (Thrace) إلى البحر. فإذا خاطب المرء برجاً من هذه البروج، فلا صدى يتردد، ولكن إذا ما صرخ أمام البرج الأول أو رماه بحصاة، فإنه يردد الصدى ويمكن البرج الثاني بدوره من رجع الصوت، بحيث كان الصوت يسمع في كل الحصون بالطريقة ذاتها، من غير أن يضطرب وهو ينتقل بينها. فكل برج كان يتلقى بالمناوبة الأصوات والكلمات، ثم يرجعها للذي بعده. هكذا كانت أسوار بيزنطة.

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 19.

لكن ديون لا يتحدث إلا عن تهديم الأسوار، الشيء الذي قد يعني أن البيرنتيين (les Périnthiens) هدموا ما تبقى من المدينة.

الكتاب الخامس والسبعون

1- خلال حصار بيزنطة[1]، وطلباً للمجد، حمل سيفير (Sévère) على البابار الأوسروئينيين (les Osroéniens) والأديابينيين (les Adiabéniens) والعرب[2]. وكان الأوسروئينيون (les Osroéniens) والأديابينيون (les Adiabéniens) قد خرجوا على الإمبراطور، وحاصروا نصيبين (Nisibis)؛ فلما هزمهم سيفير (Sévère)، بعثوا إليه، بعد موت نيجر (Niger)، سفارة، ليس لطلب الصفح عن إساءتهم للرومان، ولكن للمطالبة بهباته بدعوى أنهم لما ارتكبوا ما ارتكبوه، عملوا لصالحه ؛ فبالفعل، إنهم كانوا يقولون : لأجله قاموا بقتل الجنود المناصرين لنيجر (Niger). وبعثوا أيضاً بهدايا لسيفير (Sévère)، ووعدوا برد الأسرى وما تبقى من الغنائم. غير أنهم كانوا يرفضون مغادرة الأماكن المحصنة التي استولوا عليها، كما كانوا يرفضون استقبال الحاميات العسكرية لتقيم بين ظهرانيهم ؛ بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وطالبوا برحيل كل الجنود الذين بقوا في بلدهم. ولهذه الأسباب أشهرت الحرب ضدهم. أما العرب الذين لم يرد أن يهب إلى نجدتهم أي من الشعوب المجاورة لهم، فإنهم بعثوا سفارة جديدة لسيفير (Sévère)، واقترحوا شروطاً أكثر إنصافاً. إلا أنهم لم ينالوا ما كانوا يرغبون فيه، لأنهم لم يأتوا بأنفسهم.

2- وبعد عبور سيفير (Sévère) للفرات (l'Euphrate) وتوغله في أراضي العدو، كادت ندرة الماء – وهي شيء طبيعي في هذا البلد، زاد من حدته جفاف الصيف – تسبب في هلاك

---

[1]- ذكر هيروديان أن سيفير هاجم ألبينوس خلال حصار بيزنطة، وأنه أجل الحرب ضد الأطرينيين (les Atréniens) والفارثيين (lesParthes) إلى أن يتم له القضاء على ألبينوس:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 19.

إلا أن سبارتيان يتفق مع ديون ويذكر أن سيفير بعد أن انتصر على العرب (les Arabes) والأدديابينيين (les Adiabéniens) والفارثيين (les Parthes)، رجع إلى روما حيث تلقى خبر عصيان ألبينوس:

Spartien, Vie de Sévère, 9-10; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]- **Spartien, Vie de Sévère, 15-16 ; *in* : *Écrivains de l'histoire auguste, op. cit***

كانت الذريعة التى اتخذها سيفير فى حملته على هذه الشعوب هى أنها ناصرت خصمه نيجر الذى بعث بارسينيوس، ملك الأطرينيين، لنجدته نبالته؛ كما أمر ملك الفارثيين حكامه بمده بقوات عسكرية؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 1 ; 27-28 ; Spartien, Vie de Sévère, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

عدد كبير من قوات جيشه التي أنهكها السير وحرّ الشمس، وأزعجها الغبار الذي أثارته الريح أيما إزعاج، إلى درجة أن الجند أضحوا عاجزين عن السير والكلام، فصاروا لا يرددون إلا هذه الكلمات: «الماء! الماء ! ». وأخيراً تم العثور على الماء، غير أن نوعيته كانت في منتهى الرداءة، ولم يكن سائغاً شرابه، إذ لم يكن ذلك السائل ماء حقاً. فطلب سيفير (Sévère) كأساً، وبعد ملئها شربها أمام الملأ. ثم شرب آخرون بعده، فاستعادوا قواهم. وتوجه سيفير (Sévère) بعد ذلك إلى نصيبين (Nisibis) حيث استقر. وبعث لطيرانوس[1] (Latéranus) وكانديدوس[2] (Candidus) وليطوس[3] (Lætus) ليحملوا على البابار الذين تحدثت عنهم، أحدهم من جهة، والثاني من جهة أخرى. فهاجموا العدو وخربوا أراضي البابار واستولوا على المدن. وبينما كان سيفير (Sévère) مستسلماً لكبريائه بسبب هذا الفوز، وكأنه فاق كل الرجال حكمة وبسالة، وقع له حادث غريب : كان قاطع طريق يسمى كلاوديوس (Claudius)، يعيث في يهودا (la Judée) وسوريا (la Syrie) فساداً، ولهذا السبب كان يبحث عنه في كل مكان؛ فجاء يوماً للقياه على رأس جماعة من الفرسان وكأنه قائد عسكري، ثم سلم عليه وقبله من غير أن يتم التعرف عليه وقتئذ ؛ ولم يلق عليه القبض منذ ذلك الحين.

3- وخلال ذلك الوقت، كان السيتيون (les Scythes) قد عقدوا العزم على أخذ السلاح، غير أنهم لم يفعلوا بسبب الرعود والبروق المصحوبة بالمطر والصواعق التي أصابتهم خلال تداولهم في الأمر، فأصعقت ثلاثة من رؤسائهم. وكان سيفير (Sévère) قد قسم جيشه من جديد إلى ثلاثة فيالق، وجعل على رأس أحدها ليطوس (Lætus)، وأسند قيادة الفيلق الثاني إلى أنوليوس (Anulius)، وأخيرا قاد بروبوس[4] (Probus) الفيلق الثالث ؛ ثم أرسل هؤلاء القادة لمحاربة أديابينيا (l'Adiabénie). وغزا القادة هذا الصقع من ثلاث جهات، وأخضعوه بعد جهد جهيد ؛ أما سيفير (Sévère)، فإنه منح امتيازات لنصيبين[5]

---

[1]- سيصبح كلاوديوس لطيرانوس (Claudius Latéranus) قنصلا سنتين بعد هذا الحدث.

[2]- كانديدوس (Candidus) وأنولينوس (Anulius) (الفصل الثالث) هما نفس الشخصين اللذين قاتلا ببسالة ضد قوات نيجر (*تاريخ ديون*، LXXIV، 6 و7).

[3]- ليطوس (Lætus) هو الذي انتزع نصيبين (Nisibis) من الفارثيين (les Parthes)، ثم قتل بعد ذلك بأمر من سيفير (الفصل العاشر من هذا الكتاب).

[4]- أحد صهري سيفير الذي يطلعنا سبارتيان على أنه عين قنصلا، شأنه شأن صهره الآخر (Aëtius)، بمجرد ما أن أصبح سيفير إمبراطورا؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[5]- بجعلها حاضرة ومستعمرة.

(Nisibis)، وأسند حكمها لفارس ؛ وكان يفتخر بضمه أراضي شاسعة للإمبراطورية، وبجعله هذه المدينة حصن سوريا (la Syrie). لكن الأحداث بينت بما فيه الكفاية أن ضم الصقع المذكور، كان فيما يخصنا سبب حروب متتالية، ونفقات عدة، وأن هذه الأراضي الجديدة تدر مالاً قليلاً وينفق عليها مال كثير ؛ وبما أننا في حرب مع الميديين (les Mèdes)، والفارثيين (les Parthes)، جيراننا، فإننا نقاتل في كل وقت، إن صح التعبير، للذود عن هذه الأراضي.

4– ولم يكن سيفير (Sévère) قد استرد أنفاسه بعد من جراء حروبه ضد الباربار، لما وجد نفسه من جديد طرفاً في الحرب الأهلية ضد القيصر ألبينوس (le César Albinus) فبالفعل، لم يعد سيفير (Sévère) يكرمه التكريم الجدير بقيصر[1]، وذلك منذ أن تخلص من نيجر (Niger)، وصفا له الجو ليبث في الأمور كيفما شاء. أما ألبينوس (Albinus)، فكان من جهته يطمح لتبوء الحكم ويصير إمبراطوراً. وبينما كان العالم يهتز من أثر هذه الفتنة، أوقفنا، نحن أعضاء مجلس الشيوخ، نشاطنا باستثناء أولئك الذين اختاروا علناً أحد المطالبين بالإمبراطورية، وركبوا معه الأخطار، وشاركوه آماله. غير أن الشعب لم يملك نفسه، وعبر عن ألمه بدون مواربة. وكان ذلك في آخر يوم من ألعاب السيرك، قبل أعياد زحل (les Saturnales)، وكان قد اجتمع بهذه المناسبة جمع غفير من الناس، وكنت حاضراً خلال هذه الألعاب، نظراً للعطف الذي كنت أكنه للقنصل الذي كان صديقاً لي، وسمعت بتمام الوضوح كل ما كان يقال، الشيء الذي مكنني من كتابة رواية هذه الأحداث. هكذا جرت الأمور : فلقد احتشد، كما سبق أن قلت، جمع غفير من الناس كانوا

[1]– استمرت الميداليات (مجموعة كوهن Cohen) في إطلاق لقب قيصر على ألبينوس (Albinus) ، وذلك إلى غاية عام 949 (من التقويم الروماني)، حيث أعلن نفسه أغسطسا. ولا يذكر هيروديان هذا اللقب، ولكنه يصف ألبينوس وكأنه إمبراطور، يتلقى كتب أعضاء مجلس الشيوخ البارزين الذين كانوا يحثونه على الرجوع إلى روما قصد الاستيلاء عليها خلال غياب سيفير؛ لأن البطارقة كانوا يفضلون ألبينوس إمبراطورا نظرا لشرف نسبه ودماثة خلقه. وحاول سيفير، دائما حسب هيروديان أن يتخلص منه بدون ضجة، مستعملا الحيلة. ويوافق كبيتولان هيروديان في روايته هذه، لكن سبارتيان يتهم ألبينوس بإنكار الجميل وإظهاره العداء لسيفير؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 16 ; Julius Capitolinus, Vie de Cl Albinus, 7 et 8, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Spartien, Vie de Sévère, 9 et 10; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

يشاهدون العربات تجري ستّا ضد ست[1]، كما وقع ذلك في عهد كلياندر[2] (Cléander)، دون أن تسمع أدنى كلمة مدح، كما جرت العادة. وبعد انتهاء هذه الدورات[3]، وفي الوقت الذي كان سائقو العربات سينطلقون في سباق جديد، بدأ الجمهور يسكت بعضه بعضاً، ثم صفق صائحاً صياحاً شديداً، ومطالباً بالسعادة لخلاص الشعب. ونطق بهذه الكلمة، ثم أطلق بعد ذلك على روما لقبي الملكة والخالدة، صارخاً : «إلى متى سنظل نعاني من هذه الويلات ؟ إلى متى سنظل في حالة حرب ؟ ». وبعد صياحه بعبارات أخرى من هذا القبيل، ختم كلامه ب « كفى ! »، ثم عاد لمشاهدة مسابقات الخيل. إلى هذا الحد أذكي الحماس الذي أوحت به الآلهة إلى هذه الجماهير ؛ فليس من باب الصدفة أن يصيح هؤلاء الآلاف من الرجال بنفس الصيحات في الوقت نفسه، وكأنهم جوقة مرتّلين أحسن تدريبها، ثم إنهم أطلقوا صرخاتهم بدون تردد، وكأنهم تعلموها فيما قبل. ولقد رأينا شيئاً قذف في قلوبنا رعباً أشد من الرعب الذي كنا نشعر به آنذاك : فلقد شاهدنا بغتة في السماء خلال الليل، في اتجاه الشمال، ناراً عظيمة بدت للبعض وكأنها تضطرم في روما، وبدت للبعض الآخر وكأنها متقدة في السماء. لكن الذي أدهشني أكثر، هو ذلك المطر الفضي اللون الذي أخذ يتهاطل في ميدان أغسطس (le Forum d'Auguste) ، بينما كانت السماء صافية. ولم أر ذلك المطر يتساقط، غير أنني فحصته بعد نزوله، واستعملته لتفضيض بعض القطع النقدية من القلز التي احتفظت بلونها الفضي لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الرابع امحى كل اللون الذي طليته بها.

5- وكان واحد من عامة معلمي قواعد اللغة للأطفال، يسمى نوميريانوس (Numérianus)، قد غادر روما – دون أن أعرف غرض سفره – ليذهب لغاليا (la Gaule) حيث زعم أنه عضو في مجلس الشيوخ الروماني، وقد كلفه سيفير (Sévère) بتجنيد جيش. ولقد تمكن في البداية من حشد قوات قليلة العدد، وهزم بعض سرايا خيالة جيش ألبينوس[4] (Albinus)، وقام بعمليات عسكرية أخرى جريئة لصالح سيفير (Sévère). ولما

---

[1]- كان من النادر جدا أن تتبارى أكثر من أربع عربات في وقت واحد؛ ولكن السيرك كان يتوفر على أربعة أبواب مقوسة، أو (*carceres*) من حيث كانت العربات تنطلق عند إعطاء العلامة.

[2]- راجع: *تاريخ ديون*، LXXII، 13.

[3]- أي بعد الدورات السبع حول حلبة سباق السيرك في السباق الأول.

[4]- كان ألبينوس (Albinus) ، حسب هيروديان، قد عبر من بريطانيا إلى غاليا حتى يطلب المدد من حكام الولايات المجاورة؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 20.

اطلع هذا الأخير على ما أنجزه نوميريانوس (Numérianus)، وكان يعتقد أنه فعلاً عضو في مجلس الشيوخ، كتب إليه مهنئاً، وحثه على تجنيد قوات أكثر عدداً. ومن بين الأعمال المدهشة التي قام بها نوميريانوس (Numérianus)، لما زاد في قوات جيشه، أنه جمع سبعة عشر مليوناً وسبعمائة وخمسين ألف دراخمة، وبعث بها إلى سيفير (Sévère). ولما أتى للقياه بعد الانتصار، فإنه لم يخف عليه شيئاً، ولم يطلب منه أن يعينه عضو في مجلس الشيوخ. وبالرغم من أنه كان يستحق أن يشرّف وتغدق عليه النعم، فإنه لم يقبل ذلك، وذهب للعيش في البادية من مبلغ زهيد كان يتلقاه من الأمير كل يوم. [وكان الكاليدونيون (les Calédoniens) قد نكثوا عهودهم، وكانوا يتأهبون للذود عن المياطينيين (les Méates)، بينما كان سيفير (Sévère) مشغولاً حينئذ بحرب في الثغور، فاضطر لوبوس[1] (Lupus) ليشتري السلم من المياطينيين (les Méates) بأموال جزيلة، ولم يتمكن من إطلاق سراح إلا عدد قليل من الأسرى.

6- أما فيما يخص المعركة التي دارت رحاها بين سيفير (Sévère) وألبينوس (Albinus) بالقرب من ليون[2] (Lyon)، فهذه هي الطريقة التي جرت بها. كان كل جيش يتكون من مائة وخمسين ألف مقاتل، وكان قائدا الجيشين حاضرين خلال المعركة[3]، نظراً لأنها كانت مصيرية بالنسبة إليهما، بالرغم من أن سيفير (Sévère) لم يكن قد شارك بعد في أي قتال. وكان ألبينوس (Albinus) متفوقاً على سيفير (Sévère) بالنظر إلى شرفه وعلمه[4]، بينما كان سيفير (Sévère) يتفوق على خصمه بخصوص معرفته بأمور الحرب، وكان بارعاً في قيادة الجيش. غير أنه في المواجهة الأولى، هزم ألبينوس (Albinus) لوبوس (Lupus)، أحد

---

[1]- فيريوس لوبوس (Virius Lupus) حاكم بريطانيا الذي لا ينبغي الخلط بينه وبين لوبوس، قائد سيفير الوارد اسمه في الفصل السادس من هذا الكتاب، والذي قتل خلال المعركة الأولى التي شهدتها غاليا في هذا الصراع.

[2]- جرت هذه المعركة الفاصلة، حسب سبارتيان، في تيبورتيوم (Tiburtium) بالقرب من مدينة ليون؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 11; *in, Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- حسب هيروديان، فإن ألبينوس بقي في مدينة ليون؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 21.

[4]- يجمع المؤرخون على شرف ألبينوس. ويشير كبيتولان إلى أن تكوينه في الآداب الإغريقية واللاتينية كان ضعيفا، وأنه أبان منذ صباه عن ميل ظاهر لفنون القتال؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Cl Albinus, 4 et 5; *in, Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

قادة سيفير (Sévère)، وقتل له عدداً كبيراً من الجنود[1]. لكن تلك المعركة عرفت تقلبات شتى. فلقد انهزمت ميسرة ألبينوس (Albinus) وتحصنت بخنادقها، وتعقبها جنود سيفير (Sévère) وانقضوا عليها في خنادقها، وقتلوا رجالها تقتيلاً، ونهبوا الخيام[2]. وخلال ذلك الوقت، وفي الخفاء، قام الجنود الذين وضعهم ألبينوس (Albinus) في الميمنة بحفر حفر قدامهم، وغطوا سطوحها بالتراب، ثم تقدموا حتى وقفوا على أشفارها، فرموا من بعيد رماحهم، ولم يتقدموا أكثر من ذلك، بل بالعكس، إنهم تراجعوا إلى الوراء متظاهرين بالخوف حتى يلاحقهم العدو، وهو ما حصل فعلاً. ولقد أثار هذا الهجوم الخاطف حنق رجال سيفير (Sévère) الذين استخفوا بفرار أعدائهم السريع، فاندفعوا وراءهم وكأن كل المسافة التي كانت تفصلهم عنهم كانت أرضاً صلبة تحت أقدامهم ؛ إلا أنهم لما وصلوا إلى الحفر، تكبدوا خسائر فادحة. فلقد هوت فيها الصفوف الأولى لما تحطمت فجأة تحت أرجلها الأشياء التي غطيت بها الحفر، ثم سقطت إثرها الصفوف التي كانت تمشي وراءها، وقد اضطربت في انجذابها؛ أما الباقون، فقد أصابهم الذعر وتراجعوا، لكن الفر على عجل سبب لهم صدمة، وزرع الفوضى في صفوف الجيش الخلفية التي وجدت نفسها محاصرة في شعب عميق. فقتل جنودها تقتيلاً، شأنهم شأن أولئك الذين سقطوا في الحفر، رجالاً وخيولاً، بلا تمييز. ولقد قتل في هذه الفوضى من كان بين الشعب والحفر، بطعنات الرماح والسهام. وأمام هذا الوضع، هب سيفير (Sévère) لنجدتهم على رأس الحرس الإمبراطوري، بيد أنه لم يفلح في ذلك، بل إنه كاد أن يفقد الحرس وتعرض للخطر، إذ قتل فرسه[3]. لكنه لما شاهد جنوده يفرون على طول الجبهة الأمامية، فإنه مزق ملابسه، وشهر سيفه ثم اندفع في قلب الفارين حتى يشعروا بالخزي ويعيدوا الكرة، أو حتى يموت معهم. ولما رأى بعض الجند إقدام قائدهم ثبتوا، ثم أعادوا الكرة، فلقوا حينئذ الكثير من رفاقهم الذين كانوا يمشون وراءهم، فسحقوهم وكأنهم من جيش ألبينوس

---

[1]– يروي سبارتيان وكبيتولان أيضا انهزام قادة سيفير أمام قادة ألبينوس في البداية؛ وذهب هيروديان إلى أن مناوشات بين الفريقين سبقت معركة ليون؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 10 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Julius Capitolinus, Vie de Cl Albinus, 9; *in, Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 21.

[2]– ذهب هيروديان عكس ذلك وقال إن المؤرخين الذين كتبوا بدون تملق، أوردوا أن جناح جيش ألبينوس (Albinus) هزم نظيره في جيش سيفير (Sévère) ، الذي كان يقود المعركة بنفسه، شر هزيمة، إلى درجة أن سيفير فر من ساحة المعركة وسقط من صهوة جواده، ثم رمى بزيه الإمبراطوري حتى لا يكتشف أمره؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*. Livre III. 21.

[3] - Spartien, Vie de Sévère, 11; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

(Albinus)، وكسروا كل الأعداء الذين كانوا يطاردونهم. عندئذ، هاجم الخيالة الذين كانوا تحت إمرة ليتوس[1] (Lætus)، جناح جيش ألبينوس (Albinus)، وقضوا على الباقين. وكان ليتوس (Lætus) قد ظل يشاهد الحرب التي كانت سجالاً بين الجيشين كالمتفرج، على أمل أن يقضي بعض المتحاربين على بعض، وأن يمكنه الجنود الذين سيبقون أحياء في الجيشين من الإمبراطورية. غير أنه لما رأى أن سيفير (Sévère) هو الأقوى، دخل المعركة. هكذا تمكن سيفير (Sévère) من الانتصار.

7- لقد عرفت القوة الرومانية خلال هذه الحرب انكساراً شديداً، إذ سقط من الفريقين عدد لا يحصى من المقاتلين. وبكى الكثير من المنتصرين على هزيمة خصومهم، لأن السهل بكامله كان مكسواً بجثث الرجال والخيول ، بعضهم كان ممدوداً وقد أثخنته الجراح، ومزقت أشلاؤه، والبعض الآخر بالرغم من كونه ظل سالماً، فإنه كان مطموراً تحت أكوام الجثث[2]. وكانت الأسلحة قد رميت هنا وهناك، وأُهرق الدم بغزارة إلى درجة أنه كان يجري حتى في الأنهار. واحتمى ألبينوس (Albinus) في دار بالقرب من الرّون (le Rhône)، وحين وجد نفسه محاصراً، انتحر[3]. وأنا لا أقص هنا ما كتبه سيفير (Sévère)، ولكن ما جرى فعلاً. ولما رأى سيفير (Sévère) الجثة، وعبر بنظرته وكلامه عن فرحه العظيم، أمر برمي الجذع، وببعث الرأس مرفوعاً فوق حربة إلى روما[4]. ولقد بين سيفير (Sévère) بتصرفه هذا أنه كان يفتقر إلى أدنى صفات الأمير الطيب، وبث الرعب في قلوبنا أكثر برسائله، نحن أعضاء مجلس الشيوخ والشعب[5]. وأصبح سيفير (Sévère) سيد كل من كان قد أخذ السلاح ضده، وصب عليهم، بعد أن وضعوا السلاح، كل الغضب الشديد الذي كان يكنه لهم فيما قبل. وما كان يروعنا أكثر،

---

[1]- حسب هيروديان، فإن ليتوس لم يتقدم إلى المعركة إلا حينما أخبر بمقتل سيفير، لأنه كان يطمح إلى الملك؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 22.

[2] - Spartien, Vie de Sévère, 11 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3] - Julius Capitolinus, Vie de Cl Albinus, 9, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- ذكر هيروديان خبر قطع رأس ألبينوس الذي أتي به إلى سيفير. ويتفق سبارتيان وكبيتولان مع ديون في رواية هذا الخبر؛ ويضيف كبيتولان خبر قتل سيفير لأبناء ألبينوس وزوجته، ورمي جثثهم في النهر؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 23 ; Spartien, Vie de Sévère, 11; *in, Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*; Julius Capitolinus , Vie de Cl Albinus, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- أورد كبيتولان الكتاب الذي بعثه هذا الأمير إلى مجلس الشيوخ. وذكر هيروديان بدوره كتابا مهددا بعثه سيفير إلى الشعب. كما ذكر سبارتيان هذه الكتب؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Cl Albinus, 12 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 24 ; Spartien, Vie de Sévère, 11 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

هو زعمه أنه ابن مرقس– أنطونينس[1] (Marc-Antonin)، وأخو كمود (Commode)، وأنه بعد أن ذم هذا الأخير منذ أمد قصير، شرفه فيما بعد تشريفاً يليق بالآلهة[2].

8– وفي خطاب ألقاه في مجلس الشيوخ، حيث أشاد بقساوة ووحشية سيلا (Sylla) وماريوس[3] (Marius) وأغسطس (Auguste) التي تُمكِّن المرء من أحسن دفاع، وعاب على بومبي (Pompée) وقيصر (César) طيبوبتهما، وكأنها هي التي أدت إلى هلاكهما، شرع في مدح كمود (Commode)، مؤاخذاً مجلس الشيوخ على وصمه ظلماً بالسفالة، خاصة وأن معظم أعضائه كان يعيش عيشة أكثر دناءة. وقال : « فإذا كان من غير المألوف أن يقتل الحيوانات بيديه، فإن أحدكم بالأمس القريب، وهو شخص تقلد منصب القنصلية ومتقدم في السن، كان يداعب علناً خليلة له كانت تقلد النمرة. فبيوبيتر (Jupiter) عليكم، ستقولون إنه تصارع كمجالد. فليس هناك أي أحد منكم اختار أن يصبح مجالداً، دون شك. ولكن، كيف إذن، ولأي سبب تهافت المشترون على تروسه وخوذه الذهبية ؟ »[4]. وبعد قراءة هذا الخطاب، عفا عن خمسة وثلاثين شخصاً كانوا متهمين بمساعدة حزب ألبينوس (Albinus)، وعاملهم (وكانوا أبرز أعضاء مجلس الشيوخ) وكأنهم لم يتهموا أبداً، وحكم بالإعدام على تسعة وعشرين آخرين، كان يوجد بينهم سولبيكيانوس (Sulpicianus)، حمو برتناكس[5] (Pertinax).

---

[1]– كان سيفير مدينا لمرقس أنطونينس وكومود بنعمته. فلقد عيناه في عدة وظائف سامية، نذكر من بينها تنصيبه على رأس ولاية ليونيز (la Lyonnaise). وكان كومود قد منحه مع السلطة البروقنصلية حكم صقلية وجيوش جرمانيا. وبالتالي، من بين كل الأباطرة، كان أنطونينس الإمبراطور الوحيد الذي شرفه سيفير؛ وكان يريد أن يسمى أنطونينس، هو وأبناؤه، وأن يصبح هذا الاسم اسما عاما يحمله الجميع، كأغسطس؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 1-9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

[2]– فلقد مدحه في مجلس الشيوخ وأمام الشعب، وسماه إلها؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 12; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

[3]– ذكر سبارتيان أن سيفير قتل عددا لا يحصى من أعضاء مجلس الشيوخ، وهو ما جعل البعض يلقبه بسيلا البونيقي (Sylla le Punique)، والبعض الآخر بماريوس (Marius)؛ راجع:

Spartien, Vie de Pescennius, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[4]– إشارة إلى عملية بيع ممتلكات كومود التي أمر بها برتناكس؛ راجع: الفصل الخامس من الكتاب الثالث والسبعين من تاريخ ديون.

[5]– أورد سبارتيان قائمة تضم أسماء واحد وأربعين شخصية تم إعدامها بدون أية محاكمة، ربما لم تكن كلها تنتمي إلى مجلس الشيوخ، أو أنها لم تعدم في وقت واحد. ويحدثنا هيروديان عن قتل أعضاء مجلس الشيوخ وحكام الأقاليم، ويرد عمليات القتل هذه إلى جشع الإمبراطور؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 13; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 26.
كما يحدثنا ديون عن قسوته ورغبته في الانتقام، راجع الفصل الثاني من الكتاب الرابع والسبعين. وبخصوص سولبيكيانوس، راجع الفصل السابع والحادي عشر من الكتاب الثالث والسبعين.

9- وبعد ذلك، وجه سيفير (Sévère) سلاحه ضد الفارثيين (les Parthes) ؛ فبينما كان مشغولا بالحرب الأهلية، استغل هؤلاء انعدام الردع ليستولوا على بلاد الرافدين (la Mésopotamie) التي هاجموها بقوات لا تحصى، وكانوا على وشك احتلال نصيبين[1] (Nisibis) لولا ليتوس (Lætus) الذي أنقذها، وكان إذّاك محاصراً بداخلها. ولقد زاد دفاع ليتوس (Lætus) عن هذه المدينة في شهرته، وكان الرجل بارعاً في تدبير الشؤون الخاصة والعامة، ماهراً في الحرب والسلم. وعند وصوله إلى نصيبين (Nisibis) الآنف ذكرها، وجد سيفير (Sévère) رتّاً عظيماً ؛ وكان هذا الرت قد قتل في هجمة فارساً كان ينوي قتله، وكان هذا الفارس واثقاً بقوته ؛ وبعد جهد جهيد، صاده ثم قتله عدة جنود معاً، وأتى به إلى سيفير (Sévère) الثلاثون شخصاً الذين تعاونوا على صيده. ولم ينتظر الفارثيون (les Parthes) الإمبراطور، وعادوا إلى ديارهم، وكان فولوبايوس (Vologèse) رئيسهم، وكان أخوه في صفوف سيفير[2] (Sévère) الذي استعان بسفن صنعها على ضفاف الفرات (l'Euphrate)، وتوغل عن طريق النهر والأراضي التي تحيط به والممتدة على عدوتيه ؛ ولم يلبث أن استولى على سلوقية (Séleucie) وبابل (Babylone) اللتين تم هجرهما. ولقد تأتى له ذلك بفضل خفة تحركه، والسرعة التي تقدمت بها سفنه، وكذا إتقان صنعها ؛ وقد مكنته الغابة المحيطة بالفرات والمناطق المجاورة من الخشب بوفرة. واستولى أيضا على قطسيفون[3] (Ctésiphon) التي سمح لجنده بنهبها، وقتّل أهلها، وأسر منهم حوالي مائة ألف رجل. إلا أنه لم يطارد فولوبايوس (Vologèse)، ولم يحتفظ بقطسيفون (Ctésiphon). ولقد انصرف عنها وكأن حملته لم يكن لها هدف آخر غير نهب هذه المدينة ؛ ويرجع انصرافه عنها لأنه كان يجهل البلد، ولأنه كان يفتقر إلى ما هو ضروري

---

[1]- كان سيفير قد حرر نصيبين التي حاصرها الأوسرويينيون (les Osroéniens) والأديابينيون (les Adiabéniens). فهذان الشعبان، أو الفارثيون (les Parthes)، كانوا إذن قد اغتنموا غياب سيفير لمهاجمة هذه المدينة من جديد.

[2]- كان أرطبان (Artaban) ابن ساناتروس (Sanatruces) ينافس أخاه فولوبايوس (Vologèse) على العرش، ولقد تمكن من ذلك بعد موت أخيه. وحسب هيروديان، كان أرطبان يحكم آنذاك، وتمكن من الهرب من أيدي سيفير الذي كان يحاصره في عاصمته قطسيفون (Ctésiphon)؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 30.

[3]-**Spartien, Vie de Sévère, 16 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

للاستمرار في الحملة ؛ ورجع عبر طريق آخر نظراً لأنه كان قد استهلك المؤن، وأتى على المراعي التي مر عبرها في طريق الذهاب. وانطلق جنوده في طريق رجوعهم، بعضهم براً، على طول دجلة (le Tigre)، والبعض الآخر على متن السفن. وكان فولوبايوس (Vologèse) ابن ساناتروسيس (Sanatrucès) الذي أجبر سيفير (Sévère) على الحرب قد طلب، قبل الاشتباك في المعركة، هدنة، فأجيب إلى ذلك، وبعث الإمبراطور إليه سفراء، ومنحه جزءاً من أرمينيا (l'Arménie) حتى يحقق السلم.

10– وانتقل سيفير (Sévère) بعد ذلك إلى بلاد الرافدين (la Mésopotamie) حيث حاول الاستيلاء على أطرا (Atra) التي لم تكن بعيدة، غير أنه فشل في ذلك[1]، وأحرقت آلات حربه، وقتل العديد من جنوده، وجرح الكثير منهم ؛ فرفع الحصار وارتحل. وخلال هذه الحرب، أعدم رجلان مشهوران، وهما يوليوس كريسبوس (Julius Crispus)، وكان تريبوناً في الحرس الإمبراطوري، لأنه أنحى على الحرب باللوائم، وأنشد بيتاً للشاعر فرجيل (Virgile) حيث يشكو جندي كان يحارب في صفوف تورنوس (Turnus) ضد إني (Enée) حاله قائلا: « حتى يتمكن تورنوس (Turnus) من الزواج بلفينيا (Lavinie)، فها نحن نموت، لا يبالى بنا البتة[2] ». ونصب سيفير (Sévère) فليريوس (Valérius) تريبوناً ليشغل منصب كريسبوس (Crispus)، وكان فليريوس (Valérius) هذا متهمه. كما أعدم أيضا ليتوس[3] (Lætus) لأنه كان يتميز بمشاعره الطيبة وكان محبوباً لدى الجند الذين كانوا

---

[1]– وكان ترايانوس قد فشل بدوره في الاستيلاء على هذه المدينة المحصنة لما حاول ذلك خلال رجوعه من بلاد الفارثيين، مرورا ببلاد الرافدين. فلقد كانت أطرا بالفعل محصنة بفضل طبيعة موقعها وفن بنائها؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXVIII، 31. وحسب هيروديان، كانت أطرا تقع فوق قمة جبل جد مرتفع، ومحصنة بأسوار عالية ومتينة وتعج بالنبالين؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 28.

[2] - **Virgile, *Aeneis*, Livre XI, 371 : *« Scilicet ut Turno contingat regia coniunx,***
Nos animae uiles, inhumata infletaque turba,
Sternamur campis. »

وربما ترمز أبيات فيرجيل هاته إلى عمليات القتل التي أمر بها سيفير في حق عدة أفراد اتهم بعضهم بتهم باطلة؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 14; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

[3]– رأينا في الفصل السادس من هذا الكتاب أن ليطوس لم يلتحق بصفوف الجيش في معركة ليون إلا حينما رأى أن النصر حليف جند سيفير. فربما انتقم هذا الأخير من خيانة قائده فيما مضى بإعدامه.

يأبون القتال إلا تحت إمرته. وبما أن قتل هذا الجنرال لم يكن له سبب جلي آخر غير الحسد، فإنه نسبه إلى الجنود زاعماً أنهم اقترفوا جريمتهم على كره منه[1].

11– وسار سيفير (Sévère) للمرة الثانية شخصياً لقتال أطرا (Atra) بعد أن حصل على كميات وفيرة من المؤن، وجمع عدة آلات حرب، لأنه كان يرى بقاء هذه المدينة صامدة وحدها أمراً لا يطاق، بعد أن تم إخضاع كل المدن الأخرى. ولقد خسر في هذا الحصار أموالاً طائلة وكل ما كان يملكه من آلات الحصار، باستثناء آلات بريسكوس[2] (Priscus)، كما ذكرت ذلك أعلاه ؛ وفقد علاوة على ذلك عدداً كبيراً من الجنود. فبالفعل، لقد قتل العديد منهم وهم يحشّون، تحت ضربات الخيالة البرابرة (وأريد بذلك خيالة العرب (les Arabes)) الذين كانوا ينقضون عليهم في كل مكان انقضاضاً خاطفاً. وإضافة إلى ذلك، كان الأطرينيون (les Atréniens) يرمونهم بنبال بعيدة المدى (وكانت آلات حربهم تقذف بالرماح التي أصابت العديد من حرس سيفير (Sévère)، نظراً لأن كل قذفة كانت تقذف برمحين معاً، وأن العديد من الأذرع والكثير من الأقواس كانت ترمي في نفس الوقت). غير أن الخسارة كانت أفدح لما تم الاقتراب من الأسوار، وخاصة لما هدم جزء منها ؛ فآنذاك، رمى المحاصرون الرومان بالنفط الذي تكلمت عنه أعلاه، فحرقوا آلات الحرب وكل الجنود الذين أصابتهم المادة المذكورة. وكان سيفير (Sévère) يشاهد هذا الحادث من أعلى منصة مرتفعة.

12– ولما سقط جانب من السور الخارجي، وكان الجنود كلهم حماس لتهديم ما تبقى من السور، منعهم سيفير (Sévère) من ذلك، وأمر بالنفخ في البوق ليتم انسحاب كل خط الهجوم، لأنه كان يعتقد اعتقاداً راسخاً أن هذا البلد كان يحتوي على أموال طائلة، ومن بينها القرابين التي كان يتقرب بها إلى الشمس[3] (Soleil). وعلاوة على ذلك، فإنه كان يأمل في أن يستسلم العرب من تلقاء أنفسهم، خوفاً من أن يستعبدوا في حالة الاستيلاء على الموقع بالقوة. وبعد انتظار يوم، ولا أحد يفكر في تسليم نفسه، أعطى سيفير (Sévère) الأمر بمهاجمة السور من جديد، بالرغم من إعادة بنائه خلال الليل. وبما أن جنود أوربا الذين كان بإمكانهم نفعه قليلا رفضوا طاعته، وهم في حالة غضب، فإن السوريين (les Syriens) الذين أجبروا على

---

[1]– حسب سبارتيان، بعد قتل ضحاياه، كان سيفير يبرّئ نفسه ويزعم أنه لم يعط الأمر بذلك...؛ راجع: Spartien, Vie de Sévère, 15 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– راجع: تاريخ ديون، LXXIV، 11.

[3]– كانت أطرا مكرسة لأله الشمس، راجع: *تاريخ ديون*، LXVIII، 31.

الهجوم وتسلق السور عوضهم، تكبدوا خسائر فادحة. وهكذا فإن الرب الذي نجى المدينة، أمر على لسان سيفير (Sévère)، الجنود بالانسحاب في الوقت الذي كان بإمكانهم دخولها ؛ وأوقف بعد ذلك جند هذا الرب سيفير (Sévère) الذي كان يريد أن يستولي عليها. وبعد هذا الانكسار، حزن سيفير (Sévère) حزناً شديداً حتى أنه لما وعده أحد قادته بأنه لو وضع تحت إمرته فقط خمسمائة وخمسين جندياً أوربياً، لاستولى على المدينة دون أن يعرض حياة الآخرين، أجابه سيفير (Sévère) في حضرة الجميع : « وأنّى لي هذا العدد من الجنود ؟ »، وهو يعني بكلامه هذا عصيانهم.

13– وبعد أن مكث عشرين يوماً أمام هذه المدينة المحصنة، ذهب إلى فلسطين[1] (Palestine) وقدم قرباناً مأتمياً[2] إلى بومبي (Pompée)، ثم توجه على متن سفينة إلى صعيد مصر (la Haute Egypte) عبر النيل (le Nil)، وزار الصعيد كله، باستثناء بعض البلدات[3] ؛ فبالفعل، لقد حال الوباء بينه وبين عبور تخوم إثيوبيا (l'Ethiopie). ولقد كان يبحث بفضول عن كل شيء، وحتى عن تلك الأشياء التي أخفيت بإحكام ، ولم يدع سراً بشرياً أو ربانياً إلا وحاول استقصاء أمره ؛ وهكذا استولى في جميع المعابد على كل الكتب التي اكتشف أنها تتضمن مذهباً سرياً ما، وخبأها في قبر الأسكندر (Alexandre) حتى لا يتمكن أي كان من زيارة جثة هذا الأمير أو من قراءة محتوى هذه الكتب. هكذا كانت سيرة سيفير (Sévère)، أما أنا، فلا حاجة لي في وصف الأجزاء الأخرى من مصر (l'Egypte)، لكن فيما يخص النيل (le Nil)، فبما أني درست هذه المسألة بدقة من عدة أوجه، فلا بأس أن أتناول هذا الموضوع هنا. وجلي أن منبع النيل يوجد في جبل أطلس (Atlas). ويقع هذا الجبل في مسينيتيديا (la

---

[1]– يخبرنا سبارتيان أن سيفير عفا عن الفلسطينيين الذين كانوا قد ناصروا نيجر فيما قبل؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 14 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]– سبق لديون وأن حدثنا عن تقديم الأباطرة القرابين المأتمية فوق قبور بعض الشخصيات التاريخية، كما فعل على سبيل المثال ترايانوس (Trajan) الذي أقام ذبيحة في البيت الذي توفي فيه الأسكندر (Alexandre): *تاريخ ديون*، LXVIII، 30؛ وهادريانوس (Hadrien) الذي قدم بدوره قربانا مأتميا إلى بومبي أثناء عبوره يهودا في طريقه إلى مصر : *تاريخ ديون*، LXIX، 11. إلا أن الرغبة في الاختصار جعلت كزيفيلان (Xiphilin) يحذف تفاصيل هذا الحدث. ثم إن تقديم هذا القربان لا يمكن أن يكون قد تم في فلسطين، فليس هناك أي داع إلى ذلك؛ بل على حدود مصر، عند سفح جبل كسيوس (Casius) حيث كان قبر بومبي (Pompée).

[3]– عن سفر سيفير هذا إلى مصر، وزيارته ممفيس (Memphis) وممنون (Memnon) والأهرامات...، راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 17 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

(Macennitide)، بالقرب من المحيط (l'Océan) في اتجاه المغرب، ويزيد ارتفاعه كثيرا عن باقي الجبال، الشيء الذي جعل الشعراء يشبهونه بعمود السماء ؛ فلا أحد ارتقى قمته ولا رأى قنته أبداً. ولذلك فهو مكسو بالثلج دائماً، وفي الصيف، يؤدي ذوبان الثلج إلى جريان كميات هائلة من المياه. وبما أن كل الجزء المحيط بإبط الجبل مستنقعي، فإن حجم المياه التي تتجمع في هذا المكان يزداد أكثر في هذا الفصل ويسبب في فيضان النيل. فمن هذه المستنقعات ينبع هذا النهر، كما يدل على ذلك التمساح والحيوانات الأخرى التي تولد فيها وتوجد أيضاً في النهر. ولن يفاجأ أي أحد إذا كنت قد اكتشفت ما ظل مجهولاً لدى الإغريق القدامى ؛ فالميسينيتيون (les Macennites) يسكنون بجوار موريتانيا السفلى (la Mauritanie-Inférieure)، والعديد من الجنود الذين يعملون في هذا البلد توغلوا في البلاد حتى الأطلس (l'Atlas). وهذا ما يمكنني قوله بخصوص هذا الموضوع.

14– وكان بلاوتيانوس (Plautianus) يحظى بثقة سيفير (Sévère) التامة، وكان يشغل منصب قائد الحرس الإمبراطوري، ويتمتع بسلطة مطلقة لم يتمتع بها سواه من رجالات الدولة. ولقد قتل بلاوتيانوس (Plautianus) عدة شخصيات بارزة وكذا أقرانه في الشرف. فبعد قتل أيميليوس ستورنينوس (Æmilius Saturninus)، انتزع من أولئك الذين عينوا من بعده على رأس الحرس الإمبراطوري كل ما كان يجسد قوتهم، حتى لا يطمح بعضهم ممن تقلد هذا المنصب السامي إلى شغل منصب قائد الحرس الخاص ؛ لأنه كان يريد أن يكون ليس فقط حاكمهم الوحيد، بل وأيضاً حاكمهم إلى الأبد. وكان يطمع في كل شيء، ويطلب من الجميع أن يعطوه مقتنياتهم ويسطو عليها. ولم ينج من نهبه أي إقليم ولا أية مدينة، وكان يسلب وينتزع كل شيء في كل مكان ؛ وكان الجميع يرسل إليه الهدايا أكثر بكثير من تلك التي قدمت إلى سيفير (Sévère). وانتهى به الأمر إلى بعث قواد مائة لينتزع من الشمس (Soleil)، في إحدى جزر البحر الأحمر (la mer Rouge)، خيولاً تشبه الببور. وأعتقد أنه يكفيني أن أذكر هذه السرقة وحدها فقط، لأبين شططه وبخله الشديد. غير أنني سأضيف ما يلي : فلقد قام في داره بخصي مائة من الرومان الأحرار، ولم يعلم أي أحد منا بهذا الأمر إلا بعد موته[1]؛ وهو عمل يعكس بمفرده فظاعة جرائمه وقوة سلطانه. ولم يقم بخصي الأطفال والشبان فحسب، بل خصى الرجال أيضاً، وكان بعضهم متزوجاً ؛ ولقد فعل ذلك حتى يمكن بنته بلوتيا (Plautilla)

[1]– لقد قام بهذا العمل سرا لأن الخصي كان محذورا منذ عهد الإمبراطور دوميتيانس (Domitianus)، راجع : *تاريخ ديون*، LXVII، 2.

– التي تزوجها أنطونينس (Antonin) فيما بعد – من خصيان لخدمتها ولتعليمها الموسيقى وكل الفنون الأخرى. ولقد شاهدنا نفس الرجال وهم خصيان وأزواج، فتيان وشيوخ، وآباء نزعت خصاهم. فلن نخالف الصواب إن قلنا بعد ما ذكرناه، أن بلاوتيانوس (Plautianus) كان يتمتع بسلطة تفوق سلطة كل الخواص، بل حتى سلطة الأباطرة أنفسهم. وفي جملة ما يثبت ذلك، التماثيل والصور التي خُص بها، والتي فاق عددها وزاد حجمها عن تلك التي خصصت للأباطرة، ليس فقط في المدن الأخرى، بل حتى في روما نفسها ؛ ولم يهدها له الخواص أو الشعوب فحسب، بل حتى مجلس الشيوخ نفسه[1]. وكان كل الجنود وأعضاء مجلس الشيوخ يقسمون بحسن حظه (sa fortune) ويتمنون علناً أن يسعفه الحظ دائماً.

15– ويعود السبب في كل ما حصل لسيفير (Sévère) الذي تنازل له عن كل شيء، إلى درجة أن بلاوتيانوس (Plautianus) أصبح يقوم بدور الإمبراطور، وسيفير (Sévère) بدور الوالي. وكان بلاوتيانوس (Plautianus) بالفعل مطلعاً تمام الإطلاع على كل أقوال وأفعال سيفير (Sévère)، بينما لم يكن أي أحد مطلعاً على أسرار بلاوتيانوس (Plautianus). وزوّج الإمبراطور ابنه ببنت حظيه معرضاً عن عدة شوابّ من عائلات عريقة[2] ؛ وعينه قنصلاً، وكان يود أن يقلده منصب ولي العهد ؛ وذهب إلى حد كتابة رسالة في يوم ما، ورد فيها : « أحب هذا الرجل إلى درجة أني أتمنى أن أموت قبله». وكان يتألم مما كان يراه خلال نزولنا في الأماكن التي كانت تتخلل مراحل السفر، حيث كان بلاوتيانوس (Plautianus) يختار الأماكن الأكثر راحة، وأجود الأزودة بوفرة، وهي منازل وأزودة تفوق راحتها وجودتها تلك التي كانت تخصص للإمبراطور، إلى درجة أنه ذات يوم، في نيقية (Nicée)، وطني، لما اشتهى أكل بوري، وهو سمك يصبح سميناً في بحيرتنا، فإنه طلب أن يؤتى به من عند بلاوتيانوس (Plautianus). وكل ما كان يقوم به سيفير (Sévère) لينال من سمعة بلاوتيانوس (Plautianus)، كان عديم الجدوى أمام مواقف واضحة كانت تبرز قوة سلطانه. وهكذا لما توجه الإمبراطور لعيادته خلال مرضه في تيانه (Tyanes)، فإن الجنود الذين كانوا يحيطون ببلاوتيانوس (Plautianus) لم يسمحوا لحاشية سيفير (Sévère) بالدخول معه. وفي مرة أخرى فإن الضابط المكلف بتصنيف الدعاوى التي كان يتم الترافع فيها أمام الإمبراطور، رفض الامتثال للأمر الذي وجهه إليه الأمير – وكان آنذاك في أحد أوقات فراغه – بدرس

---

[1]– عرف سيجان (Séjan) في عهد تيبير (Tibère) الوضعية نفسها، راجع : *تاريخ ديون*، LVIII، 2.

[2]– وكان ابن سيفير قد قبل هذا الزواج على مضض؛ راجع:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre III, 35.**

قضية قائلا : « لا يمكنني أن أفعل، اللهم إذا أمرني بلاوتيانوس (Plautianus) بذلك». وعلاوة على ذلك، فلقد كان سيفير (Sévère) خاضعاً لتأثير بلاوتيانوس (Plautianus) أيما خضوع، وذهب هذا الأخير إلى حد مضايقة يوليا أوغوسطا[1] (Julia Augusta) بشتى الأشكال، لأنه كان غاضباً عليها، ولم يزل يتهمها بشدة عند سيفير[2] (Sévère)، فاتحاً ضدها التحقيقات الأولية، ومستعملاً التعذيب في حق النساء الكريمات. ولهذا السبب بدأت يوليا (Julia) تهتم بالفلسفة وتقضي معظم وقتها في معاشرة السفسطائيين[3]، بينما أصبح بلاوتيانوس (Plautianus) أشره الناس، إلى درجة أنه كان يبالغ في التنعم بالمآكل ثم يتقيأ بعد ذلك نظرا لكون معدته كانت عاجزة عن هضم كميات اللحوم والخمر التي كان يثقلها بها. واستسلم بلاوتيانوس (Plautianus) لحب الغلمان والجواري مجاهراً بالفسق، بينما لم يكن يسمح لزوجته برؤية أي كان، بل حرمها حتى من رؤية سيفير (Sévère) و يوليا (Julia)، فبالأحرى أناساً آخرين.

16- ووقع كذلك في تلك الأيام صراع بين النساء حيث تجمع، بالضرورة، جم غفير من الرياضيات[4] حتى أننا استغربنا كيف تمكن الميدان من احتوائهن. وكان النسوة في هذا الصراع يجرين في مجموعات تعمها الفوضى ويقاتلن بضراوة بلغت إلى حد سب سيدات

---

[1]- عن زواج سيفير بيوليا، راجع : *تاريخ ديون*، LXXIV، 3؛ والهامش 2، ص. 78 من هذه الترجمة.

[2]- حسب سبارتيان، كانت يوليا زوجة سيفير تزني، وكان لها ضلع في مؤامرة كانت تستهدف الإمبراطور؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 18 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- أورد لوسيان أن الرومانيات كن تتفاخرن بأن تسمين فيلسوفات؛ راجع:

Lucien, *Des Gens de Lettres qui s'engagent à vivre chez les Grands*, Traduction nouvelle par M. l'Abbé Massieu, Paris, 1781, pp. 135- 136 : « Le nom des femmes savantes et de femmes Philosophes est regardé maintenant comme faisant partie des atours du sexe ; elles se croient plus jolies, quand on leur dit qu'elles font des vers presque aussi bien que Sapho ».

وذكر فيلوسطراط (Philostrate) أن يوليا التي كانت ترعى الآداب، أمرته بتهذيب شرح دميس (Damis) لأبولونيوس؛ وأنه عرض على هذه الإمبراطورة مؤلفه عن السوفسطائيين حتى تبدي رأيها فيه؛ راجع:

Apollonius de Tyane, sa vie, ses voyages, ses prodiges par Philostrate et ses lettres, ouvrages traduits du grec avec introduction, notes et éclaircissements par A. Chassang, Deuxième édition, Paris, 1862, I,3 : « Damis était un des hommes les plus savants de l'ancienne Ninive : il fut disciple d'Apollonius, et nous apprend qu'il l'accompagna dans ses voyages. Il a écrit une relation de ces voyages, où sont rapportés les pensées, les discours et les prédictions d'Apollonius. Ces mémoires, qui étaient restés inédits, furent portés par un ami de Damis à la connaissance de l'impératrice Julie. Comme je faisais partie du cercle de cette princesse, qui aimait et protégeait tout ce qui tenait aux Lettres, elle m'ordonna de refaire l'ouvrage de Damis, en donnant plus de soin au style : en effet, la relation du Ninivite était intelligible, mais peu élégamment présentée ».

[4]- يحدثنا ديون في الكتاب السابع والستين، 8، من تاريخه، عن سباق الجواري وصراع النساء ضد الأقزام الذي تم تنظيمه في عهد الإمبراطور دوميتيانوس.

روما الأكثر شرفاً، وهو ما دفع الحكام إلى منع النساء، في المستقبل، كيفما كان أصلهن من الصراع كمجالدات. وبما أن تماثيل بلاوتيانوس (Plautianus) أصبحت كثيرة (وهذا أمر ينبغي ذكره)، فإن سيفير (Sévère) أزعجته كثرتها، فأمر بصهر بعضها[1] ؛ فشاع في المدن خبر مفاده أن بلاوتيانوس (Plautianus) قد غُضب عليه وخُلع من منصبه. وقام عدة أشخاص بتحطيم تماثيله، وهو ما عوقبوا عليه بعد ذلك[2]، وكان من بين الأثمة راكيوس كونسطانس (Racius Constans) حاكم سردينيا (Sardaigne)، وكان من وجهاء القوم. وما دفعني إلى ذكر هذا الأمر هو أن الخطيب الذي كان يتهم كونسطانس (Constans) قال من بين ما قاله : « قد تنطبق السماء على الأرض، لكن سيفير (Sévère) لن يسيء معاملة بلاوتيانوس (Plautianus) أبداً، وأنه يجوز أن نصدق خبراً من أخبار انطباق السماء على الأرض». وبالرغم من أن سيفير (Sévère) لما سمع كلام الخطيب هذا ادعى بحضرتنا، وكنا جلوساً بجانبه نقضي بين الخصوم، أنه :« من المستحيل أن أسيء إلى بلاوتيانوس (Plautianus) أبداً»، فإن بلاوتيانوس (Plautianus) هذا لم يبق في مرتبته ولو حولاً واحداً، فلقد قُتل وحطمت كل تماثيله. وقبل ذلك، لفظ البحر حوتاً عظيم الجثة إلى الميناء المسمى باسم أغسطس[3] (Auguste)، فجُرّ إلى اليابسة ؛ ووُضع في جوف التمثال الذي صوّره والذي حُمل إلى المدرج خمسون دبّاً. وخلال عدة أيام، شوهد أيضاً في سماء روما مذنب زعم الناس أنه نذير شر.

---

[1]- Spartien, Vie de Sévère, 14 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– نفسه.

[3]– يتعلق الأمر بميناء أوسطي (Ostie) الذي بناه الإمبراطور كلوديوس (*تاريخ ديون*، LX، 11)، والذي كان قيصر قد خطط مشروع بنائه فيما قبل؛ راجع:

Suétone, *Vie des douze Césars*, Claude, 20.

الكتاب السادس والسبعون

1- بمناسبة الذكرى العاشرة لاعتلائه العرش، وهب سيفير (Sévère) للعامة – التي كانت الدولة تمنحها القمح – وكذا لجنود الحرس الإمبراطوري، كمية من النقود الذهبية تعادل السنوات التي قضاها في الحكم[1]. وكانت هذه المناسبة فرصة تظهر مدى زهوه. ففي الحقيقة، لم يعط أي أحد قبله عطاء جزيلاً كهذا للناس جميعاً؛ فلقد نفقت في هذه الهبة خمسون مليون دراخمة[2]. وأقيمت مراسيم زواج أنطونينس (Antonin)، نجل سيفير (Sévère) ببلوتيا (Plautilla) بنت بلاوتيانوس[3] (Plautianus). وبلغ المهر الذي دفعه الزوج لزوجته ما يكفي صداق خمسين من بنات الملوك. ولقد شاهدنا العروس تزف إلى زوجها في القصر عبر الساحة العامة (le Forum). وتم استدعاؤنا لمأدبة تليق بأبهة الملوك وخشونة البرابرة معاً. ولقد قدم لنا في هذه المأدبة كل ما جرت العادة أن يقدم للمدعوين من مأكولات مطبوخة ونيئة، بل وحتى حيوانات حية. ونظمت أيضاً عروض مختلفة بمناسبة رجوع سيفير (Sévère)، والذكرى العاشرة لاعتلائه العرش، وانتصاراته[4]. وخلال هذه الألعاب، تصارع فيما بينهم، تحت إمرة المروضين، ستون رتّاً كانت في ملك بلاوتيانوس[5] (Plautianus) ؛ وذبح عدد من الحيوانات الأخرى، وكذا فيل و"ضبع"[6] (*corocotas*). ولقد أتي بهذا الضبع من الهند، وكانت تلك، في علمي، المرة الأولى التي جيء به إلى روما. ولونه مزيج بين اللبؤة ولون البر، ووجهه يجمع خاصة بين صفات

---

[1]- بما أن الأوريوس (*aureus*) كان يساوي 25 دراخمة (*drachme*)، أو 100 سيسترس (*sesterces*)، فإن مبلغ هذه الكمية هو 1000 سيسترس أو 250 دراخمة.

[2]- أي 2000 أوريوس (*aurei*)، وهو ما يساوي 200.000.000 سيسترس للفرد الواحد؛ وبالتالي إذا ما أعطي لكل واحد 1000 سيسترس، فإن المبلغ كاف لـ 200.000 رجل، من أفراد الشعب والحرس الإمبراطوري.

[3]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXV ، 15؛

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 34 ; Spartien, Vie de Sévère, 14 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*

[4]- **Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 32.**

[5]- عن ثروة بلاوتيانوس راجع: *تاريخ ديون*، LXXV، 14- 15؛

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 34.

[6]- حسب هيزيكيوس (Hésychius)، هذا حيوان من ذوات الأربع، أصله من إثيوبيا. وحسب سطرابون (*الجغرافية*، XVI, 4, 16)، نقلا عن أرطيميدور، فإن هذا الحيوان مزيج من الذئب والكلب. وحسب بلين الشيخ (*التاريخ الطبيعي*، VIII، 30، 2)، فإنه حيوان ضار، يبلغ كُبر جسمه جسم الحمار، وتشبه قوائمه قوائم الأيل، ويشبه الأسد فيما يخص عنقه وذنبه وصدره، ويشبه رأسه رأس الغُرَيْر...

الكلب والثعلب[1]. ولقد صنع القفص بكامله في المدرج على شكل سفينة بحيث كان بإمكانه احتواء أربعمائة حيوان يمكن إطلاقها دفعة واحدة ؛ وفجأة، لما انفتح باب القفص، اندفع منها الدببة واللبوءات والنمور والأسود والنعام والحمير الوحشية والثيران الوحشية (صنف من الثيران البربرية في طبيعتها ومظهرها)، بحيث شاهدنا كل الحيوانات السبعمائة، الضارية منها والأليفة، تجري وتذبح في نفس الوقت؛ ويرجع عددها (سبعمائة) إلى عدد الأيام السبعة التي دام خلالها الاحتفال.

2- وثار بركان الفيزوف[2] (le Vésuve)، وتصاعدت منه النيران، ووصل دويه الشديد حتى إلى كابوا (Capoue) حيث أنزل كلما جئت إلى إيطاليا (l'Italie) لأني اخترت المقام فيها نظراً لمزاياها الأخرى، ولكن بصفة خاصة لخلو بالي لما أكون فيها ؛ وهو ما يمكنني من تدوين هذا التاريخ، كلما سمحت لي قضايا المدينة بذلك. ويبدو أن ما وقع في الفيزوف (le Vésuve) كان ينبئ بتغيير آت، ولقد حصل هذا التغيير بسرعة في حياة بلاوتيانوس (Plautianus) المحظوظ. فلقد كان بلاوتيانوس (Plautianus) جليل القدر فعلاً، بل جسد العظمة نفسها، إلى درجة أن الشعب خاطبه ذات يوم في السيرك قائلاً : «لماذا ترتعش، لماذا يشحب لونك ؟ إنك تملك أكثر مما يملكونه، هم الثلاثة». ولم تكن هذه الكلمات في الظاهر موجهة إليه، ويبدو أنها قيلت عن غير قصد ؛ لكن الأشخاص الثلاثة المعنيين هم سيفير (Sévère) وولداه أنطونينس (Antonin) وجيطا (Géta). أما فيما يخص شحوب لون بلاوتيانوس (Plautianus) وارتعاشه الدائمين، فإنهما يرجعان إلى طريقة عيشه والآمال التي كان يعلل النفس بها، وكذا المخاوف التي كانت تقلقه. ولم يكن سيفير (Sévère) قد تنبه بعد إلى معظم مقاصد بلاوتيانوس (Plautianus)، أو حتى إذا كان قد كشفها، فإنه لم يظهر ذلك ؛ غير أنه لما كان أخوه جيطا[3] (Géta) يحتضر، فإنه نظراً

---

[1]- سبق لأنطنينوس التقي أن أظهر هذا الحيوان في ألعاب روما؛ راجع:
Julius Capitolinus, Vie d'Antonin le Pieux, 10 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*..

[2]- راجع : *تاريخ ديون*، LXVI، 21؛ الذي يحدثنا عن ثوران بركان الفيزوف في عهد الإمبراطور تيتوس (Titus).

[3]- تطلعنا نقيشة وردت في مجموعة أوريلي (Orelli, n° 117) على أن الاسم الكامل لأخي سيفير هو بوبليوس سيبتيموس جيطا (Publius Septimus Géta)، وأنه كان حاكما لجزيرة كريت (Crète) وسيرين (Cyrène). وحسب سبارتيان، فإن سيفير عين ابنه البكر بسيانوس (Bassianus) قيصرا في فيميناتيوم (Viminatium) خلال حملته على ألبينوس، وأطلق عليه اسم أوريليوس أنطونينس (Aurelius Antonin)، حتى ينقطع أمل أخيه في الحكم؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 10 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

للضغينة التي كان يضمرها لبلاوتيانوس (Plautianus)، وبما أنه لم يعد يخشى شيئاً، فإنه أطلعه على كل تصرفاته. ونصب سيفير (Sévère) في الساحة العامة (le Forum) تمثالاً برونزياً لأخيه، وعوض تكريم وزيره كما كان يفعل سابقاً، فإنه أضعف نفوذه الكبير. فاغتاظ بلاوتيانوس (Plautianus) لذلك اغتياظاً شديداً، وأكن العداوة لأنطونينس (Antonin) أكثر من أي وقت مضى، وكأن الأمير كان سبب فقدان حظوته، ثم صار يكيد له كيداً. ولقد كان يبغضه فيما مضى بسبب قلة التقدير الذي كان يبديه لبنته[1].

3- وهكذا لما ضاق أنطونينس (Antonin) بزوجته وأبيها ذرعاً، بسبب وقاحة الأولى وتجسس الثاني عليه ومراقبته له، وعلمه بكل صغيرة وكبيرة، فإنه صمم على الفتك به بأي طريقة كانت. ولذلك أقنع، بواسطة زوج حاضنته إيفودوس (Evhodus)، قائد المائة ستورنينس[2] (Saturninus) ونظيرين له ليقروا بأن عشرة قواد مائة، كان ستورنينس (Saturninus) وصاحباه من بينهم، قد تلقوا من بلاوتيانوس (Plautianus) الأمر بقتل سيفير (Sévère) و أنطونينس[3] (Antonin). وقرأ هؤلاء الرجال رسالة زعموا أنهم تسلموها منه في هذا الموضوع. ولقد وقعت هذه الأمور فجأة خلال الألعاب التي نظمت في القصر على شرف الأبطال[4]، في الوقت الذي انسحب فيه المتفرجون لتناول طعام العشاء. وكانت ظروف هذا الحدث كافية لتبين أن الأمر يتعلق بحيلة، لأن بلاوتيانوس (Plautianus) لم يكن ليقدم على إسناد هذه المهمة لعشرة قواد مائة معاً، في روما، وفي القصر، وفي يوم كهذا، وساعة

---

[1]- حسب هيروديان، فإن أنطونينس لم يتزوج بلاوتيبا إلا عن مضض، ولم يكن يحتمل زوجته وحموه، ولم يكن يسكن معها؛ وغالبا ما كان يقول لها عند غضبه أنه لما سيصبح سيد الإمبراطورية، فإنه سيقتلها وأباها. وأخبرت بلاوتيبا أباها بكراهية زوجها لها وتهديداته، وهو ما أثار حنق بلاوتيانوس الذي لما رأى أن سيفير أصبح مسنا ومريضا، خاف أن يقع بين أيدي هذا الأمير الشاب العنيف والحاد الطبع، فقرر أن يستبق الأحداث ويفتك بالإمبراطور وابنه قبل أن يقوم هذا الأخير بتنفيذ تهديداته؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 35-37.

[2]- لا علاقة لستورنينس هذا بأيميليوس ستورنينس (Æmilius Saturninus) نائب الولاية الذي أمر بلاوتيانوس بقتله؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXV، 14.

[3]- تختلف رواية هيروديان عن رواية ديون هاته، فحسب هيروديان، فإن بلاوتيانوس فكر فعلا في خطة التآمر على الإمبراطور وقتله وابنه للاستئثار بالسلطة. وكلف بتنفيذها القائد ستورنينوس الذي كان يعتقد أنه متفان في خدمة مصالحه. وتظاهر القائد المذكور بمشاركته في المؤامرة، لكنه أطلع سيفير على خطة بلاوتيانوس الذي استدعاه القائد إلى القصر وكأن أوامره نُفذت، فكان حضوره دليلا على مؤامرته، وقتل على التو؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 38-42.

[4]- يتعلق الأمر بالألعاب البالاتينية (les jeux Palatins) التي أنشأتها ليفيا (Livie) على شرف أغسطس؛ راجع : *تاريخ ديون*، LVI، 46.

كهاته، وخاصة إعطاءه الأمر كتابة. إلا أن سيفير (Sévère) رأى أن الخبر جدير بالتصديق، لأنه رأى في منامه في الليلة الماضية ألبينوس (Albinus) على قيد الحياة وينصب له فخاً[1].

4- أمر سيفير (Sévère) بإحضار بلاوتيانوس (Plautianus) على عجل، وكأن الأمر يتعلق بقضية أخرى. فعجل بلاوتيانوس (Plautianus) تعجيلاً، أو بالأحرى تلقى من الآلهة إنذاراً ينذر بهلاكه لما سقطت البغال التي كانت تجر عربته أرضاً فوق البالتان (le Palatin). وعند وصوله، استقبله حراس البوابات بمفرده، دون السماح لأحد من مرافقيه بالدخول إلى القصر، كما فعل فيما مضى في تيانه[2] (Tyanes)، عندما استقبل سيفير (Sévère). ولقد ولّد هذا التعامل في نفسه الحذر والرعب، ولكن بما أن التراجع أضحى مستحيلاً، فإنه دخل. ولقد خاطبه سيفير (Sévère) بلطف قائلا : « من أوحى إليك بهذه الخطة ؟ لماذا تريد أن تضع حداً لحياتنا ؟ » ؛ ثم أعطاه الكلمة وتهيأ للإنصات إلى دفاع بلاوتيانوس (Plautianus) عن نفسه. ولما كان بلاوتيانوس (Plautianus) ينفي الأمر وهو مذهول عند سماعه هذه الكلمات، واثبه أنطونينس (Antonin) وجرده من سيفه، ثم سدد له لكمة؛ بل إنه كان يريد أن يقتله بيده صائحا : « كنت البادئ لما حاولت اغتيالي » ؛ ولكن لما حال أبوه بينه وبين ذلك، فإنه أمر فائساً بقتله. وقام فائس آخر بنتف شعر لحيته وحمله إلى يوليا[3] (Julia) وبلاوتييا (Plautilla) اللتين كانتا معاً، ولم تطلعا بعد على ما وقع، وقال لهما : « هاهو ذا بلاوتيانوس (Plautianus) » ؛ وهي كلمة آلمت إحداهما وأفرحت الأخرى. هكذا كانت نهاية بلاوتيانوس (Plautianus)، أقوى رجل في عصري، بلاوتيانوس (Plautianus) الذي أصبح مهيباً أكثر من الأباطرة أنفسهم والذي كان الناس يرتعشون أمامه، والذي بعد أن بلغ من المعالي الغاية، قتّله صهره، ورمي به من أعلى القصر على الطريق. إلا أنه فيما بعد، أمر سيفير (Sévère) بنقل جثته ودفنها.

5- وجمع سيفير (Sévère) بعد ذلك أعضاء السيناتو في مجلس المشيخة، وعوض أن يتهم بلاوتيانوس (Plautianus)، فإنه أسف على ضعف الإنسان الطبيعي، هذا الضعف

---

[1]- كان سيفير يصدق الأحلام كثيرا؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXII، 23؛ LXXIV ، 3.

[2]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXV، 15.

[3]- كانت يوليا عرضة لسب واتهامات بلاوتيانوس، وكانت تتظاهر بمحبة بلاوتييا خوفا من سيفير ووزيره؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXV، 15.

الذي يجعله عاجزاً عن احتمال مراتب الشرف العليا، واعترف بأنه كرم هذا الحظي أعظم تكريم وخصه بوده ؛ وأمر أولئك الذين كشفوا عن المؤامرة بأن يقصوا علينا وقائعها كاملة، بعد أن أمر أولئك الذين لا جدوى في حضورهم بالانسحاب من الجمعية، حتى يبين من خلال تفاهة القصة بأنه، في الواقع، لم يكن يصدق الادعاء. ولقد تعرض عدة رجال للخطر خلال محنة بلاوتيانوس (Plautianus)، وهلك بعضهم. وكما جرت العادة بالنسبة إلى علاقة معظم الناس مع أولئك الذين كانوا ذوي حظوة لدى الإمبراطور، فإن كويرانوس (Cœranus) كان يفتخر بأنه كان من بين من غمرهم بلاوتيانوس (Plautianus) بفضله. صحيح أنه كلما أدخل أصحاب بلاوتيانوس (Plautianus) قبل غيرهم الذين جاؤوا أيضا للتسليم عليه، فإن كويرانوس (Cœranus) كان يرافقهم حتى إلى آخر بوابة ؛ غير أنه بالرغم من ذلك، فإنه لم يكن بإمكانه أن يطلع على أسرارهم. لكن بما أنه كان يبقى في المجال الفاصل بين البوابتين المؤديتين للدار، فإنه بالنسبة لبلاوتيانوس (Plautianus)، كان يظل خارج داره، بينما بالنسبة لأولئك الذين كانوا فعلا خارج أسوار الدار، فإنه كان يوجد داخلها، وبالتالي فلقد كان من المشتبه فيهم. ولقد كان بلاوتيانوس (Plautianus) قد رأى في منامه أسماكاً خرجت من التيبر (le Tibre) وسقطت عند قدميه، فأول كويرانوس (Cœranus) الحلم تأويلاً مفاده أن بلاوتيانوس (Plautianus) سيملك البر والبحر[1]. إلا أن كويرانوس (Cœranus) نفي إلى جزيرة لمدة سبع سنوات، ثم بعث في طلبه بعد ذلك، وكان أول المصريين الذين تم قبولهم في السيناتو، وعين قنصلاً كبومبي (Pompée)، من غير أن يشغل من قبل أي منصب في سلك وظائف الدولة[2]. أما كيكيليوس أغريكولا (Cæcilius Agricula) الذي كان من بين أبرز المتملقين لبلاوتيانوس (Plautianus)، وكان شرُّه وشَرَهُه يضرب بهما المثل، فإنه حكم عليه بالإعدام. فرجع إلى داره وتملأ خمراً مرطبة، ثم كسر كأسه التي كان قد اشتراها بخمسين ألف دراخمة، ومات فوق كسارها بعد أن جرح عروقه.

---

[1]– كان أغسطس قد رأى في منامه رؤيا كهذه، فبشره العرافون بالإمبراطورية؛ راجع: *تاريخ ديون*، XLIX، 5.

[2]– كان قنصلا (subrogé) من غير أن نعرف السنة التي تقلد خلالها هذا المنصب، فمصدر (les *Fastes*) لا يخبرنا بأي شيء بخصوص هذا الموضوع. ويحتمل أنه بُعث في طلبه في حياة سيفير، بعد سبع سنوات من المنفى.

6- ولقد تم حينئذ تكريم ستورنينوس (Saturninus) وإيفودوس (Evhodus)، غير أنهما قتلا[1] بعد ذلك بأمر من أنطونينس (Antonin). وبما أننا كنا بصدد إصدار مرسوم للثناء على إيفودوس (Evhodus)، فإن سيفير (Sévère) نهانا عن ذلك قائلا : « سيكون من الخزي أن يُخَصّ قيصري (un Césarien) بتقريظ كهذا يُدون في أحد مراسيمكم ». ولم يكن هذا القيصري هو الوحيد الذي استهدفه سيفير (Sévère)، بل وقف هذا الأخير في وجه كل معتقي الأباطرة الآخرين، وجعل حداً لوقاحتهم وغطرستهم ؛ ولقد تلقى عمله هذا استحسان الجميع. وهكذا لما كان مجلس الشيوخ ذات يوم بصدد عدّ فضائل الأمير، صاح أعضاؤه بدون مواربة : « الكل يسير سيرة حسنة في كل المجالات، لأنك تسوس الناس بالعدل». ولقد ظلت بلاوتيا (Plautilla) وبلاوتيوس (Plautius)، ولدا بلاوتيانوس (Plautianus) اللذان كانا قد نفيا إلى ليباري[2] (Lipari)، على قيد الحياة في ذلك الوقت، غير أنهما قتلا في عهد أنطونينس[3] (Antonin) ؛ ولقد كانا يعيشان عيشة كلها خوف وفواجع، ويفتقران إلى الضروريات.

7- إلا أن أنطونينس (Antonin) وجيطا (Géta) ابني سيفير (Sévère)، لما تخلصا من بلاوتيانوس (Plautianus) كمن يتخلص من مرب، أسرفا في اللذات، وألحقا العار بربات الحجال والصبيان، وجمعا المال بطريقة غير مشروعة، وعاشرا المجالدين وقواد العربات؛ وكان كل واحد منهما قرن الآخر فيما يخص تشابه سلوكهما، لكنهما كانا متنافسين نظرا لتعارض طموحهما. فكلما ساند أحدهما فريقاً ما، فعل الأخر حتماً نقيض ذلك وساند الفريق الخصم. وكانا ذات يوم في حلبة للسباق، يمتطيان عربتين تجرهما سابقات صغيرة الهيكل، فاستبقا وشادّ أحدهما الآخر مشادة شديدة حتى وقع أنطونينس (Antonin) على الأرض وانكسرت فخذه. وبعد هذا الحادث، فيما كان أنطونينس (Antonin) يخضع للعلاج، لم يقصر سيفير (Sévère) في أدنى واجباته بخصوص إدارة شؤون الدولة؛ فلقد قاضى بين الناس، وقام بكل واجبات الإدارة. وكان سلوكه هذا سبباً في مدحه، غير أنه لِيمَ بسبب قتل

---

[1]- بخصوص مقتل إيفودوس؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXVII، 1.

[2]- يحكي هيروديان أنهما نفيا إلى صقلية حيث زودا بكل ما يحتاجانه ليعيشا عيشة رغدا؛ وقلد سيفير في عمله هذا المعاملة التي عامل بها أغسطس أولاد أنطوان. ولكن المنفيين عادة ما كانوا ينفون إلى الأراضي القاحلة التي لا تزرع، كماهو الشأن بالنسبة لجزيرة ليباري (Lipari).

[3]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXVII، 1؛ و:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre IV, 11.**

كوانتيلوس بلاوتيانوس (Quintillus Plautianus). ولقد أمر أيضاً بقتل عدة أعضاء آخرين في مجلس الشيوخ، تم استدعاؤهم أمام محكمته، فدافعوا عن أنفسهم، لكنهم أدينوا. أما كوانتيلوس (Quintillus)، فلقد كان رجلاً عريقاً في الشرف، وظل لمدة طويلة من بين وجوه مجلس الشيوخ، وكان قد أدرك الشيخوخة ويعيش في البادية، ولم يكن يهتم بأمور الدولة ولا يعمل على إعاقة سيرها، فلقد افتروا عليه كذباً، فاتهم ثم قتل. وقبيل إعدامه، طلب الأشياء التي كان قد هيأها لمراسم الدفن منذ أمد بعيد، فلما رأى أن الزمن قد أتلفها قال : « ما هذا ؟ لقد عمّرنا كثيراً » ؛ ثم أحرق بخوراً خلال مراسم الذبيحة قائلا : « أسأل الآلهة نفس الحاجة حين دعا سيرفيانوس (Servianus) على أدريان[1] (Adrien)». وقتل كوانتيلوس (Quintillus)، ونُظمت صراعات المجالدين حيث تم قَتل عشرة ببور دفعة واحدة، فيما قُتل من بين حيوانات أخرى.

8- ووقعت بعد ذلك قضية تخص أبرونيانوس (Apronianus)، وهي قضية يعتبر سردها في حد ذاته غريباً شيئاً ما. فلقد تم اتهام أبرونيانوس (Apronianus) فعلاً لأن حاضنته، حسب ما زعم، رأت في المنام فيما مضى أنه سيصل إلى رأس الإمبراطورية، ولأنه عرف بتعاطي السحر بهدف تحقيق غايته. ولقد أدين غيابياً عندما كان موجوداً في آسيا (l'Asie) بصفته والياً. ولما قرئ بحضرتنا محضر دلائل الإثبات، سمعنا الأسماء التي ذكرت فيه والتي تخص من استقصى المعلومات، ومن روى الرؤيا، ومن قصت عليه ؛ وعلاوة على ذلك، سمع شاهد يجيب فيما بين ما أجاب عليه : « لقد رأيت أحد أعضاء مجلس الشيوخ، وهو أصلع، ينحني ليرى». ولما سمعنا هذه الكلمات، هالنا الأمر، لأن الشاهد لم ينطق باسم أي أحد، وسيفير (Sévère) بدوره لم يكتب في المحضر اسم أي كان، فإذا بالهلع يصيب حتى أولئك الذين لم يتصلوا أبداً بأبرونيانوس (Apronianus)، ولم يفزع منهم فقط أولئك الذين صلعت قمة رؤوسهم، بل حتى من لم يتدل الشعر على جبينه. ولم يكن هناك مطمئناً على مصيره، اللهم من كان كث الشعر. وكنا جميعاً نلقي النظرات من حولنا بحثاً عمن كانت له هذه المزية، مرددين بصوت خافت : « هو فلان ؛ لا، بل هو فلان آخر». ولن أخفي ما وقع لي في هذه المناسبة، وإن كان ذلك مثيرا للسخرية، بعض الشيء ؛ فلقد كنت ضحية اضطراب شديد فقدت خلاله الرشد إلى حد أني تحسست بيدي شعري فوق رأسي. ولقد استولى هذا الهلع أيضاً

[1]- Dion Cassius, LXIX, 17 : « Avant d'être égorgé, Servianus demanda du feu, et en offrant l'encens : « Je n'ai commis aucun crime, ô dieux ! s'écria-t-il, vous le savez ; pour ce qui est d'Adrien, je vous adresse cette seule prière, qu'il désire la mort sans pouvoir l'obtenir ».

على الآخرين. واتجهت أنظارنا تتفحص كل من كانت تبدو على رأسه أدنى علامات الصلع، وكأننا كنا نريد بذلك أن نسلط على الآخرين الخطر الذي كان يهددنا، واستمر الأمر كذلك إلى أن أضاف القارئ أن الأصلع المعني، يرتدي ثوب النبلاء (la prétexte). وما أن ذكرت هذه الخاصية حتى توجهت أنظارنا صوب بيبيوس مرسيلينوس[1] (Bæbius Marcellinus) الذي كان يشغل وقتئذ منصب قيّم المدينة، وكان أصلع الرأس تماماً ؛ فقام تواً وتقدم نحو وسط الجمعية حيث قال : « إنه سيتعرف علي بالضرورة لو رآني». ولقد نالت هذه الكلمات استحساننا، فأدخل الواشي وظل صامتاً لوقت طويل أمام مرسيلينوس (Marcellinus) الذي كان واقفاً، وكان الواشي يبحث بعينيه عمن سيختار، وفي النهاية، وتنفيذاً لما أمر به عن طريق إشارة خفية أعطيت له، قال إنه هو.

9– وهكذا أدين مرسيلينوس (Marcellinus) بكونه الرجل الأصلع الذي رأى ؛ ثم قيد خارج مجلس الشيوخ وهو يرثي حاله. وبعد أن اجتاز الساحة العامة (le Forum)، رفض أن يمشي إلى أبعد من ذلك ؛ وهناك، وفيما كان يقبل أولاده الأربعة، خاطبهم بهذه الكلمات المثيرة للشفقة حقاً : « لا أتحسر إلا على شيء واحد يا أبنائي، وهو أن أترككم من بعدي أحياء». هكذا قُطع رأسه قبل أن يخبر سيفير (Sévère) بإدانته. أما بولينيوس سيبينوس (Pollénius Sébennus) الذي كان سببا في قتله، فإنه لقي جزاء عادلاً. فبعد أن سلمه سبينوس (Sabinus) للنورسيين (les Noriciens) الذين كان قد أساء معاملتهم لما كان والياً عليهم، أهين شر إهانة، ورأيناه ممدوداً على الأرض وهو كالحقير يتوسل ؛ ولولا عمه أسباكس (Aspax) الذي شفع له إلى النورسيين (les Noriciens)، لقتل شر قتلة. وكان أسباكس (Aspax) هذا رجل مجتمع يتميز عن سواه بمزاج حيوي ومرح، وكان الأكثر ازدراء لغيره، وفي منتهى اللطف مع أصحابه، وأخطر الناس بالنسبة لأعدائه. وتروى عنه عدة كلمات لاذعة وأخرى تعكس دهاءه، نطق بها مخاطباً شخصيات شتى، بما فيها تلك التي خاطب بها سيفير (Sévère). وهاهي ذي بعض آخر كلماته، نطق بها لما سجل هذا

[1]– لم يكن قيم المدينة الحاكم الروماني الوحيد الذي كان يرتدي ثوب النبلاء، فهذه العلامة لم تكن كافية لوحدها للتعرف على بيبيوس (Bæbius) لو لم تضف إليها علامة الصلع.

الإمبراطور نفسه في سجل عائلة مرقس- أنطونينس (Marc-Antonin) : « أهنئك قيصر على عثورك على أب»، وكأن الأمير كان يفتقر لأب فيما قبل، بسبب أصله الوضيع[1].

10- وفي هذا العهد، جمع إيطالي يسمى بولاس (Bullas) عصابة تتكون من ستمائة رجل، ونهب إيطاليا خلال سنتين، بالرغم من حضور الأباطرة وعدد كبير من الجنود. وبما أن سيفير (Sévère) كان يتباهى بالبحث عنه، فإن العديد من الناس كان يطارده، غير أنه بمجرد ما كان يُرى، كان يختفي عن الأنظار، وعندما كان يظن أنه عُثر عليه، أو تم القبض عليه، لم يكن هو في الواقع ؛ ولقد ظل طليقاً باعتماده إلى حد كبير على السخاء والحيلة. وكان يستخبر عن المسافرين الذين كانوا يقلعون من روما، وأولئك الذين كانوا يرسون في بروندوسيوم (Brundusium)، كما كان يستفسر عن صفاتهم وعددهم وطبيعة منقولاتهم وقيمتها. وكان يخلي سبيل المسافرين بعد السطو على جزء من ممتلكاتهم ؛ أما العمال، فإنه كان يبقيهم عنده بعض الوقت، وبعد استخدامهم، كان يطلق سراحهم للعودة إلى ديارهم مغمورين بنعمه. وذات مرة، ألقي القبض على لصين من عصابته، وكانا على وشك أن يرمى بهما إلى الحيوانات الضارية عندما ذهب للقاء حارس السجن وادعى أنه والي البلد، وفي حاجة إلى هذا الصنف من البشر؛ وبتسليمهما إليه، أنقذهما من الموت. وفي مرة أخرى، جاء للقاء قائد المائة الذي كلف بالقضاء على العصابة، وتقدم إليه بصفته متهِم بولاس (Bullas) وكأنه شخص آخر، ووعده بتسليمه السارق إن هو أراد أن يتبعه، ثم ذهب به والحال هذه إلى أرض واطئة ومغطاة، وكأنه يقوده نحو فليكس (Félix)، (وكان بولاس (Bullas) يحمل أيضا هذا الاسم)، ثم أسره بسهولة. وبعد ذلك، جلس في المحكمة لابساً بذلة القاضي ؛ وبعد أن نودي على قائد المائة، حلق رأسه[2] وقال له: « اذهب وقل لأسيادك: اطعموا عبيدكم حتى لا يسرقوا». وبالفعل، كان بصحبته عدد كبير من القيصريين (les Césariens) الذين لم يكن بعضهم يتقاضى إلا أجراً زهيداً، وأما البعض الآخر، فلم يكن يتقاضى شيئاً. ولما أخبر سيفير (Sévère) بهذه الأحداث، غضب غضباً شديداً لأنه بعد أن أحرز قواده في الحرب على انتصارات في بريطانيا (la Bretagne)، مني هو في إيطاليا

---

[1]- كان أبوه يسمى، حسب سبارتيان، جيتا (Géta)، وأمه فولفيا بيا (Fulvia Pia)، وهما شخصان خاملا الذكر، الشيء الذي يفسر جملة أسباكس (Aspax)؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 1 ; *in* : *Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- وكأنه أسير يتم استعباده.

بالفشل أمام لص، فبعث تريبوناً من حرسه الخاص على رأس عدد كبير من الفرسان، ووعده شراً في حالة ما إذا لم يأته بالسارق حياً. وكان التريبيون قد علم بأن بولاس (Bullas) يزني بامرأة أحد آخر، فأقنع هذه المرأة عن طريق زوجها حتى تساعده لتحقيق مبتغاه، واعداً إياها بالإفلات من العقاب. وهكذا ألقي القبض على بولاس (Bullas) في كهف حيث كان راقداً. ولما سأله ببينيانوس (Papinianus)، نائب الولاية[1] : « لماذا أصبحت سارقاً ؟ »، أجابه قائلاً : « ولماذا أنت وال ؟ ». ورمي ببولاس (Bullas) بعد ذلك إلى الحيوانات الضارية وسط صياح المنادي، ثم شتتت عصابته؛ ففيه كانت تكمن قوة الستمائة.

11- ووجه سيفير (Sévère) آنذاك سلاحه ضد بريطانيا[2] (la Bretagne) لأنه كان يرى أولاده منغمسين في اللذات، كما رأى فرق الجيش وقد أصابها الوهن نظراً لخلودها للراحة ؛ واتخذ قراره هذا بالرغم من كونه كان يعلم أنه لن يعود من حربه تلك. وكان يعرف ذلك خاصة بفضل معرفة مطالع النجوم التي ازداد خلالها (وكان قد أمر برسمها على سقوف غرف القصر الذي كان يُصدر فيه الأحكام، بحيث باستثناء الوقت الذي يتعلق بالساعة التي ولد فيها بالضبط في برج فلكه، كما يقال، فكل الناس كان بإمكانهم أن يروا تلك النجوم ؛ غير أن وقت ميلاده لم يكن ممثلاً بنفس الشكل في جهات القصر). ولقد كان يعرف ذلك أيضاً لأنه سمعه من أفواه العرافين. وبالفعل، فلقد أصابت صاعقة قاعدة تمثاله الموجود بالقرب من الباب الذي كان سيخرج منه جيشه والمطل على الشارع المؤدي إلى هذا الباب، ومحت هذه الصاعقة ثلاثة حروف من حروف اسمه ؛ ولهذا السبب، كما أعلن ذلك العرافون، لم يعد، ومات بعد ذلك بثلاثة أعوام. وكان قد غنم خلال هذه الغزوة أموالاً طائلة.

12- يوجد في بريطانيا (la Bretagne) شعبان كان لهما شأن عظيم، وهما الكاليدونيون (les Calédoniens) والمياطيون (les Méates)، وتتفرع، إن صح القول، كل

---

[1]- كان نائب الولاية يستنطق المتهمين، وهو ما يفعله هنا ببينيانوس (Papinianus).

[2]- كان الباربار، حسب هيروديان، "يعيشون في البلد فسادا "، وخاصة منهم المياطيون (les Méates) الذين كانوا يسكنون على طول الأسوار. وبما أنه بالرغم من انتصار الجيش الروماني (راجع الفصل السابق)، كان حاكم بريطانيا يطلب مدداً أكبر وحضور الإمبراطور بنفسه، فإن سيفير اغتنم هذه الفرصة وتوجه إلى بريطانيا؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXV، 5؛

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 46- 48.

أسماء الشعوب الأخرى عنهما. ويسكن المياطيون (les Méates) على طول السور الذي يقسم الجزيرة إلى قسمين[1]، ويوجد الكاليدونيون (les Calédoniens) وراءهم. ويسكن هؤلاء وأولئك جبالاً متوحشة قفاراً، أو سهولاً مقفرة ومستنقعية، لا أسوار فيها ولا مدن ولا أراضي محروثة ؛ لا يأكلون إلا العشب وصيد البحر وفواكه بعض الأشجار، لأنهم لا يأكلون السمك أبداً بالرغم من كونهم يتوفرون على كميات هائلة منه[2]. وهم يعيشون تحت الخيام، عراة حفاة[3]، نساؤهم مشتركة فيما بينهم، ويقومون بتربية كل الأولاد الذين تلدهم نساء الجماعة[4]. وحكومات معظم هذه الشعوب هي حكومات شعبية، وعادة ما تتعاطى هذه الشعوب قطع الطرق. وهم يخوضون الحروب على متن عربات تجرها خيول قصيرة وسريعة، ويوجد لديهم أيضاً مشاة خفيفو العدة خلال العدو، وأشداء يقاتلون بأقدام ثابتة. ويتكون سلاحهم من ترس ورمح قصير ينتهي طرفه الأسفل بقبيعة نحاسية يسبب تحريكها في صوت يحدث الرعب في قلوب الأعداء ؛ ولهم خناجر أيضاً. وهم قادرون على تحمل الجوع والبرد ومصائب شتى، فلهم القدرة فعلا على البقاء لعدة أيام غاطسين في المستنقعات، فرؤوسهم فقط هي التي تبقى خارج الماء. وعندما يكونون في الغابات، يتغذون بلحاء الشجر والجذور[5]، ويحضرون في كل الأحوال غذاء لما يتناولون منه مقدار حبة فول، يذهب عنهم الجوع والعطش. هكذا هي جزيرة بريطانيا[6] (la Bretagne)، وهكذا هم سكان البلاد التي توجد في حرب معنا. وهي جزيرة، ولقد تم التعرف على شكلها بوضوح، كما قلت ذلك. وتبلغ مساحتها سبعة ألف ومائة وثلاثين غلوة، ويبلغ أقصى عرضها ألفين وثلاثمائة وعشرة، وأصغر عرضها ثلاثمائة ؛ ونحن نملك نصفها إلا قليلاً.

---

[1]– راجع: *تاريخ ديون*، LXXII، 8. هذا السور هو الذي كان قد بناه هادريانوس، وقام سيفير بترميمه أو بالأصح، بنى بموازاته سورا جديدا من الحجر، نظرا لأن سور أدريان كان عبارة عن ركام من تراب.

[2]– لا يعقل أن لا تستهلك شعوب تسكن ساحل البحر السمك. وربما ينطبق كلام ديون هذا، شأنه شأن كلام يوليوس قيصر (*Guerre des Gaules*، V، 14) ، على الشعوب التي كانت تسكن داخل البلد.

[3] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 47.

[4]– راجع الفصل 16 من هذا الكتاب.

[5]– يروي سيبالد (Sibbald) في كتابه المزين بالصور أن الاسكتلنديين في عصره كانوا يمضغون بعض الجذور يسمونها الكارميل (karemyle)، يشبه مذاقها مذاق السوس، وذلك لقتل الجوع والعطش:
Sibbald, *L'Ecosse illustrée*, Edimburg, 1684, in-fol., Livre I, c. 17, 18, 19.

[6]- راجع : *تاريخ ديون*، XXXIX، 50؛ LXVI، 20.

13- دخل سيفير (Sévère) إذا إلى كليدونيا[1] (la Calédonie) وهو يريد إخضاعها بأسرها ؛ ولقد عني خلال اجتيازها أشد العناء، وقاوم عناءه حتى يقطع الغابات، ويشق الطرق عبر الجبال، ويجفف المستنقعات، ويمد الجسور فوق الأنهار[2] ؛ لأنه لم يشن معارك، ولم ير قط أعداء مصطفين للقتال. ولقد عرض البريطانيون (les Bretons) عمداً أكباشاً وثيراناً غنمها جنودنا الذين كانوا يُقتلون بعد اجتذابهم بعيداً، بهذه الخدعة، إلى أرض مستنقعية كانت تعيقهم مياهها، فيتم بذلك تشتيتهم ثم يقعون في الكمين. وكان بعضهم ممن يعجز عن المشي يقتله رفاقه حتى لا يقع في الأسر، بحيث قُتل خمسون ألف رجل. وبالرغم من ذلك، لم يعدل سيفير (Sévère) عن مشروعه قبل أن يصل إلى أقصى الجزيرة حيث قام قبل كل شيء بمراقبة الشمس مراقبة دقيقة، ورأى أنها لا تغيب عن الأفق إلا قليلا، كما لاحظ طول النهار والليل، خلال الصيف كما في الشتاء[3]. وبعد أن حُمل عبر كل أراضي العدو، إن جاز التعبير، (فمعظم الوقت فعلاً، كان يحمل، بسبب أمراضه[4]، فوق محفة مكشوفة)، رجع إلى البلد الصديق، مجبراً البريطانيين (les Bretons) على عقد معاهدة يتنازلون بموجبها على جزء لا يستهان به من أرضهم[5].

14- وكان أنطونينس (Antonin) يشغل باله ويهمه إهماماً، نظرا لخلاعته، ولأنه كان قد عقد العزم على قتل أخيه إذا سنحت الفرصة له بذلك، وأخيراً، نظرا للمؤامرات التي كان يدبرها ضده[6]. فذات يوم، خرج أنطونينس (Antonin) فجأة من خيمته صائحاً بأعلى صوته أن

---

[1]- حسب هيروديان، دخل سيفير إلى بريطانيا صحبة ابنه أنطونينس ، تاركا ابنه الأصغر (جيطا) في بريطانيا، السفلى التي كانت خاضعة للرومان، لتدبير أمورها. فأرسل البريطانيون إليه الرسل لطلب السلم، لكنه رفض؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 46- 47.

[2]- يحكي هيروديان أن سيفير قام ببناء الجسور فوق المستنقعات التي تسببها فيضانات المحيط حتى يسهل مأمورية الجنود في القتال؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 47.

[3]- Tacite, *Vie d'Agricola*, 12, 6-7 : « 6. La durée des jours excède celle sous notre latitude. La nuit est claire et si brève, au bout de l'île, qu'on n'en discerne la fin et le début que par une insignifiante différence de clarté. 7. On affirme que, si des nuées ne l'occultent pas, le soleil brille en pleine nuit : il ne se couche ni ne se lève, mais passe à l'horizon. »

[4]- راجع الفصل 16 من هذا الكتاب حيث يطلعنا ديون على إصابة سيفير بداء النقرس؛ ويقول هيروديان أن مرضا لازمه، دون أن يسميه:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 46- 49.

[5]- Spartien, Vie de Sévère, 22 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* : « *…Non solum victor, sed etiam in æternum pace fundata …* ».

[6]- لما أصبح سيفير مسنا ولازمه المرض، حث ابنه أنطونينس على أن يجد في مطاردة العدو ويقود العمليات العسكرية في بريطانيا. لكن هذا الأخير لم يكترث لهذا الأمر وعمل كل ما في وسعه للحط من قدر أخيه حتى ينفرد بإخلاص الجند وبالإمبراطورية. كما كان ينتظر بلهفة موت أبيه الذي لازمه المرض طويلا، ويلح، دون جدوى، على أطباء أبيه وقادته بسمه حتى يعجل موته؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 49.

كسطور (Castor) أهانه، بيد أن كسطور (Castor) هذا كان أطيب القيصريين (les Césariens) الذين كانوا يحيطون بسيفير (Sévère)، وكان أمير سره وحارس غرفته[1]. ولقد أيد بعض الجنود الذين كانوا مطلعين على هذه المكيدة أنطونينس (Antonin) وأجابوا طلبه، غير أنهم سرعان ما أوقفوا عند حدهم، فلقد خرج إليهم سيفير (Sévère) بنفسه، وعاقب منهم العناصر الأكثر تهيجاً. ومرة أخرى، كان الاثنان يقصدان الكاليدونيين (les Calédoniens) ليتسلما أسلحتهم وللتفاوض حول شروط السلم ؛ فحاول أنطونينس (Antonin) علانية أن يقتله بنفسه. فلقد كانا يمتطيان فرسيهما، لأن سيفير (Sévère)، بالرغم من أن أخمصيه كانا في بداية مرضهما، فإن ذلك لم يحل بينه وبين صهوة حصانه، وكان جيشهما يصاحبهما، وجيش العدو على مرأى منهما؛ وفي ذلك الحين، أوقف أنطونينس (Antonin) فرسه في صمت، وبلا حرج، أخرج سيفه من غمده وكأنه سيضرب به أباه ضربة من الخلف. وعند هذا المشهد صرخ أولئك الذين كانوا يمتطون خيلهم بجانب الأميرين، ففزع أنطونينس (Antonin) من ذلك، ولم يفعل. وعند صرختهم، تلفت سيفير (Sévère) وراءه ورأى السيف، لكنه لم ينبس بكلمة، بل أكثر من ذلك، إنه، وكأن شيئاً لم يكن، قعد على كرسي محكمته، وبعد أن صرَّف الأعمال الأكثر أهمية، دخل إلى خيمته، ثم نادى ابنه وبينيانوس (Papinianus) و كسطور (Castor)، ووضع سيفاً وسطهم. وبعد أن وبخ ابنه على جرأته التي لا تجدي نفعاً، وعلى الكبيرة التي كان على وشك ارتكابها بحضور الجميع، حلفاء وأعداء، ختم كلامه قائلا : « إذا كنت راغباً في قتلي، فاقتلني هنا، فأنت في عنفوان الشباب، وأنا مسن وخائر القوى. وإذا ما تراجعت أمام هذه المسؤولية وكنت تخشى استعمال يدك، فإلى جانبك يوجد نائب الولاية ببينيانوس (Papinianus) الذي يمكنك أن تأمره بقتلي، فإنه سينفذ كل الأوامر التي سيتلقاها منك نظراً لأنك إمبراطور». وبالرغم من هذه الكلمات، فإنه لم يعامله بقسوة، مع العلم أنه غالباً ما كان يلوم مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) على عدم عزل كمود (Commode)، وأنه هدد ابنه أكثر من مرة بقتله[2]. غير أنه لم يكن يتوعده إلا عندما كانت تعتريه سورات غضب ؛

وفي هذه المرة، فاق حبه لأبنائه حب الوطن، بالرغم من أنه بتصرفه هذا، خان ولده الآخر لأنه كان يعلم علم اليقين ما سيحدث لاحقاً.

---

[1]– قتل أنطونينس كسطور فيما بعد؛ راجع : تاريخ ديون، LXXVII، 1.

[2]- Spartien, Vie de Caracalla, 11 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

15- وبعد أن خان سكان الجزيرة العهد من جديد، استدعى سيفير (Sévère) جنوده وأمرهم بالدخول إلى البلد والاستيلاء على كل ما يجدونه أمامهم، مردداً هذه الأبيات :

لن ينجو أحد من الموت المشؤوم
ولا من ضرباتكم القاضية
لا، لن ينجو أحد من الموت المشؤوم
حتى الجنين الذي تحمله الأم في رحمها[1].

وبعد أن نفذت أوامره، والتحق الكاليدونيون (les Calédoniens) بالمياطيين (les Méates) وخانوا العهد هم كذلك، كان سيفير (Sévère) يستعد لمحاربتهم شخصياً، وتوفي[2] وسط هذه الاستعدادات نتيجة المرض، في رابع فبراير ؛ وكانت لأنطونينس (Antonin)، حسب ما يقال، يد في موته[3]. وقبل وفاته، يروى أنه قال لولديه (وسأورد نفس الكلمات التي نطق بها دون أدنى تحريف): « عيشا في وفاق مع بعضكما[4]، وأغنيا الجنود، واحتقرا كل الآخرين». وحُمل نعشه على الطريقة العسكرية ثم وضع على محرقة، وطاف الجنود وكذا ولداه حول جثمانه تكريماً له، ورمى بعض الحاضرين من الجنود بالأوسمة العسكرية التي كانوا قد حصلوا عليها فوق المحرقة، ثم أوقد ابناه النار. وبعد ذلك، وضع رماده في جرن من حجر السماق[5]، ثم بُعث به إلى روما حيث وضع في ضريح الأنطونيين[6] (les Antonins). ويروى أيضا أن سيفير (Sévère) أمر، لحظات قبل موته، بإحضار هذا الجرن وتحسسه قائلا : « ستحوي رجلاً لم يستطع العالم احتواءه».

---

[1]- الأبيات للشاعر الإغريقي هومرس، مع بعض التغيير.

[2]- يجمع المؤرخون على أن سيفير توفي في يورك (York) أو بالقرب منها؛ راجع على سبيل المثال:
Spartien, Vie de Sévère, 19 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- راجع الهامش 6، ص. ص. 116-117.

[4]- روى سبارتيانوس أن سيفير قبل وفاته بعث إلى ابنه البكر الخطاب الذي أورده سالوست في كتابه حيث يحث مسيبسا (Micipsa) أبناءه على الوئام؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 21 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

وسبق لديون أن أشار إلى الخلاف بين الأخوين في الفصلين 7 و 14 من هذا الكتاب. ويروي هيروديان بدوره كيف كان سيفير يحاول جاهدا أن يوفق بين ولديه؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 44.

[5]- حسب هيروديان، فإن الجرن كان من المرمر؛ وحسب سبارتيان، فإنه كان من الذهب؛ راجع :
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 51 ; Spartien, Vie de Sévère, 24 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[6]- يبدو أن سيفير لما اتخذ اسم أنطونينس، فإنه قرر في الوقت نفسه أن يدفن وأهله في ضريح هذه العائلة.

16- وكان سيفير (Sévère) ثقيل الوزن، غير أنه كان شديداً، بالرغم من داء النقرس الذي كان قد أضعفه كثيراً[1]. وكان ثاقب الذهن، ومولعاً بالآداب دون أن يمهر فيها، وبالتالي فقد كان أبرع في التفكير منه في البيان. وكان حافظ جميل أصدقائه، ومخيف أعدائه، وكان يجتهد في كل ما يريد فعله، وغير مبال للأقاويل التي كانت تشاع حوله. ولقد حصل على المال بعد ذلك دون أن يكترث بالوسائل التي مكنته منه[2]، غير أنه لم يقتل أحداً لأجل ذلك. وكان ينفق المال بلا حساب في كل ما هو ضروري ؛ فلقد رمم عدداً كبيراً من المباني القديمة، ونقش عليها اسمه وكأنه هو الذي أعاد عملية تشييدها من أولها إلى آخرها، وبماله الخاص[3]. وأنفق أيضاً، دونما حاجة إلى ذلك، أموالاً طائلة لترميم أو إعادة بناء مباني الآخرين، وهكذا شيد لباخوس (Bacchus) وهرقل (Hercule) هيكلا تجاوزت فخامته الحد. وبالرغم من هذه النفقات الهائلة، فإنه لم يخلف ألف دراخمة يسهل عدها، بل الآلاف. ولاحق الفجار أمام القضاء إلى درجة أنه شجع قوانين ملاحقة الزناة[4]؛ ونتج عن ذلك تسجيل عدد كبير من التهم (فلما كنت قنصلا، وجدت ثلاثة آلاف تهمة مسجلة في الجدول) ؛ لكن بما أن عدداً قليلاً من الناس فقط لاحقوا مرتكبي هذه الجُروم أمام القضاء، فإنه كف عن الاهتمام بهذا الأمر. وفي هذا الصدد، وبعد توقيع المعاهدة، أجابت بظرف زوجة رجل من الكليدونيين (un Calédonien) يسمى أرجونطوكوكسوس (Argentocoxos)، يوليا أوغوسطا (Julia Augusta) التي سخرت منها بخصوص قلة احتشام نسوة بلادها في علاقاتهن مع الرجال : « نحن نُرضي الرغبات الطبيعية بطريقة أفضل منكن معشر الرومانيات، لأننا نمكن الشجعان من أجسادنا في واضح النهار، بينما أنتن تدنسن عرضكن بفجوركن خلسة مع أحقر الرجال[5]». هكذا كان جواب البريطانية (la Bretonne).

---

[1]- راجع أيضا وصفه في :
Spartien, Vie de Sévère, 19 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- آخذه كل من سبارتيان وهيروديان على حصوله على المال بطرق غير شرعية، بل إن هيروديان، وخلافا لما ذكره ديون، يرد إلى البخل عددا كبيرا من عمليات القتل التي ارتكبها هذا الإمبراطور؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 12 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; *Hérodien, Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 26.

[3]- يختلف سبارتيان مع ديون في هذا الأمر بحيث ذكر أن سيفير لم ينقش اسمه على أي من المباني التي قام بترميمها، واحتفظ بأسماء المشيدين الأوائل الذين قاموا ببنائها؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 23 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- اتهم سيفير بدوره بالزنى، قبل أن يصبح إمبراطورا، إلا أنه بُرئ من تهمته هذه؛ راجع:
Spartien, Vie de Sévère, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]- وهي إشارة ذات مغزى، لأن يوليا كانت قد اشتهرت بزناها؛ راجع:

17- على كل حال، كانت طريقة العيش التي اتبعها سيفير (Sévère) خلال السلم كالتالي : لقد كان يقوم بعمل ما عند السحر، ثم يتمشى وهو يتكلم عن أمور الدولة أو يستمع لمن يحدثه عنها. وبعد ذلك، كان يجلس لإصدار أحكام القضاء، باستثناء أيام الأعياد الكبرى. ومن عاداته المحمودة أنه كان يترك الوقت الكافي لمرافعة المتقاضين، ويمكننا نحن الذين كنا نجلس إلى جانبه من حرية هامة للإدلاء بآرائنا. وكان يجلس للحكم بين الناس إلى غاية الظهر، وبعد ذلك كان يسير راكباً فرسه أطول وقت أمكنه ذلك، ثم يستحم بعد تمرين رياضي ما. وكان يتناول طعام عشاء وافر، إما وحده أو صحبة أولاده. وبعد ذلك كان ينام في أغلب الأحيان ؛ وبعد أن يتم إيقاظه، كان يتجول وهو يتجاذب أطراف الحديث في الدراسات الإغريقية واللاتينية. وبعد انقضاء النهار، كان يستحم من جديد في المساء، ثم يتعشى مع من كان يحيط به، لأنه لم يكن يقبل أي مدعو آخر، ولم يكن يقيم المآدب الفاخرة إلا خلال الأيام التي كانت إقامة الولائم فيها ضرورية. وعاش خمسة وستين عاماً وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما[1] (وكان قد ازداد يوم حادي عشر أبريل)، وحكم في هذه المدة خلال سبعة عشر عاماً وثمانية أشهر وثلاثة أيام[2]. وجملة الكلام، لقد كان له من النشاط ما جعله يصيح وهو يحتضر : « هيا، انظروا هل هناك شيء يمكن أن نفعله[3]».

Spartien, Vie de Sévère, 18 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aurélius Victor, *Des Césars*, XX, 23.

[1]- كل المؤلفين يتفقون مع ديون بخصوص سن سيفير، باستثناء سبارتيان الذي ورد في كتابه أن هذا الإمبراطور عاش تسعة وثمانين عاما؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 22 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Spartien, Vie de Pescennius, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- تولى سيفير الحكم في غُرّة يونيو 946، وتوفي في رابع فبراير 964، فحساب ديون صحيح.

[3]- كانت آخر كلمة نطق بها سيفير وهو يحتضر، الأمر الذي أعطاه للتريبيون:"فلنعمل"، وكانت كلمة أمر بيرتناكس عند توليه الحكم:"فلنقاتل"؛ راجع:

Spartien, Vie de Sévère, 23 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الكتاب السابع والسبعون

1- بعد ذلك، أخذ أنطونينس (Antonin) كامل السلطة المطلقة، وحكم في الظاهر بالاتفاق مع أخيه[1]، ولكنه في الواقع حكم بمفرده منذ ذلك الوقت. ولقد عقد معاهدة سلم مع الأعداء، وانسحب من أراضيهم وغادر المواقع الحصينة، وصرف بعض المستخدمين المختصين بخدمته[2]، كان من بينهم ببينيانوس[3] (Papinianus)، نائب الولاية، وقتل البعض الآخر، وكان من بينهم إيفودوس (Evhodus)، زوج حاضنته[4]، وكسطور[5] (Castor)، وزوجته بلوتيا[6] (Plautilla)، وأخوها بلوتيوس (Plautius). وفي روما، أمر بقتل رجل لم يلفت الانتباه إطلاقاً إلا بفضل مهنته التي نال الشهرة فيها : فلقد أمر بقتل الحوذي أوبريبيس (Euprépès) لأنه كان ينتمي إلى الفرقة التي كانت خصماً للفرقة التي كان أنطونينس (Antonin) يشجعها. وهكذا قُتل أوبريبيس (Euprépès) في سن متقدم[7]، وقد توج بعد أن فاز في عدد كبير من سباقات الخيل، لم يفز بها غيره من المصارعين، فلقد فاز بسبعمائة واثنين وثمانين إكليلاً. وكان أنطونينس (Antonin) قد أراد قتل أخيه وأبوه ما زال على قيد الحياة، لكن أباه حال بينه وبين ذلك، كما حال الجيش بعد ذلك بينه وبين قتل أخيه جيطا (Géta) في الطريق[8]، لأن الجند كانوا يحبونـه كثيراً، خاصة وأن وجهه كان يشبه وجه أبيه تماماً. إلا أنه بمجرد رجوعه

---

[1]- ورد في كتاب سبارتيان أن سيفير أعرب عن فرحه وهو يحتضر، بكونه خلف للجمهورية ابنين (les deux Antonin) يتمتعان بنفس السلطة، مثله مثل أنطونينس التقي الذي خلف بدوره ابنين متبنَين: فيروس ومرقس أنطونينس (Vérus et Marc Antonin)؛ بيد أن سيفير كان يدعي أنه يتفضل على سابقه لأنه ترك زمام الإمبراطورية لوليديه من صلبه، بسيانوس أنطونينس وجيطا (Bassianus Antonin et Géta) وليس لابني أنطونينس التقي المُتبنين؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXIX، 21؛ LXX، 2؛

Spartien, Vie de Sévère, 20 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 49- 51.

[3]- سبق الحديث عن ببيانوس هذا، راجع : *تاريخ ديون*، LXXVI، 10 و 14؛

Spartien, Vie de Caracalla, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[4]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXVI، 3 و 6.

[5]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXVI، 14.

[6]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXVI، 6. وحسب هيروديان، لم تقتل بلوتيا إلا بعد مصرع جيتا؛ انظر:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 11.

[7]- كانت الشيخوخة ظاهرة نادرة في وسط الحوذية الذين كانوا يموتون في سن الشباب، كما تدل على ذلك النقائش.

[8]- يروي هيروديان خلاف الأخوين خلال الطريق، راجع :

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 1.

إلى روما، أمر بقتله. وكان الأخوان يتظاهران بحب الواحد منهما للآخر، ويقرظ أحدهما الآخر، غير أن أفعالهما كانت نقيض ذلك[1]، ولم يكن يخامرنا شك في أنهما سيرتكبان جريمة ما لا محالة ؛ وتم التنبؤ بهذه الفاجعة قبل وصولهما إلى روما. فلقد قرر مجلس الشيوخ أنه لإحلال الوئام بين الأميرين[2]، سيتم التقرب بالذبائح للآلهة، بما فيها إلهة الوئام (la Concorde) بنفسها. وكان الخدمة قد جهزوا الذبيحة التي كان سيُتقرب بها على مذبح الكونكورد (la Concorde)، وذهب القنصل ليقيم الذبيحة، غير أنه لم يلْق الخَدَمة، ولا هؤلاء لقوه، وقضى الجميع الليل كله، إن صح القول، وهم يبحثون عن بعضهم، بحيث إن التقرب بالذبيحة لم يتم آنذاك. وفي الغد، صعد ذئبان الكابيتول (le Capitole)، فتم طردهما ثم قتلهما، أحدهما في ميدان روما (le Forum) حيث تم اصطياده، والآخر صيد بعد ذلك خارج "الجادة المقدسة" (*Pomœrium*). وكانت علامة الشؤم هذه أيضاً تخص الإمبراطورين.

2- وكان أنطونينس (Antonin) ينوي قتل أخيه خلال أعياد زحل (les Saturnales)، غير أنه لم يتمكن من ذلك لأن الجريمة ستكون وقتئذ مكشوفة لا يمكن التستر عنها. ومنذ ذلك الحين، وقعت بينهما معارك شبيهة بتلك التي يحاول فيها العدُوّان مباغتة بعضهما، واتخذ كلاهما الكثير من الاحتياطات لتوقي خصمه. ولكن، بما أن عدداً كبيراً من الجنود والمجالدين كانوا يحرسون جيطا (Géta) ليل نهار، خارج بيته وداخله، فإن أنطونينس (Antonin) أقنع أمه حتى تستدعيهما منفردين إلى غرفتها حتى تصلح ذات بينهما. وبعد اقتناعه بنجاعة هذا الاقتراح، أتى جيطا (Géta) صحبة أخيه إلى دار أمهما، وما أن اجتازا الباب، حتى شدّت فرقة من قواد المائة – كانوا قد استتروا في الغرفة تنفيذاً لمكيدة أنطونينس (Antonin) – على جيطا (Géta) وقتّلوه. وعند رؤيتهم، احتمى جيطا (Géta) بأمه وتعلق بعنقها مرتمياً في أحضانها ومطلقا صرخات يرثى لها : « أماه، وا أماه، أنت التي ولدتني، أنقذيني، إنهم يقتلونني». هكذا خدعت يوليا (Julia) التي تحملت ألم ثكل

---

[1]- راجع : *تاريخ ديون*، LXXVI، 7؛

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 3-4.

[2]- بما أن محاولات يوليا لتصلح بين ابنيها لم تفلح، فإن الأخوين اعتقدا أن الحل الوحيد الذي بقي لهما حتى يأمن كل منهما شر الآخر، هو الافتراق إلى الأبد. ثم اقترحا بحضور أمهما وأصحاب أبيهما مجتمعين، أن يقتسما الإمبراطورية، بحيث يظل أنطونينس سيد أوربا، وأن يحكم أخوه جيطا كل ولايات آسيا، الخ. إلا أن يوليا حالت بينهما وبين تنفيذ هذا المشروع؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 4-5.

ولدها الذي قتل بين يديها من جراء جريمة شنعاء، جريمة ارتكبت فوق نفس البطن الذي حمل جيطا (Géta)، وتلطخ كل جسد الأم بدم ابنها حتى أنها لم تحس بالجرح الذي أصاب يدها. ومُنعت يوليا (Julia) من البكاء[1] ورثاء مصير هذا الولد الذي اختطف قبل الأوان، وبطريقة غاية في الشناعة (ولم يعش سوى اثنين وعشرين سنة وتسعة أشهر). والأدهى من هذا أنها كانت مجبرة على التظاهر بالابتهاج والضحك وكأنها في منتهى السعادة، وكانت كل كلماتها وحركاتها تراقَب مراقبة شديدة، بل حتى لون وجهها كان يُراقَب أيضاً. وكانت هذه الأغسطسية (Augusta)، زوجة وأم الأباطرة، المرأة الوحيدة التي مُنعت من ذرف الدموع بعد فاجعة كهاته، حتى عندما تخلو بنفسها.

3- أما أنطونينس (Antonin)، فبالرغم من كون الليل كان قد هبط، فإنه أبى إلا أن يذهب للقاء الجنود، صارخاً طول الطريق أن مؤامرة حيكت ضده[2]، وأنه معرض لأخطار كبرى. ولما دخل إلى المعسكر، خاطب الجند قائلاً : « رفاق السلاح، السلام عليكم، يمكنني منذ الآن أن أنعمكم[3]». وقبل أن ينتهوا من سماع كل كلامه، أخرسهم بوعود بلغت من الكثرة والجمال ما أبهرهم وجعلهم عاجزين عن الإحساس بعاطفة ودية أو الرد عليه بكلام طيب. واسترسل في حديثه قائلاً : « أنا واحد منكم، ولا أريد أن أعيش إلا من أجلكم حتى أغدق نعمي عليكم[4] ؛ وكل الخزائن هي في ملككم». ثم أضاف قائلاً : « وإني أرغب قبل كل شيء في العيش بينكم، وإن لم أستطع، فلأمت معكم. ثم إني لا أخشى الموت، وأريد أن أموت في ساحة الوغى، ففيها فقط ينبغي على البواسل أن يقضوا نحبهم». وفي الغد، ألقى في

---

[1]- يروي سبارتيان أن أنطونينس كان يريد قتل أمه لأنها كانت تبكي؛ راجع:
Spartien, Vie de Caracalla, 3; Vie de Geta, 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- أورد كل من هيروديان وسبارتيان بعض هذه التهم الواهية؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 4 ; 8; Spartien, Vie de Caracalla, 2 ; Vie de Sévère, 21 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[3]- راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 8.

[4]- حسب هيروديان، لما اعتلى أنطونينس العرش، وعد الجند بألفين وخمسمائة دراخمة أتيكية لكل واحد منهم، وضاعف حصة القمح التي كانت توزع عليهم؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 9

وحسب سبارتيان، فإن جند الحرس الإمبراطوري في ألبه، غضبوا لما بلغهم نبأ مقتل جيطا، فتمردوا وأغلقوا أبواب معسكرهم في وجه الإمبراطور الجديد ، ولم يتمكن هذا الأخير من استمالتهم إلا بصلات جزيلة؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 2 ; Vie de Geta, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

مجلس الشيوخ[1] كلمة، ثم لما قام من مقعده و اقترب من الباب قال : « اسمعوا من فمي نبأ خطيراً : حتى يغمر الفرح العالم، فليرجع كل المنفيين إلى ديارهم، مهما تكن الجرائم التي أدينوا من أجلها، وكيفما كانت إدانتهم»[2]. وبعد أن أخلى بأمره هذه الجزر من المنفيين، بعفوه عن كبار المجرمين الذين حكم عليهم بالنفي، فإنه لم يلبث أن عمرها من جديد.

4- ولقد قتل على الفور القيصريين (les Césariens) والجنود المناصرين لجيطا (Géta)، وبلغ عدد من قتل عشرين ألفاً، رجالا ونساء، بدون تمييز، لا ذنب لبعضهم إلا أنه كان موجوداً في القصر. وقُتل كذلك عدد كبير من مشاهير الرجال، وكان من بينهم على سبيل الذكر، ببينيانوس[3] (Papinianus). وعنّف قاتل ببينيانوس (Papinianus) على استعماله لإعدام هذا الأخير الفأس عوض السيف[4]. وكان يريد أيضاً قتل كيلون (Cilon)، واليه والمُفْضِل عليه الذي كان حاكماً لروما في عهد أبيه ؛ وكان أنطونينس (Antonin) قد عينه في هذا المنصب مراراً. وكان الجنود الذين بُعثوا لأسره قد سطوا على آنيته الفضية وملابسه وباقي أثاثه، ثم ساروا به عبر الطريق المقدسة (la voie Sacrée) بهدف الذهاب به إلى القصر حيث كان سيقتل، وهو يحتذي نعلا ويرتدي قميصاً رثاً ؛ وكان كيلون (Cilon) لما ألقي القبض عليه في الحمام. ولقد مزقوا ثيابه وضربوه على وجهه ضرباً اهتزت له مشاعر الشعب وحرس المدينة. وأوقفهم أنطونينس (Antonin) نظراً للاحترام الذي كان يكنه له، ونظراً لخوفه من عواقب هذه الجريمة، وكان يرتدي وقتئذ لباسه العسكري ؛ ثم خلع عليه معطفه،

---

[1]- حسب سبارتيان وهيروديان، فإن أنطونينس أتى إلى مجلس الشيوخ لابسا درعه ومحاطا بكل جنده، وكأنه على رأس حملة عسكرية؛ راجع:

Spartien, Vie de Geta, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 9.

[2]- راجع نص الخطاب الذي ألقاه في مجلس الشيوخ في كتاب هيروديان:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 10 ; Spartien, Vie de Caracalla, 2-3 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- عن أسباب قتل ببينيانوس، راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aurelius Victor, *Des Césars*, XX, 33.

فلقد طلب كركلا من ببينيانوس أن يكتب له نصا يبرر فيه مقتل جيطا، غير أن ببينيانوس أجابه قائلا:" الإقدام على قتل الأخ أسهل من تبريره".

[4]- إنزال عقوبة الإعدام باستعمال الفأس كانت تعتبر عند الرومان عقوبة شائنة.

وخاطب الجند قائلا : « لا تهينوا أبي[1]، لا تضربوا واليّ». أما التريبيون والجنود الذين تم بعثهم معه، فإنهم قتلوا بدعوى المؤامرة، ولكنهم أعدموا في الواقع لأنهم لم يتمكنوا من قتل كيلون (Cilon).

5- وكان أنطونينس (Antonin) يحب كيلون (Cilon) حباً كثيراً إلى درجة أنه كان يقول : « التآمر عليه كالتآمر علي». وعندما قرظ الحاضرون كلامه هذا، أضاف قائلاً : « لا تطلقوا علي اسم هرقل (Hercule)، ولا اسم أي إله آخر». ولا يعني هذا أنه لم يكن ينوي قط أن يسمى إلهاً، ولكنه لم يكن يريد أن يأتي أموراً تليق بالآلهة. وكانت كل تصرفاته كتصرفات مجنون بطبعه، فكان يخص بعض الأشخاص بأسمى التشريفات، ثم يهينهم على الفور بدون سبب ؛ وكان يعفو على بعض الناس ويتركهم على قيد الحياة، بيد أنهم لا يستحقون ذلك أبداً، مهما كان السبب، وكان يعاقب أولئك الذين لم يكن يتوقع أي أحد أنهم سيعاقبون. وكان يوليوس أسبير (Julius Asper) من وجهاء القوم، ويتميز بثقافته وسمو أخلاقه؛ فبعد أن رقاه وأولاده في مراتب الشرف، وشوهد وهو يمشي بأبهة محاطاً بعلامات الجاه، أهين شر إهانة، وطرد إلى وطنه وهو يتلقى الشتائم، وقد استولى عليه ذعر شديد. وكان يفكر في تحقير ليتوس (Lætus) إن لم يفكر في قتله، لولا إصابة ليتوس (Lætus) هذا بمرض عضال. ووصف أمام الجند هذا المرض بالجريمة، لأنه حال بينه وبين ارتكاب جريمة قتل ليتوس (Lætus). وقتل بريسكوس طراسياس (Priscus Thraséas) الذي كان يتميز بشرف نسبه وعلمه. كما قتل أيضاً عدة أشخاص كانوا فيما مضى أصحابه.

6- ولن أذكرهم جميعاً، كما لن أذكر أسماء عدد كبير من مشاهير الرجال الذين قتلهم بدون محاكمة[2]. ولقد أعطى ديون (Dion) لائحة بأسماء الضحايا نظراً لأنهم كانوا معروفين جداً في عصره، أما أنا فسأكتفي بقولي أنه قتل كل من شاء، سواء كان مذنباً أو بريئاً، وأنه بتر روما بحرمانها من فضلاء الناس. ثم صرف بعد ذلك النظر عن القتل

---

[1]- غالبا ما كان الأباطرة الرومان يطلقون اسم الأب على والي روما ونائب الولاية، وكذا على كبار الحكام. فكومود مثلا أطلقه على يوليانوس (راجع : *تاريخ ديون*، LXXII، 14)، وهو ما يبدو أن أنطونينس قد فعله مع كيلون الذي كان واليه.

[2]- راجع :

Spartien, Vie de Caracalla, 3 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 11.

ليستغرق في اللهو، دون أن يكف عن التقتيل. ويمكن اعتبار قتله للفيل والكركدن والببر وحمار الوحش في المدرج شيئاً تافهاً لأنه كان يحب أن يرى سفك دماء أكبر عدد ممكن من المجالدين. ولقد أجبر أحدهم على المصارعة، وكان يسمى بطون (Baton) الذي تصارع في اليوم نفسه ضد ثلاثة خصوم، الواحد بعد الآخر، وبعدما قُتل تحت ضربات ثالث المجالدين، خصه أنطونينس (Antonin) بمراسم دفن رائعة.

7- وكان شغوفاً بالأسكندر[1] (Alexandre) شغفاً بلغ إلى حد استعماله بعض الأسلحة وبعض الأقداح وكأنها كانت في ملك ذاك الأمير ؛ وعلاوة على ذلك، فلقد أقام له عدة تماثيل في المعسكر، بل وحتى في روما (Rome) ؛ وكون فيلقاً بلغ عدد جنده ستة عشر ألفاً، كلهم مقدونيون (Macédoniens)، وسماه فيلق الأسكندر[2] (la phalange d'Alexandre)، ثم جهزه بالأسلحة التي كانت متداولة في عصر ذاك الأمير، والمكونة من خوذة مصنوعة من إهاب الثور الخام، ودرع ثُلِّثت أنسجته الكتانية، وتُرس برونزي، ورمح طويل، وحربة قصيرة، ونعل وسيف. ولم يكفه كل ذلك، فسمى نفسه أغسطس الشرق (l'Auguste d'Orient) ؛ بل وكتب ذات يوم إلى مجلس الشيوخ يقول لهم إن روح الأسكندر حلت من جديد في جسد الأغسطسي[3] (l'Auguste) حتى تجد فيه حياة جديدة وطويلة، لأن حياته الأولى كانت قصيرة الأمد. وكان يمقت الفلاسفة المسمين بالأرسطوطاليسيين (les Aristotéliens) مقتاً كبيراً، حتى أنه كان يريد حرق كتب مُعلمهم، وألغى مأدبتهم في الأسكندرية (Alexandrie) وكذا الامتيازات الأخرى التي

---

[1]- حسب سبارتيان، فإن كركلا لم يكن يتحدث إلا عن الأسكندر الأكبر المقدوني وأعماله البطولية، وكان يتباهى بمضاهاته. وحسب هيروديان، فإن كركلا أصيب بهذا الجنون خاصة بعد مغادرته لضفاف الدانوب بعد إعادة تنظيم جيشه، وتوجهه إلى طراقيا ومقدونيا؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 13.

[2]- كان نيرون قد كون فيلقا مكونا من جنود إيطاليين، غير أن فيلقه هذا لم يكن مكونا إلا من فرقة جند واحدة، أي من ستة آلاف جندي، بينما كان فيلق المقدونيين القديم يتكون من 16000 جندي. ويضيف هيروديان أن كل قواد الفيلق كانوا قد أُمروا باتخاذ أسماء جنرالات الأسكندر؛ راجع:

Suétone, *Vie des Douze Césars*, 19, 4 : « Il préparait une expédition militaire vers les portes Caspiennes et il avait levé une nouvelle légion de recrues italiennes, composée d'hommes de six pieds, qu'il appelait la phalange d'Alexandre le Grand. »; Tite-Live, *Histoire Romaine*, XXXIII, 4 ; XXXVII, 40; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 13.

[3]- أنطونينس يسمي نفسه بلقبه أغسطس. ويروي هيروديان كيف أنه رأى، علاوة على صور الأسكندر وتماثيله التي وضعت في كل مكان، رسوما سخيفة تمثل جسدا واحدا بوجهين، وجه أنطونينس والأسكندر معا؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 13.

كانوا يتمتعون بها[1]، وآخذهم من بين ما آخذهم عليه، ما أشيع عن أرسطوطاليس (Aristote) بخصوص مشاركته في قتل الأسكندر[2] (Alexandre). هكذا كان تصرفه، وبالإضافة إلى ذلك، أقسم بيوبتير (Jupiter) أن فكرة راودته بخصوص قود عدد كبير من الفيلة، حتى يقلد بعمله هذا الأسكندر (Alexandre)، أو بالأحرى باخوس[3] (Bacchus).

8- ولقد ولد فيه إكرامه للأسكندر حباً كبيراً للمقدونيين (les Macédoniens)، إلى درجة أنه ذات يوم، أثنى على قائد (تريبيون) عسكري مقدوني وقد أعجبته الخفة التي امتطى بها الفرس، وسأله في البداية: « من أين أنت؟ » ؛ ثم لما علم بأن هذا الضابط من مقدونيا (la Macédoine)، سأله قائلا: « ما اسمك ؟ »، ثم لما سمع من فمه أنه يسمى أنتيغون (Antigone)، أضاف قائلا: « كيف كان يسمى أبوك ؟ »، ولما سمع أن هذا الأب كان يسمى فليب (Philippe)، قال: « هذا كل ما كنت أرغب فيه» ؛ ثم رقى هذا التريبيون على الفور إلى رتبة عسكرية أسمى، وبعد ذلك بقليل، عينه في رتبة السيناتوسيين الذين سبق أن تقلدوا منصب الحاكم الشرعي الروماني. وفي مرة أخرى، كان أمامه شخص آخر لا علاقة له بمقدونيا البتة، ومتابع في عدة جرائم، فقدم من أجلها إلى الإمبراطور ليحاكمه على ارتكابها. وكان خصمه في هذه المحاكمة خطيباً لم يكف عن تكرار: « هذا الأسكندر (Alexandre) القاتل، هذا الأسكندر (Alexandre) عدو الآلهة»، نظراً لأن المتهم كان يسمى الأسكندر(Alexandre). فاغتاظ أنطونينس (Antonin) لأجل ذلك وكأن الشتائم كانت موجهة إليه شخصياً، ثم صرخ قائلاً : « إذا لم ينجك الأسكندر (Alexandre)، فأنت هالك».

9- ولم يكن أنطونينس (Antonin)، هذا المعجب بالأسكندر(Alexandre)، يتردد في الإنفاق بلا حساب، كلما تعلق الأمر بجنوده ؛ أما الناس الآخرون، وخاصة السيناتوسيون منهم، فلم يكن يهتم بهم إلا لسلبهم أموالهم والسطو على ممتلكاتهم ومضايقتهم. فبغض النظر عن الأكاليل الذهبية التي كان يأمر بها في كل لحظة، وكأنه لم يكف عن إحراز

---

[1]- يتعلق الأمر بتقليد رسخه ملوك مصر الأوائل، وحافظ عليه الأباطرة الرومان، وكان يقضي بإطعام العلماء على اختلاف مشاربهم في متحف الأسكندرية، وذلك على نفقة الدولة، كما كان هؤلاء العلماء يستفيدون من مرافق الحياة الأخرى. فهذه هي الامتيازات التي حرم منها أنطونينس في البداية أتباع أرسطو، ثم حرم الجميع منها بعد ذلك؛ راجع: *تاريخ ديون*، LXXVII، 23.

[2]- يروى أن الأسكندر في آخر حياته لم يعد راضيا عن أرسطو، بسبب دفاع هذا الأخير عن حفيده كليسطين (Callisthène)؛ ويزعم أن الفيلسوف كان شريكا لأنتيباطير (Antipater) في سمه للأسكندر.

[3]- كان بخوس (Bacchus) في غزوه للهند قد استولى على الفيلة خاصة كغنيمة.

الانتصار تلو الانتصار ؛ ولا أتحدث هنا فقط عن الأكاليل التي تم صنعها، والتي لا أهمية لها في الواقع بالمقارنة مع المبالغ المالية الهائلة التي جرت العادة أن تؤديها المدن للأباطرة تحت اسم الذهب الإكليلي ؛ كنا نُطالَب من كل جهة بدفع كميات كبيرة من المؤن، ندفعها تارة مجاناً، وتارة تفرض علينا مصاريفها، وهي المؤن التي كان يوزعها عن آخرها على الجند كأعطيات، أو كان يبيعها لهم وكأنه صاحب حانة. وكان يطالب أثرياء الناس والشعوب بالهدايا، كما فرض الضرائب، الجديدة منها، وكذا ضريبة العشر التي عوضت ضريبة جزء عشرين التي فرضها على إعتاق العبيد والتركات والهبات كيفما كانت، عن طريق إلغاء الميراث بلا وصية، وإلغاء الامتيازات التي كانت تمنح في هذه الظروف لأقارب المتوفَّون، (ولذلك منحت المواطنة الرومانية لكل سكان الإمبراطورية، وكان ذلك في الظاهر لتشريفهم، ولكن المواطنة منحت لهم في الواقع حتى يتمكن الإمبراطور من عائدات أكثر، نظراً لأن الأجانب كانوا مُعفَوْن من معظم هذه الضرائب). وزيادة على كل هذا، كنا مجبرين، كلما غادر روما، وعلى نفقاتنا، على أن نهيئ له منازل من طرز مختلفة، وإقامات فاخرة ليخلد فيها للراحة، كانت تتوسط الطرق، حتى القصيرة منها، وذلك في أماكن لم يتوقف فيها أبداً، بل وحتى في بعض الأماكن التي لم يكن ليراها قط خلال سفره. وبالإضافة إلى هذا، كنا نشيد المدرجات ومباني السيرك أينما كان يقضي، أو يفكر في قضاء فصل الشتاء، دون أن يعوضنا أي تعويض يذكر. وكانت هذه المباني تهدم حالاً بعد بنائها، وكان همه الوحيد في كل ذلك إفقارنا.

10– أما هو، فكان ينفق أموالاً باهظة على الجند، كما سبق وأن قلنا، وكذا على الحيوانات والخيول ؛ لأنه قتل عدداً كبيراً من الحيوانات، الضارية منها والأليفة، وهي الحيوانات التي كنا مجبرين على تزويده بمعظمها، وكان هو يشتري بعضها. ولقد قتل بيده ذات يوم مائة ربّ دفعة واحدة. وكان يقود أيضاً العربات مرتدياً اللباس الأخضر. وكان يتقد حماساً، وطائشاً في كل تصرفاته ؛ وكان علاوة على ذلك قد ورث ختل أمه والسوريين les (Syriens)، وكانت أمه قد ازدادت في بلد هؤلاء. وكان يكلف بإدارة الألعاب إما أحد معتقيه، أو أشخاص أغنياء آخرين، حتى يتمكن في هذا الميدان أيضا من الإنفاق. وكان يحييهم بسوطه من أسفل السيرك حيث كان يوجد، ويطالبهم بنقود من الذهب وكأنه

أذل الحوذية[1]. وكان يقول بأنه لما يقود العربات، فإنه يقلد الشمس، وكان يتباهى بقيادة العربات. ولقد نهبت كل البلاد التي كانت خاضعة لسلطته طوال مدة ملكه نهباً شديداً، إلى درجة أنه ذات يوم، خلال ألعاب السيرك، صرخ الرومان بين ما صرخوا به : « سنقتل الأحياء لنتمكن من دفن الموتى». وكان يردد فعلا في كل وقت : « ليس لأحد سواي الحق في امتلاك المال، حتى أنعم به على الجند». ولقد آخذته يوليا (Julia) ذات يوم على جزل عطائه للجند، قائلة له : « لم يعد لدينا أي دخل، مشروعاً كان أو غير مشروع». فأجابها وهو يشير إلى سيفه قائلا: « طبي نفساً أماه، طالما لدينا هذا، لن يعوزنا المال».

11- إلا أنه كان يعطي لمتملقيه الأراضي والأموال. ومنح ليونيوس بولينوس (Junius Paulinus) مائتين وخمسين ألف دراخمة، لأن هذا الشخص المعروف بطبعه التهكمي كان يسخر، دون أن يشعر، من الأمير ؛ فبالفعل، لقد قال بولينوس (Paulinus) إن الإمبراطور يشبه [الإله] بان (Pan) غضباناً، نظرا لأنه كان يتصنع في طلعته حتى يبدو وجهه دائماً مغتاظاً. ولم يكن أنطونينس (Antonin) يهتم بالعلوم، ولم يتعلم ولو واحداً منها، كما كان يعترف بذلك بنفسه، وبالتالي فلم يكن يعيرنا كبير اهتمام، نحن الذين كنا منكبين على الدراسة. وكان سيفير (Sévère) قد دربه، بلا استثناء، على كل التمارين الجسدية والذهنية حتى يشب على الفضيلة، إلى درجة أنه لما أصبح إمبراطوراً، كان يناقش الأساتذة، ويهتم بالفلسفة معظم نهاره ؛ ويمارس المصارعة دون أن يتدهن بالدهان[2]، ويقطع ممتطياً جواده مسافة سبعمائة وخمسين غلوة. وعلاوة على ذلك، كان قد تدرب على السباحة في البحر الهائج. ولقد ازدادت على هذا النحو قوته، لكن فيما يخص العلوم، فلقد نسيها عن آخرها وكأنه لم يسمع باسمها قط. غير أنه لم تكن تعوزه الدقة في التعبير والتفكير، وكان يتميز بحضور الذهن وسلاسة اللفظ ؛ وغالباً ما كان يصيب الهدف بصورة موفقة خلال حديثه، بالرغم من العجلة التي كانت تدفعه للتعبير بحرية عن كل الأشياء التي تتبادر إلى ذهنه، بدون تمييز، كما لم يكن يحرج عندما يعيى في المنطق. ولقد ارتكب نفس الأمير عدة

---

[1]- كان الحوذية المنتصرون في المسابقات يطلبون من المتفرجين نقودا من صنف (*aurei*)، دون أن يتعدوا خمس قطع؛ وقد فعل إليجبل (Elégabale) الشيء نفسه، راجع : *تاريخ ديون*، LXXIX، 14؛
Juvénal, *Satire* VII, Trad. Henri Clouard : « Ah, répond-on, c'est ton affaire ; et au bout de l'année, reçois autant d'or que le peuple en réclame pour le vainqueur d'un seul combat dans le cirque. »

[2]- عملية الدهن بالزيت هذه كانت تسمى "الدهن بدون استعمال الماء"، بمعنى أن الشخص يدهن جسمه بالزيت دون أن يستحم فيما بعد؛ وكانت تدخل في إطار نمط العيش العسكري الذي كان يمنع الاستحمام على العسكر.

أخطاء، لأنه لم يكن يستشير إلا نفسه، وكان يريد أن يعرف ليس فقط كل شيء، بل ويعرف بمفرده، وكان يزعم أنه وحده قادر على كل شيء؛ وبالتالي فإنه لم يكن يشاور أي أحد في أموره، وكان يحسد أولئك الذين كانت لهم خبرة ما مفيدة. ولم يحب أي أحد أبداً، وكان يضمر الضغينة لأولئك الذين اشتهروا بشيء ما، وخاصة لأولئك الذين كان يتظاهر بحبهم أكثر من غيرهم، وقتل منهم الكثير، بطرق مختلفة. فبعضهم قتل علناً، والبعض الآخر أرسل إلى ولايات لم يلائم مناخها طبيعتهم، بل عكس ذلك، ضرها. وكان بعثهم إلى هذه الولايات في الظاهر تشريفاً لهم، غير أنه قُضي على بعضهم فيها بسبب الحر، وعلى البعض الآخر بسبب البرد القارس الذي كان يتلذذ بتعريضهم له. وأولئك الذين كان يمتنع عن قتلهم، كان يعذبهم بحيث كانت أجسادهم مثخنة بالجراح.

12- هكذا كان عموما طبع هذا الأمير، وسأذكر الآن سلوكه خلال الحرب. فلقد غدر بأوغاروس[1] (Augaros)، ملك الأورسوينين (les Orsoéniens)، بعد أن حمله على المجيء للقياه كصديق، إذ ألقى القبض عليه وزج به في السجن، ثم استولى على أورسوبينيا (l'Orsoène) التي لم يبق لها ملك. أما ملك أرمينيا (l'Arménie) الذي كان في خلاف مع أولاده[2]، فإنه استدعاه هو الآخر عن طريق رسائل ودية، بدعوى إحلال الوئام بينهم، ثم عامله كما عامل أوغاروس (Augaros) من قبله. غير أن الأرمينيين (les Arméniens) عوض أن ينحازوا إلى حزبه، هبوا لحمل السلاح، ولم يعد أي أحد منهم يثق به أدنى ثقة، بحيث علمته التجربة أن غدر الإمبراطور بأصدقائه يسيء إلى سمعته أيما إساءة. ولم يتردد أيضاً

---

[1]- حسب هيروديان، فإن أوغاروس كان قد تخلى عن مناصرة نيجر، والتحق بصفوف سيفير ثم سلمه أولاده كرهائن دليلا على وفائه، وأرسل إليه نبّالته لدعمه، وهو ما يفسر تخصيص سيفير له بعد ذلك في روما استقبالا رائعا، كما يشير إلى ذلك ديون فيما بعد: راجع *تاريخ ديون*، LXXIX، 16؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 27.

[2]- يتعلق الأمر بساناتروس (Sanatruce) الذي كان، حسب هيروديان، صديقا لسيفير وللرومان. وأولاده هم: فولوجيس الثالث (Vologèse III) ملك الفارثيين (les Parthes) الذي كان سيفير قد أقطعه جزءا من أرمينيا حتى يحصل على السلم؛ وأرطابنوس (Artabanos) الذي كان ينافس فولوجيس على العرش، وهو ما تحقق له بعد موت هذا الأخير؛ وتيردات (Tiridate) الذي كان قد التحق بصفوف سيفير ضد فولوجيس؛ وأخيرا أرساس (Arsace) الذي كان أخوه أرطابنوس قد عينه ملكا على أرمينيا. وكان هناك شقاق بين ساناتروس وأبنائه، كما كان هؤلاء بدورهم في خلاف مع بعضهم البعض. فساناتروس وتيردات كانا حليفين لروما، بينما كان فولوجيس وأرطابنوس بعده يطمعون في أرمينيا. فلقد قدم ساناتروس مع زوجه إلى روما وهو واثق في صداقة أنطونينس، ثم فُعل به ما فعل. وتخلى تيردات عن الرومان فيما بعد، ثم هرب ليلتحق بأخيه فولوجيس الذي طالبه أنطونينس بتسليمه؛ راجع :

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 27;

تاريخ ديون، LXXV، 9؛ LXXVIII، 26؛ LXXVII، 19.

في الكتابة إلى مجلس الشيوخ بخصوص ملوك الفارثيين (les Parthes) الذين كانوا إخوة شاقّوا بعضهم البعض، وأن شقاق هؤلاء الإخوة قد يتسبب لمملكة الفارثيين (les Parthes) في عظائم الأمور ؛ وكأن في هذا الشقاق – الذي من شأنه أن يتسبب في زوال دولة بارباربة – يكمن خلاص الإمبراطورية الرومانية؛ تلك الإمبراطورية التي خربها عن آخرها، ليس فقط بسبب الأموال الطائلة التي أنعم بها على الجند، على حساب المواطنين، بمناسبة قتل أخيه، بل وأيضاً باختلاقه عدداً كبيراً من التهم الباطلة ضد أولئك الذين كانوا قد كاتبوه أو بعثوا إليه بهدايا، إما عندما لم يكن بعد إلا قيصراً (César)، وإما بعد أن أصبح إمبراطوراً ؛ كما ألصق هذه التهم بسائر الناس الذين لم تربطهم به أي علاقة أبداً. وكان يكفي للمرء أن يكتب اسم جيطا (Géta) في وثيقة، أو ينطق به فقط، ليلقى حتفه على الفور. فكفّ الشعراء والحال هذه عن ذكر اسمه في مسرحياتهم، وصودرت أملاك كل أولئك الذين ورد هذا الاسم في وصاياهم. وكان أنطونينس (Antonin) يفعل عدة أمور للحصول على المال. وأظهر البغض لأخيه الراحل بإلغائه الألعاب التي كانت تقام للاحتفال بعيد ميلاده، وغضب حتى على الأحجار التي نصبت فوقها تماثيله، وأمر بصهر كل القطع النقدية التي مثلت عليها صورته. كل هذا لم يكفه، إذ كان يفضل ذلك اليوم على غيره لارتكاب أفظع الجرائم، ولإجبار الآخرين على اقتراف جرائم القتل، وكأنه كان يريد بذلك أن يقيم الذبائح كل سنة للترحم على روح أخيه.

13– إلا أنه خلال الحرب، وكلما اقتضت الضرورة ذلك، كان يعيش عيشة بسيطة متقشفة، ويتحمل مشاق الخدمات المنهكة وكأنه جندي من الجنود، وكان يمشي ويجري معهم، دون أن يستحم[1] أو يغير ملابسه، وكان يشاركهم في كل أعمالهم، ولم يكن يتناول طعاماً آخر غير الطعام الذي كانوا يتناولونه[2] ؛ وغالباً ما كان يدعو للقتال الفردي أشد مقاتلي الأعداء. غير أنه لم يكن يقوم بواجبات الجنرال على أحسن وجه، وهي الواجبات التي كان عليه بالأحرى أن يكرس لها كل جهده، وكأن الانتصار في المعارك كان يتوقف على الخدمات التي كان يؤديها مع الجند، وليس على المهارة في القيادة العسكرية. وكانت

[1]– كان الاستحمام بالماء الساخن مقتصرا على الجنود المرضى، أما الآخرون، فلم يكن لهم الحق في ذلك، إلا عندما يتم التساهل في النظام العسكري.

[2]- Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.,* Livre IV, 12.
إنه لم يكن يفعل ذلك إلا عند الضرورة، أو للتباهي، لأنه في الواقع كان شرها إلى الطعام، راجع الفصل 18 من هذا الكتاب.

الأفكار والأعمال المرتبطة بقتل أخيه حاضرة في ذهنه، وتجعله يبتهج بشقاق الإخوة البارابار، وكأن هذا الشقاق سينزل بالفارثيين (les Parthes) فاجعة عظمى. غير أن الشعوب الجرمانية لم تمكنه من الفرح ولا من فرصة يبرز فيها دهاءه وبسالته ؛ بل إنها، عكس ذلك، أظهرت أنه لم يكن إلا خدّاعاً وأبله وجباناً. وخلال حملة على الألمان (les Alamans)، كلما كان أنطونينس (Antonin) يرى مكاناً صالحاً لأن يسكن، لم يكن يتوقف عن ترديد الأمر التالي : « فلتبن في هذا المكان قلعة، فلتشيد فيه مدينة». ولقد أطلق أيضاً على بعض الأماكن أسماء اشتقت من أسمائه، دون أن يعارضه في ذلك سكان البلد، نظراً لأن البعض كان يجهل هذا التغيير، والبعض الآخر كان يعتقد أن الإمبراطور يمزح. وكان يحتقرهم كل الاحتقار نظراً لصبرهم هذا، وسلط عليهم شرّه، وعامل كأعدى أعدائه أولئك الذين زعم أنه أتى ليغيثهم. وهكذا استدعى شبابهم بدعوى إلحاقهم بصفوف فرق الجنود المرتزقة، ثم أمر بتطويقهم عن آخرهم بعد أن أعطى الإشارة برفعه درعه، فأهلكهم، وأسر البقية على يد الفرسان الذين تم بعثهم في كل الاتجاهات. وفي كتاب إلى مجلس الشيوخ، أثنى أنطونينس (Antonin) على بنديون (Pandion) الذي كان قد خدم الحوذية في البداية، ثم قاد بعد ذلك عربته خلال الحرب ضد الألمان (les Alamans)، وأصبح صاحبه ورفيقه في السلاح، وزعم أنه أنقذه من خطر تعرض له. ولم يكن يخجل من إغداق المنن عليه أكثر مما كان يفعل مع الجند الذين كان يفضلهم علينا دائماً. وكان أنطونينس (Antonin) يأمر برمي جثث مشاهير المواطنين الذين قتلهم، ويحرمهم بذلك من الدفن. وبحث عن تمثال سيلا[1] (Sylla) بهدف ترميمه، وبنى ضريحاً تذكارياً لميسوميد[2] (Mésomède) الذي كان قد دون العلامات الموسيقية للكنارة. ولقد كرمهما بهذا الشكل لأن أحدهما كان يلقن الغناء على نغمات الكنارة، والآخر لأن أنطونينس (Antonin) كان يقلد وحشيته.

---

[1]– حسب هيروديان، كان أنطونينس معجبا بسيلا (Sylla) وهنيبال (Hannibal) ويفضلهما على كل الجنرالات الآخرين، ولقد نصب لهما التماثيل؛ راجع:

Hérodien, Histoire romaine, op. cit., Livre IV, 13.

وحسب سبارتيان، فإنه كان يعلن دائما في مناشيره وخطبه أنه يريد أن يصبح سيلا (Sylla) آخر؛ وعندما كان يقوم خطيبا في الجند، أو لما يصلهم بصلاته في ريتيا (la Rhétie)، فإنه كان يعاملهم وكأنهم جند سيلا؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 4-5; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]– شاعر غنائي كان يعيش في عصر أنطونينس التقي، حسب كبيتولان؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie d'Antonin le Pieux, VII ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

14- وحارب السينيين (les Cenni)، وهم شعب سلتي، يقال إن محاربيه كانوا يشنون هجمات عنيفة على الرومان، وأنهم كانوا ينتزعون بأسنانهم النصال التي رشق بها الأوسروينيين (les Osroéniens) أجسادهم، حتى لا تكف أذرعهم عن قتل الرومان أبداً. وبالرغم من ذلك، وبعد أن تظاهروا من جهتهم بهزيمة أدى لهم ثمناً غالياً مقابلاً لها، سمحوا له بالعودة إلى جرمانيا (la Germanie). وكانت نساؤهم اللائي وقعن في أسر الرومان قد اخترن القتل لما خيرهن أنطونينس (Antonin) بينه وبين الاسترقاق. إلا أنهن لما بُعن، انتحرن عن آخرهن، وبعضهن أقدم على قتل أولاده. وكانت عدة شعوب تسكن شواطئ الأوقيانوس (l'Océan)، في نواحي مصب الإلب (l'Elbe)، قد بعثت سفراءها لتخطب وده حتى تتلقى منه المال، لأن السيرة التي كان يسيرها دفعت عدداً كبيراً من الشعوب إلى مهاجمته وتهديده بالحرب، وبالتالي كان يتصالح مع الجميع. وبالرغم من أنه كان يخاطبهم بكلام لا يروقهم، فإن رؤية الذهب كانت تستعبدهم، لأن هذا الذهب الذي كان يعطيهم إياه كان خالصاً. أما الرومان، فإنه لم يكن يعطيهم إلا ذهباً وفضة رديئين. فبالفعل، لقد سك نقوداً من الرصاص المفضض والنحاس المذهب.

15- وكان الأمير نفسه يكشف علناً عن بعض أفعاله المخزية وكأنها أفعال جميلة تستحق المدح، ويكشف عن أفعاله الأخرى متخذاً احتياطاته كما فعل عندما ضرب النقود. لقد نهب أنطونينس (Antonin) العالم بأسره، براً وبحراً، ولم ينج أي مكان من ضرره. وتسببت أعمال سحر الأعداء في حمقه وجنونه. فبالفعل، لما اطلع الألمان (les Alamans) على حاله، اعترفوا بأنهم سحروه حتى يخبل. وكان مريضاً في جسده، ومصاباً بعلات، بعضها ظاهر، وبعضها خفي ؛ وكان أيضاً مريضاً عقلياً، تعذبه الأشباح المخيفة التي تلوح له ؛ وغالباً ما كان يخيل إليه أن أباه وأخاه يطاردانه وهما يقبضان بيديهما سيفاً. ولذلك استحضر من بين ما استحضره من أرواح، حتى ينشرح صدره، روح أبيه، وروح كومود (Commode) ؛ ولم يستجب له إلا ثانيهما ؛ أما جيطا (Géta) الذي لم يستحضر روحه، فإنه كما قيل، سار سيرة أبيه. ولم ينطو جواب كومود (Commode) على فائدة تذكر، بل عكس ذلك، إنه ملأه رعباً لما خاطبه قائلاً : « تمسك بالعدل الذي تطالبك الآلهة به بخصوص سيفير (Sévère) » ؛ وفي جواب آخر، أنهى كلامه قائلاً : « أنت الذي يوجد في عورتك مرض صعب

علاجه». ولقد سببت إذاعة هذه الأجوبة في اتهام عدة مواطنين بتهم مختلفة. أما هو، فلم يستجب له أي إله لإبراء جسده أو عقله، بالرغم من كونه توجه بالدعاء إلى كل مشاهير الآلهة. وهذا ما يدل دلالة واضحة على أنها لم تكن تهتم بقرابينه وذبائحه، بقدر ما كانت تهتم بأفكاره وأفعاله. فبالفعل، بالرغم من كل صلواته وكل الليالي التي قضاها في معابد أبولون غرانّوس (Apollon Grannus) وأسكيلاب (Esculape) وسينابيس (Sénapis)، فإن هذه الآلهة لم تجده نفعاً. ولقد أرسل إليها من بعيد العهود والأضاحي والقرابين ؛ وكل يوم، كان العديد من الرسل يعدون في اتجاه المعابد حاملين أشياء من هذا القبيل ؛ وقصدها بنفسه معتقداً أن حضوره الشخصي سيكون له تأثير ما، وأدى فيها كل الفرائض الواجبة على العابدين، لكنه لم يتمكن من استرجاع عافيته.

16- وبالرغم من كونه كان يدعي أنه أتقى خلق الله، فإنه ارتكب أعمالاً في غاية الوحشية بقتله أربع فستاليات (Vestales)، اغتصب قبل ذلك إحداهن، في الوقت الذي كان ما زال قادراً على ذلك ؛ فلقد خارت قواه فيما بعد، ولم يعد يحس بمتعة جماع النساء. وكان ذلك سبباً، كما يقال، لإتيانه فحشاء من نوع آخر، كما فعل آخرون لتقليده. ولم يكتف هؤلاء بالاعتراف بممارستهم لهذه الأمور، بل إنهم زعموا أنهم يفعلون ذلك من أجل خلاص الأمير. وكانت الفستالية التي أتحدث عنها تسمى كلوديا لايطا (Clodia Læta)، وبالرغم من أنها كانت تردد صرخاتها قائلة: « أنطونينس (Antonin) بنفسه يعلم أني عذراء، وأني عفيفة»، فإنها وُئدت. وشاركتها ثلاث فستاليات أخريات العذاب نفسه، اثنتين منهن هلكتا بنفس الطريقة، وهما أوريليا سيفيرا (Aurélia Sévéra) وبومبونيا روفينا (Pomponia Rufina)، أما كنوتيا كريسينتينا (Canutia Crescentina)، فإنها رمت بنفسها من أعلى الدار. وكان ينزل بالزناة نفس العقاب، ويبغض ويقتل، خلافاً للشرع[1]، أولئك الذين اتهموا باقتراف هذا الجرم ؛ بينما كان هو أكثر الناس زنى، لمّا كانت رجولته تسمح له بذلك. وبما أن كل الناس الخيرين كانوا متضايقين منه، فإنه تظاهر بتكريم بعض ممن كان قد قضى منهم. وكان فارس شاب قد حمل معه إلى ماخور قطعة نقد مثلت عليها صورة الإمبراطور، فألقي عليه القبض على التو، وسجن حتى يعذب، غير أنه بعد ذلك، لما مات أنطونينس (Antonin)، أطلق سراحه. ووصل أنطونينس (Antonin) إلى تراقيا (la Thrace)، دون أن يهتم بداسيا

[1]- لم يكن القانون الروماني ينزل عقوبة الإعدام بالزناة.

(la Dacie)، وبعد أن عبر البحر الأسود (l'Hellespont)، معرضاً نفسه للخطر[1]، كرم آخيل (Achille) وتقرب إليه بذبائح مأتمية، وشارك جنده وهم يحملون السلاح في الطواف حول ضريحه على شكل سباق. وفي هذه المناسبة، أنعم على فرق جيشه بالمال، وكأنها أحرزت نصراً مبيناً وفتحت فعلا طروادة (Ilion) القديمة، وأقام تمثالاً من البرونز لآخيل (Achille).

17- ولم يكن يقضي بين الخصوم إلا نادراً، أو لم يكن يقضي بينهم على الإطلاق؛ وفي معظم الوقت، كان ينصرف إلى أشغاله وفضوله. وكان الواشون يتقاطرون عليه من كل حدب وصوب، ويسعون بالناس عنده، ويبلغونه توافه الأمور ؛ وبالتالي منع على أي كان عقاب الجنود الذين كانوا مكلفين بالتصنت على الأبواب ومراقبة الناس، وكان له الحق وحده في عقابهم. وازدادت الأوضاع بذلك سوءا لأنهم أصبحوا بالنسبة إلينا طغاة. ولكن غاية الخزي والشين بالنسبة للسيناتو والشعب الروماني، هي أن يتحكم فينا جميعاً خصي إسباني الأصل يسمى سمبرونيوس روفوس (Sempronius Rufus)، وكانت أخلاقه أخلاق الراشين والسحرة، ولهذا السبب، سجنه سيفير (Sévère) في جزيرة، وكان ينبغي أن ينال جزاءه، كباقي الوشاة. أما الإمبراطور، فكان يخبرنا، جرياً على عادته، أنه عند الفجر، سيقضي بين الخصوم، أو سيتفرغ لسياسة أمور الدولة، ويتركنا ننتظر إلى ما بعد الظهر، وغالباً حتى المساء، من غير أن يستقبلنا حتى في ردهة قصره، ونحن واقفون جميعاً في مكان ما. وارتأى بعد ذلك أنه من الأنسب أن لا نُستقبل للسلام عليه أبداً. وفي غضون ذلك كان يقوم، كما سبق أن قلت، بأعمال تافهة، ويقود العربات، ويذبح الحيوانات، ويتصارع كمجالد، ويشرب الكأس حتى الثمالة، ويمزج الخمر في أباريق لتوزع على جنده بالإضافة إلى الطعام، وهم الجند الذين كانوا مكلفين بحراسته داخل القصر ؛ وكان يرسل لهم أقداحاً من هذا الخمر الممزوج بحضرتنا وأمام أعيننا ؛ وبعد ذلك، كان يقضي بين الخصوم أحياناً.

18- هكذا قضى فصل الشتاء في نيكوميديا (Nicomédie)، وعلاوة على ذلك، أمر الكتيبة المقدونية (Macédonienne) بالقيام بتداريب. ويقصد الحرب ضد الأرمينيين (les Arméniens) والفارثيين (les Parthes)، أمر بصنع آلتي حرب ضخمتين قابلتين للتفكيك، حتى يتم نقلهما إلى سوريا (la Syrie) على متن السفن. ولقد اقترف جرائم القتل، واتخذ إجراءات

[1]- أوشكت سفينته على الغرق، وكاد يلقى حتفه لولا قائد الأسطول الذي هب لنجدته بمركب آخر حسب: Spartien, Vie de Caracalla, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

غير قانونية، وبذّر الأموال. ولم يكن ينصت، بخصوص هذه التصرفات، ولا في مناسبات أخرى، للنصائح العديدة والنيرة التي كانت تسديها إليه أمه، بالرغم من كونه كلفها بسجلاته ورسائله، الإغريقية واللاتينية، باستثناء الرئيسية منها. وفي الكتب التي كان يكتبها لمجلس الشيوخ، كان يضع اسم هذه الإمبراطورة مع مدحها إلى جانب اسمه واسم الجيش، ليخبرنا بأنه يتمتع بصحة جيدة. وهل من الضروري أن نقول إنها كانت تستقبل رسمياً، كالإمبراطور، علية المواطنين للسلام عليها ؟ ولكن بالرغم من ذلك، فإن ولوعها بالفلسفة كان شديداً. أما هو، فكان عكس ذلك، يردد أنه لا يحتاج إلا للضروري. وكان يتباهى بذلك زاعماً أنه قادر على أن يكتفي بطريقة العيش الأكثر تقشفاً ؛ غير أنه ليس هناك شيء فوق الأرض، أو في البحر، أو في الجو، لم نقدمه له باسمنا الخاص وباسم الدولة. وكان ينفق القليل من هذه الخيرات على الأصحاب الذين كانوا يحيطون به، لأنه لم يعد يريد استقبالنا على مائدته ؛ ومعظمها كان يستهلكه صحبة معتقيه. ولقد أحب السحرة والمشعوذين حباً شديداً دفعه إلى الثناء على أبولونيوس الكابادوسي[1](Apollonius de Cappadoce) وتكريمه ؛ وكان أبولونيوس هذا قد تألق نجمه في عهد دوميتيانوس (Domitien)، وكان ساحراً ومشعوذاً بكل معنى الكلمة، وبنى له مزاراً.

19– وكانت ذريعة الحرب خلال هذه الحملة على الفارثيين (les Parthes)، تكمن في رفض فولوبايوس (Vologèse) تسليم تيريدات[2] (Tiridate) وأحداً يدعى أنتيوكوس (Antiochos) للإمبراطور، بالرغم من إلحاحه على ذلك. وكان أنتيوكوس (Antiochos)، الذي فر إلى العدو، من سيليسيا (la Cilicie)، وتظاهر في بداية عهده بتدريس الفلسفة الكلبية، وهو ما أهله خلال الحرب لتقديم عدة مساعدات للجنود الذين أصابهم اليأس من جراء البرد الذي أقرسهم، فانقلب يأسهم أملاً بعد أن رأوه يرتمي فوق الثلج ويتمرغ فيه، وهو ما دفع سيفير (Sévère) و أنطونينس (Antonin) بعده للإنعام عليه بالهدايا وتكريمه، الشيء الذي جعله يمتلئ عجباً، فقرر والحال هذه الالتحاق بصفوف تيريدات (Tiridate) والانضواء معه تحت لواء ملك الفارثيين (les Parthes). وقبل مغادرة نيكوميديا (Nicomédie)، نظم أنطونينس (Antonin) صراعاً للمجالدين بمناسبة عيد ميلاده، لأنه حتى في هذا اليوم، لم يكن يمسك

---

[1]– يتعلق الأمر بأبولونيوس التياني (Apollonius de Tyane) الشهير الذي خصه فيلوسطراط (Philostrate) بترجمة.

[2]– أخا فولوبايوس (Vologèse)؛ راجع الفصل 12 من هذا الكتاب، ص. 130، الهامش : 2.

عن إراقة الدماء. ويقال إنه خلال هذا الصراع، طلب منه مجالد مهزوم أن يتركه على قيد الحياة[1]، فأجابه أنطونينس (Antonin) قائلا : « اطلب ذلك من خصمك، أما أنا، فلا يجوز لي أن أعفو عنك». هكذا قضى هذا البئيس الذي ربما لو أنه لم يتكلم، لعفا عنه خصمه وتركه على قيد الحياة ؛ إلا أن أنطونينس (Antonin) المصارع لم يفعل ذلك خشية أن يبدو أرأف من الإمبراطور.

20– وبالرغم من هذا التصرف، وبالرغم من أنه كان موجوداً في أنطاكيا (Antioche)، غارقاً في الملذات إلى درجة أنه حلق ذقنه[2]، فإنه كان يزعم أنه كلّ وأنه معرض للخطر. وراسل مجلس الشيوخ مؤاخذاً إياه ومتهما أعضاءه بالاستسلام للراحة وعدم اجتهادهم لعقد الاجتماعات، وعدم تصويتهم كل على حدة. وذهب إلى حد مراسلتهم كاتباً : « إني أعرف أنكم متضايقون من أعمالي البطولية، وبالتالي فإن لي من السلاح والجند ما يجعلني لا أبالي بالشائعات التي تشاع حولي». ولقد فضح أنطونينس (Antonin) نفسه لما قال إنه تمكن، بفضل الحيلة، من التغلب على جرأة السلتيين (les Celtes) وجشعهم وغدرهم ؛ وهو الشعب الذي يستحيل قهره بالقوة. وهو الذي أثنى على فبريكيوس لوسكينوس (Fabricius Luscinus) لأنه أبى قتل بيروس (Pyrrhus) بسبب خيانة صاحبه، وافتخر بإفساد العلاقات بين الوندال (les Vandales) والماركومانيين (les Marcomans) الذين كانوا فيما مضى أصدقاء، ويقتل غيبوماروس (Gaïobomaros) ملك الكوادیين (les Quades) الذي اتهم أمام محكمته ؛ وتباهى كذلك بما جرى لأحد رفاق هذا الأمير الذي كان قد اتهم بدوره، ثم خنق نفسه قبل محاكمته، فأمر أنطونينس (Antonin) الباربار بطعن جثته عدة طعنات حتى يوهم الناس بأنه مات مقتولاً ولم ينتحر، لأن الانتحار كان يعتبر عملاً مشرفاً بالنسبة لهذا الشعب. وسيق كيكيليوس أيميليانوس (Cæcilius Æmilianus) – الذي كان والي البيتيك – (la Bétique) إلى التعذيب لأنه استشار وسيط وحي هرقل[3] (Hercule).

21– ولقد ارتعب الفارثي (le Parthe) ثم سلّم تيريدات (Tiridate) وأنتيوكوس (Antiochos)، فأوقف أنطونينس (Antonin) حملته على الفور. غير أنه لما بعث

---

[1]– كان بإمكان المجالدين المنهزمين أن ينزلوا سلاحهم ويلتمسوا متوسلين الرحمة من الشعب، بل حتى من الإمبراطور؛ وكان للشعب والإمبراطور الحق في العفو عنهم وإطلاق سبيلهم.

[2]– منذ أدريان (Adrien)، (*تاريخ ديون*، LXVIII، 15)، كان الأباطرة الرومان يطلقون لحاهم.

[3]– كان لهرقل في قادس معبدا شهيرا حيث كانت تُرى شجرة زيتون ذهبية كانت ثمارها من الزَمرّد؛ راجع:
Philostrate, *Vie d'Apollonius de Tyane*, livre V, 4 ; Strabon, *Géographie*, III, 1, 4 ; III, 5, 5.

تيوكريطوس (Théocritos) على رأس جيش لمحاربة الأرمينيين (les Arméniens)، هزمه هذا الشعب وأحبط مساعيه إحباطاً. وكان تيوكريطوس (Théocritos) هذا ابن عبد رقص منذ صباه على خشبة المسرح، وقد بلغ شأواً عظيماً في بلاط أنطونينس (Antonin)، إلى درجة أن سلطة نائبي الولاية أصبحت لا شيء أمام سلطانه. وضاهاه قيصري (un Césarien) آخر، إيباغطوس[1] (Epagathos)، في سلطانه ووقاحته. وكان همّ تيوكريطوس (Théocritos) الوحيد هو الإثراء الفاحش والاتجار غير المشروع، ولهذا السبب ولأسباب أخرى قتل عدة مواطنين، وكان من بين ضحاياه فلافيوس تيتيانوس (Flavius Titianus). وكان تيتيانوس (Titianus) هذا قد أهانه فعلاً لما كان والياً في الأسكندرية (Alexandrie)، فوثب تيوكريطوس (Théocritos) من مقعده نحوه شاهراً سيفه، وهو ما جعل تيتيانوس (Titianus) يقول: « هكذا يفعل الراقصون[2]». فجرح هذا الكلام تيوكريطوس (Théocritos) في الصميم، فما كان إلا أن أعطى الأمر بقتل الساخر منه.

22- وبالرغم من أن أنطونينس (Antonin) كان يدعي أن حبه للأسكندر لا يعادله حب، فإنه كاد أن يهلك حرث الأسكندريين ونسلهم عن آخره، لأنه لما علم أنهم ينتقدونه[3] ويتهمونه بعدة جرائم، وخاصة بقتل أخيه، توجه إلى الأسكندرية (Alexandrie) كاظماً غيضه ومتظاهراً بكونه يريد المقام بين ظهرانيهم. لكنه عندما اقترب من المدينة، استقبل بحرارة وجهاء المواطنين الذين قدموا للسلام عليه، حتى أنه جالسهم حول مائدته، وكانوا يحملون بعض الأشياء التي لها دلالة غامضة والتي تخص عبادتهم، ثم قتلهم. وأمر بعد ذلك كل جيشه بأخذ السلاح، ثم انقض على المدينة بعد أن أمر جميع سكانها بالمكوث في بيوتهم ؛ واحتل قبل أن يبدأ هجومه كل الشوارع وسطوح المنازل. ولقد أخفى تفاصيل هذه الرزيئة التي أصابت سكان هذه المدينة الشقية، كل بدوره. وكاد أن يفنيهم بتقتيله إلى درجة أنه لم يجرؤ على الاعتراف بعدد ضحايا هذا التقتيل، وراسل مجلس الشيوخ قائلاً أن عدد القتلى

---

[1]- أراد مكران، بعد هزيمته، استعمال هذا المعتق لبعث ابنه إلى أرطبنوس، ملك الفارثيين؛ (راجع : *تاريخ ديون*، LXXVIII، 39)؛ وكان ألكسندر سيفير قد ساقه للتعذيب (راجع : *تاريخ ديون*، LXXX، 2).

[2]- كان الراقصون يحملون عصيا مقوسة أو سيوفا؛ راجع:

Plutarque, ***Oeuvres morales, Sur l'éducation des enfants,*** **4.**

[3]- حول طبع الأسكندريين الساخر، راجع : *تاريخ ديون*، LXVI، 8 ؛ وانظر:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre IV, 16.**

وقيمتهم لا أهمية لها، نظراً لأنهم كلهم كانوا يستحقون هذا المصير[1]. ولقد نُهب جزء من أموالهم، وأُتلف الجزء الآخر.

23- وهلك مع السكان عدة أجانب وبعض الأفراد من حاشية أنطونينس (Antonin) الذين قتلوا عن غير عمد، لأنه لم يتم التعرف عليهم، فالحاضرة كانت كبيرة والتقتيل لم يكف فيها لا في الليل ولا في النهار. ولم يكن هناك أي أحد قادراً، وإن كان ذا إرادة حسنة، على التمييز بين الناس، فكان المرء يُقتل حسب حظه بخصوص من سيلتقيه ؛ وكانت الجثث ترمى على الفور في حفر عميقة حتى يُخفي عن أنظار الآخرين هول المصيبة. هذا ما عاناه سكان الحاضرة، أما الأجانب، فإنهم طُردوا عن آخرهم، باستثناء التجار الذين، وهذا أمر بديهي، نهبت أموالهم أيضاً ؛ وبلغ الأمر إلى حد سلب متاع عدة معابد. وكان أنطونينس (Antonin) يترأس بنفسه ويسهر على تنفيذ معظم هذه العمليات، وكانت هناك عمليات أخرى أمر بتنفيذها من معبد سيرابيس (Sérapis)، لأنه كان يقيم بداخله حتى خلال الليالي والأنهر التي سفكت فيها الدماء. ولكن ما جدوى ذكر هذا الحدث الأخير ونحن نعلم أنه تجرأ على تكريس السيف الذي قتل به أخاه للإله[2] ؟ وألغى منذ ذلك الوقت الألعاب ومأدبة الأسكندريين[3]، وأمر بأن تقسم الأسكندرية (Alexandrie) إلى قسمين، وأن تشيد بداخلها الحصون حتى يُرهب المواطنون وتراقب اتصالات بعضهم بالبعض. كانت تلك المعاملة التي عامل بها الوحش الأوسوني (Ausonien) الأسكندرية (Alexandrie) الشقية ؛ وكان الإله قد أطلق عليه هذا الاسم في نهاية جوابه، وهو جواب، يقال إنه كان يعجبه نظراً لأنه كان يتباهى بأن يسمى وحشاً ؛ وهو ما لم يمنعه من قتل عدة أشخاص بذريعة أنهم أشاعوا هذا الجواب الإلهي.

---

[1]- تختلف رواية هيروديان وسبارتيان عن رواية ديون الذي كان بصحبة الإمبراطور خلال مقامه في الإسكندرية، وبالتالي فإنه كان شاهد عيان على ما حدث في هذه المدينة؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 15-17 ; Spartien, Vie de Caracalla, 6; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- سبق كركلا (Caracalla) في هذا التصرف كل من كليغولا (Caius Caligula) الذي بعث إلى روما، بعد مصرع ليبيدوس (Lépidus)، ثلاثة خناجر حتى تكرس للإله مارس المنتقم (Mars Vengeur)؛ راجع : *تاريخ ديون*، LIX، 22؛ ونيرون (Néron) الذي كرس بدوره خنجره ليوبتير (Jupiter) المنتقم بعد أن نجا من مؤامرة بيزون (Pison)؛ راجع:
Tacite, *Annales*, XV, 74 ; Suétone, *Caligula*, 24 ;
وفيتيليوس (Vitellius) الذي كرس للإله مارس (Mars) الخنجر الذي انتحر به أوطون (Othon)؛ راجع:
Suétone, *Vitellius*, 10.

[3]- انظر الفصل السابع من هذا الكتاب، والهامش 1، ص. 127.

24- وهو الذي حدد بالنسبة للجند قيمة المكافآت العسكرية، فأولئك الذين كانوا منضوين تحت لواء الحرس الإمبراطوري حددت مكافأتهم في حوالي ألف ومائتين وخمسين دراخمة، والآخرون في خمسة آلاف.

فهذا الأمير الحكيم، كما كان يدعي ذلك، وهذا الرقيب على خلاعة الآخرين، كان يبدو مغتاظاً كلما تعلق الأمر بفعل وقح في غاية الخزي والشناعة، لكن بما أنه لم يكن ينزل العقاب الذي تستحقه خطورة هذا الفعل، وبسماحه للشباب أن يأتوا أموراً لم يجرؤ أحد بعد على فعلها، فإنه ضرّهم ضرراً كبيراً لأنهم قلدوا والحال هذه حركات الخليلات والبهاليل.

وخلال الألعاب الكولينية (Culéniens)، لحق عار مخز ليس أولئك الذين كانوا يشاركون ببعض العروض التقليدية فحسب، بل حتى أولئك الذين كانوا مشاهدين فقط.

الكتاب الثامن والسبعون

1- وقاد أنطونينس (Antonin) بعد ذلك جيشه لمحاربة الفارثيين[1] (les Parthes)، وكانت ذريعته في ذلك أن أرطبنوس[2] (Artabanos) رفض أن يزوجه ابنته التي كان أنطونينس (Antonin) قد طلب يدها[3]. وكان أرطبنوس (Artabanos) هذا يعرف فعلاً أن قصد الإمبراطور في الظاهر هو أن يتزوج بابنته، ولكنه في الواقع كان يهدف إلى الاستيلاء على مملكة الفارثيين (les Parthes). وخرب أنطونينس (Antonin) جزءاً كبيرا من المنطقة التي تحيط بميديا (la Médie) ؛ ونظراً لمباغتة هجومه، فإنه هدم الأسوار، واستولى على أربيل (Arbèles)، ونبش قبور الملوك الفارثيين (les Parthes)، ثم نثّر عظامهم، لأن الفارثيين (les Parthes) تجاهلوه ولم يشتبكوا معه ؛ وبالتالي فليس لي ما أحكيه بشكل خاص، فيما يتعلق بأحداث ذلك الوقت، اللهم ما وقع لجنديين كانا قد سرقا زقاً من الخمر، واختصما عليه لأن كل واحد منهما كان يريد الاحتفاظ لنفسه بالغنيمة، فاحتكما إلى أنطونينس (Antonin) ليقضي بينهما. ولما أمر الإمبراطور باقتسام الخمر، استلا سيفيهما وشطرا القربة حتى يحتفظ كل واحد منهما بأحد شطريها ونصف خمرها. هكذا كان بالفعل احترامهما لإمبراطورهما الذي كانا يزعجانه بنزاعات كهاته ؛ وهكذا كان غباؤهما بحيث أنهما فقدا الزق والخمر معاً. وانسحب البابار إذاً إلى الجبال فيما وراء دجلة (le Tigre) حتى يستعدوا للدفاع عن أنفسهم. وأخفى أنطونينس (Antonin) هذا الانسحاب، وتباهى بكونه قضى نهائياً على أولئك الذين لم يرهم قط ؛ وفضلاً عن ذلك، زعم فيما كتبه أن أسداً نزل فجأة من جبل وقاتل إلى جانبه.

---

[1]- كان كركلا ينوي الهجوم على الفارثيين لما كان فولوبايوس ما زال على قيد الحياة، وذلك لأن تيردات وأنتيوكوس كانا قد حالفا الفارثيين، (*تاريخ ديون*، LXXVII، 19) ؛ لكن تسليم هذين الخائنين ثناه عن عزمه (*تاريخ ديون*، LXXXVII، 21).

[2]- راجع بخصوص الملوك الفارثيين: *تاريخ ديون*، LXXVII، 12، وص. 130، الهامش2.

[3]- تختلف رواية هيروديان عن رواية ديون بعض الشيء، بحيث ورد في نص هيروديان أن ملك الفارثيين رفض في البداية طلب أنطونينس، لكن هذا الأخير أغراه فيما بعد بصلاته وأقسامه، فقبل مصاهرته واستقبله استقبالا رائعا في بلده. فاستغل أنطونينس هذه المناسبة ليهجم عليه بغتة ويخرب بلده؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 18-21 ; Spartien, Vie de Caracalla, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

2- ولم يكن يتجاهل أعراف وقوانين بلده خلال المناسبات الأخرى فقط، بل كان يتجاهلها حتى خلال حملاته العسكرية. [...] الحقيقة لأني قرأت الكتاب الذي ألفه في هذا الموضوع[1]. وكان يتوقى من جميع السيناتوسيين، إلى درجة أنه كان يقبض على عبيد العديد منهم وهم متظلّمين، وقبض أيضاً على معتقيهم وأُلاّفهم واستنطقهم تحت التعذيب، ليعرف من يعزه منهم ومن يبغضه. وكان يعرف، كما كان يقول، حب أو كراهية وجهاء المواطنين الذين كانوا يحيطون به، بالنظر إلى أشكال بروج السماء التي ازدادوا خلالها والتي قررت بالتالي مصاير معظمهم، إذ ارتقى بسبب ذلك بعضهم في مراتِب الشرف، وقتل البعض الآخر.

3- ولقد اغتاظ الفارثيون (les Parthes) والميديون (les Mèdes) من المعاملة السيئة التي كانوا يعاملون بها، فجمعوا جيشاً جراراً ؛ فهال هذا الأمر أنطونينس (Antonin) الذي إن كان شديد اللهجة في تهديده، وجسوراً في ظاهره، فإنه كان في الواقع جباناً في القتال، وواهناً لا يتحمل المشاق. ولم يعد يحتمل الحرارة وحمل السلاح إلى درجة أنه كان يرتدي قمصاناً بأكمام، فصلت على شكل درع حتى يظهر وكأنه يحمل سلاحاً دون تحمل عبئه، وحتى لا يجرؤ أي أحد على التآمر عليه، ويُنظر إليه بإعجاب. وغالبا ما كان يلبس هذا النوع من القمصان وإن لم يكن الوقت وقت حرب. كما كان يرتدي (كُلاميداً) (chlamyde) [معطف قصير مشقوق من الأمام ومعقود فوق الكتف] كان لونه تارة أرجوانياً، وتارة يتوسطه خط مستطيل أبيض، وأحياناً شاهدته لابسا (كُلاميداً) أبيض يتوسطه خط مستطيل أرجواني. وبالفعل، فلما كان يقيم في سوريا (la Syrie) وبلاد الرافدين (la Mésopotamie)، لبس ملابس السلتيين[2] (les Celtes)، واحتذى بأحذيتهم. ولقد ابتدع لباساً بارباري التفصيل، يتكون من قطع ثوب خيطت على شكل سترة خشنة[3]، غالباً ما كان يرتديها – وهو سبب تلقيبه بكركلوس[4]

---

[1]- يتعلق الأمر بتعاليق أنطونينس التي بعثها مكران فيما بعد، مع رسائله، إلى السيناتو، وذلك حتى يُبغضه في عيون الرومان.

[2]- حتى ينال رضا الشعوب التي يحل بينها، غالبا ما كان أنطونينس يتزيا بأزيائهم؛ راجع:
Hérodien, Histoire romaine, op. cit., Livre IV, 12.

[3]- يتعلق الأمر باللباس الذي كان الرومان يسمونه (*lacerna*)، وهي عبارة عن حُلّة مستطيلة الشكل وطويلة، وأقل فضفضة بكثير من الحلة الحقيقية، وكانت تشد على الصدر بواسطة إبزيم. وكانت تستعمل كمعطف عسكري خلال القرون الأولى من تاريخ روما، وعوّضت غالبا الحلة في عهد الأباطرة، وذلك منذ عصر أغسطس.

[4]- Aurelius Victor, *Épitomé,* XXI. Aur. Antonin Caracalla : « Comme il avait rapporté de la Gaule plusieurs sortes d'habillements, introduit à Rome les casaques ou caracacalles traînantes, et forcé

(Caracallus)– وأمر الجنود خاصة بارتدائها. ولما رأى البابار تصرف أنطونينس (Antonin) هذا، وبلغهم أن جنده متوتّرو الأعصاب بسبب الميوعة التي استسلموا لها فيما قبل؛ (وكانوا، بين ما فعلوه، يقضون فصل الشتاء في بيوت الناس، ويستهلكون أقوات مضيفيهم وكأنها أقواتهم)، وشعروا بأن التعب والبؤس الحالي أنهكا الأجساد وحطما المعنويات، وعلِموا أن هذا الجيش أصبح غير مبال بالأعطيات الكثيرة التي كان يتلقاها من الإمبراطور في كل حين[1]، فتشجعوا وأصبحوا واثقين من أنهم سيجدون في هذا الجيش حلفاء وليس أعداء، .[...]

4– وكان أنطونينس (Antonin) كذلك يستعد للحرب[2]، غير أنه لم يتمكن من شنها لأنه قُتل وسط الجند الذين كان يقدرهم أيما تقدير، وكان يثق فيهم كل الثقة. وكان عراف في إفريقيا (Afrique) قد تكهن باعتلاء مكران (Macrin)، نائب الولاية[3]، وابنه ديادومينيانوس (Diadumènianus) كرسي الإمبراطورية. وأشيع هذا التكهن في الشعب، فبُعث على إثر ذلك العراف إلى فلافيوس مطيرنيانوس[4] (Flavius Maternianus) الذي كان يرأس آنذاك في روما (Rome) جنود المدينة، وكشف له عن المؤامرة ؛ فكتب مطيرنيانوس (Maternianus) إلى أنطونينس (Antonin) على الفور كتاباً يخبره فيه بذلك. وشاءت الأقدار أن لا يصل الكتاب مباشرة إلى أنطونينس (Antonin)، بل بُعث إلى يوليا (Julia) [أم الإمبراطور] التي كانت في

---

le peuple à venir le saluer dans ce nouveau costume, on lui en appliqua le nom, et il fut surnommé Caracalla. » ; Spartien, Vie de Caracalla, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[1]– عملاً بنصيحة الأب: " وقبل وفاته، يروى أنه قال لولديه (...):« عيشا في وفاق مع بعضكما، وأغنيا الجنود، واحتقرا كل الآخرين»"؛ راجع: تاريخ ديون، LXXVI، 15.

[2]– كان الفارثيون والميديون يستعدون للثأر من الإهانة التي أهانهم بها أنطونينس؛ راجع الفصل السابق.

[3]– وهو تكهن يعكس ما نطق به ببينيانوس قبل مصرعه، حيث قال أن الذي سيخلفه في منصبه سيكون سخيفا لو لم ينتقم لشرف منصب نواب الولاية الذي أُذل في شخصه؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]– حسب هيروديان، فإن أنطونينس الذي كانت تخامره الشكوك، والذي دأب على استطلاع آراء المنجمين، كاتب مطيرنيانوس الذي كان قد كلفه بشؤونه الخاصة في روما بصفته أوفى أصحابه، وكاتم أسراره، وطالبه بجمع دهاقنة العرافين ليتكهنوا بأمد حياته وبالمؤامرات التي كانت تحاك ضده؛ فأبلغ مطيرنيانوس عن مكران؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 23.

أنطاكيا[1] (Antioche)، لأنها كانت مكلفة بفرز كل الرسائل حتى لا تزعج الأمير بإرسالها إليه وهو مشغول في بلاد العدو. إلا أن رسالة أخرى وصلت مباشرة إلى مكران (Macrin)، وقد حملها إليه بريد آخر، وكان مُرسلها هو أولبيوس يوليانوس (Ulpius Julianus) الذي كان يشرف آنذاك على إحصاء السكان، وهي الرسالة التي أطلعه من خلالها على ما كان يجري؛ بحيث تأخرت الرسالة التي بُعثت إلى الإمبراطور، بينما تمكن مكران (Macrin) من قراءة الرسالة التي بُعثت إليه قبل أن يُخبر الإمبراطور. فخشي مكران (Macrin) أن يقتله الإمبراطور بسبب التكهن المذكور، وأيضا لأن مصرياً يسمى سيرابيون (Sérapion) كان قد قال مخاطباً أنطونينس (Antonin)، قبل ذلك ببضعة أيام، أنه لن يعيش لمدة طويلة، وأن مكران (Macrin) سيخلفه ؛ فلم يؤجل هذا الأخير والحال هذه ما كان ينوي فعله. أما سيرابيون (Sérapion)، فلقد رُمي به إلى أسد لم يمسه، واكتفى الرجل، كما قيل، بمد يده نحو الأسد ؛ ثم قُتل بعد ذلك بالرغم من زعمه أنه كان بإمكانه أن يفلت من هذا العذاب أيضاً بتوسله إلى بعض الآلهة، لو أنه عاش يوما آخر فقط.

5- أما مكران (Macrin) فلم يتعرض لأي أذى، لكنه عجّل لأنه كان يعرف أنه هالك، وخاصة أن أنطونينس (Antonin) كان قد استبعد، فجأة، عشية يوم ميلاده[2]، صديقين مقربين له، الواحد بذريعة ما، والثاني بذريعة أخرى، وكأنه يريد تكريمهما. [...]. وكان مكران (Macrin) مقتنعاً بأن ما كان يحدث قضاء وقدر، ولقّب على إثر ذلك بلقب. وحاك بعد ذلك مؤامرة، دبرها مع تريبونيين من الحرس الإمبراطوري، وهما الأخوان أوريليوس نيميسيانوس (Aurélius Némésianus) وأوريليوس أبوليناريس[3] (Aurélius Apollinaris)، وكان معهما يوليوس مرسياليس[4]

---

[1]- كانت أنطاكية الواقعة على ضفاف نهر العاصي مقام الأباطرة الاعتيادي في المشرق، وهي مكان سعادة تصله أخبار روما بسهولة. وكانت يوليا موجودة فيها خلال هذا الوقت:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 26.

وكان أنطونينس آنذاك في مشتى معسكره، في إديسا (Edessa)، من حيث كان سينطلق في اتجاه حران (Carrhes) ليحتفل بأعياد الإله قمر (dieu Lune). وقُتل في الطريق؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- ازداد أنطونينس يوم سادس أبريل، حسب سبارتيان؛ انظر:

Spartien, Vie de Caracalla, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

أو رابع أبريل عام 969 من التقويم الروماني، حسب ديون (الفصل السادس من هذا الكتاب).

[3]- عن ظروف هذه المؤامرة، راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 6; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- لا يتحدث هيروديان في هذه المؤامرة إلا عن مرسياليس، ويسميه بضابط فرقة حرس أنطونينس؛ وكان هذا الشخص، حسب هيروديان، غاضبا على الإمبراطور الذي قتل أخاه، والذي كان يصفه بالجبان وبصاحب مكران.

(Julius Martialis) الذي كان يؤدي خدمته في صفوف الجند القدامى، والذي كان غاضباً على أنطونينس (Antonin) نظراً لرفض هذا الأخير ترقيته إلى درجة قائد مائة. ولقد دبرت المؤامرة على الشكل التالي: في ثامن أبريل، غادر أنطونينس (Antonin) إديسا (Edessa) متوجهاً إلى حران[1] (Carrhes)، وخلال سفره، نزل من حصانه لقضاء حاجة، فاقترب منه مرسياليس (Martialis) وكأنه يريد أن يكلمه، وطعنه بخنجر صغير، ثم لاذ بالفرار على الفور[2]. ولولا احتفاظه بالسلاح الذي ارتكب به جريمته عوض رميه، لما افتضح أمره ؛ ثم طعنه برمحه أحد السكوثيين (les Scythes) الذين كانوا يرافقون أنطونينس (Antonin). وهب التريبونيان لنجدة الإمبراطور، وكانت تلك ذريعة لقتله. ولم يكن السكوثي (le Scythe) المذكور يرافق الأمير بصفته حليفاً فقط، بل وأيضاً بصفته مكلفاً بحراسته.

6- وبالفعل، كان أنطونينس (Antonin) قد أعطى السلاح للسكوثيين(les Scythes) وللسلتيين (les Celtes)، الأحرار منهم والعبيد، وكان قد فرق بينهم وبين أطفالهم ونسائهم، وقربهم إلى شخصه، ووثق بهم أكثر من ثقته بالجند. وكان يرقيهم بمنحهم درجات قائد مائة، ويسميهم بالليوث. وغالباً ما كان يمنح مقابلات للسفراء الذين ترسلهم الأمم الأجنبية ؛ وباستثناء التراجمة، لا يحضر هذه المقابلات إلا هؤلاء الحراس. وكانت التعليمات التي أعطاها لهم، في حالة ما إذا أصابه مكروه، تقضي بالهجوم على روما (Rome) التي، حسب رأيه، يعتبر الاستيلاء عليها أمراً هيناً. وحتى لا يتسرب هذا الخبر بيننا، كان يقتل التراجمة فور انتهائهم من نقل كلامه إلى حراسه. وبالرغم من احتياطه هذا، علمنا بعد ذلك شيئاً آخر على لسان الباربار أنفسهم، وعلى لسان مكران (Macrin)، فيما يتعلق بمسألة السموم؛ لأن أنطونينس (Antonin) كان، إما عن طريق المصادرة أو الشراء في أوساط سكان آسيا العليا (la Haute-Asie)، قد جمع منها كمية هائلة، كثيرة أنواعها، أنفق عليها

---

[1]- توجه أنطونينس إلى حران لزيارة معبد الإله قمر؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 7; *in* : *Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- راجع:

Aurelius Victor, *Épitomé,* Aur. Antonin Caracalla XXI, 7: « Sur la route de Carres, arrivé près d'Edessa, au moment où il passait à l'écart pour satisfaire un besoin naturel, il fut tué par un soldat qui le suivait comme pour veiller à sa garde. Il vécut prés de trente ans. On rapporta son corps à Rome. »

ويختلف المؤرخون الآخرون مع أورليوس فيكتور فيما يخص سن أنطونينس عند مقتله، بحيث كان سنه آنذاك، حسب سبارتيان، 43 عاما، وحكم خلال ستة أعوام؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

ما قدره سبعة ملايين وخمسمائة وخمسين ألف دراخمة، وذلك بهدف تسميم أكثر ما يمكنه من الأشخاص، خفية، وبطرق مختلفة. ولما عُثر بعد ذلك على هذه السموم في القصر، تم إحراقها كلها. وفي تلك الأثناء، كان الجنود غاضبين على هذا الوضع المسيء، وكان من بين أسباب غضبهم أيضاً، تفضيل البابار عليهم؛ فانقلب ودهم للأمير كرهاً ؛ ولما حيكت المؤامرة ضده، لم ينجدوه. هكذا هلك أنطونينس (Antonin)، ولقد عاش تسعة وعشرين سنة وأربعة أيام، (وكان مولده يوم رابع أبريل)، ودام ملكه ستة أعوام وشهرين ويومين.

7- وبرواية أحداث هذه الفترة من تاريخي، تتدافع في ذهني أحداث أخرى أثارت استغرابي. ففي الوقت الذي كان سيغادر فيه أنطاكيا (Antioche) لآخر مرة، رأى أباه في المنام وهو يمسك بسيف ويخاطبه قائلا : « كما قتلت أخاك سأقتلك». وكان العرافون قد نبهوه حتى يأخذ حذره من هذا اليوم، مستعملين بدون مواربة التعبير التالي : « أبواب كبد القربان مغلوقة». وبعد هذا التحذير، مر عبر باب دون أن يلتفت إلى أي شيء، ولم يبال حتى بالأسد – الذي كان يسميه أكيناكيس (Acinacès) (السيف الأحدب)، وكان رفيقه على المائدة وفي الفراش – لما حاول إيقافه عند خروجه، فمزق لباسه. وكان أنطونينس (Antonin) يطعم عدة أسود آخرين، وكان يوجد دائماً من حوله بعض منها، غير أنه كان يُقبِّل الأسد المذكور، وغالباً ما فعل ذلك أمام الملأ. هذا ما حدث، وبالإضافة إلى ذلك، وقبل موته ببعض الوقت، كان الحريق الذي شب في الأسكندرية (Alexandrie)، كما سمعت رواية ذلك، قد انتشر بقوة في كل أرجاء معبد سيرابيس (Sérapis)، ولكنه لم يلحق أي ضرر بالأشياء التي كانت بداخله، باستثناء السيف الذي قتل به الإمبراطور أخاه. ولما خمدت النار بعد ذلك، تلألأت عدة نجوم في السماء. وفي روما، اتخذ جني صفة إنسان، وقاد حماراً إلى الكابتول (le Capitole)، وبعد ذلك قاده إلى القصر، باحثاً، حسب قوله، عن صاحب الدابة، ومضيفاً أن هذا الشخص قد هلك، وأن يوبتر (Jupiter) هو الذي يحكم. ولما ألقي عليه القبض نظراً لفعله هذا، ثم بعثه مطيرنيانوس[1] (Maternianus) إلى أنطونينس (Antonin)، قال له : « سأذهب، كما تأمرني بذلك، ولكني لن أصل إلى الإمبراطور الحالي، بل إلى إمبراطور آخر» ؛ ثم لما وصل إلى كبوا (Capoue)، اختفى عن الأنظار.

[1]- قائد القوات العسكرية التي كانت حاضرة في روما؛ راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

8- ولقد وقع هذا الحدث وهو ما زال على قيد الحياة. وخلال ألعاب السيرك التي نظمت على شرف مُلك سيفير (Sévère)، هوى تمثال مارس (Mars) الذي كان يُحمل بكل إجلال، لكن هذا الحدث هو الأقل أهمية فيما وقع، والحدث الأكثر أهمية يتجلى في كون أفراد فريق الزُّرق[1] (les Bleus) رأوا بعد هزيمتهم قيقاً كان يحدث أصواتاً شديدة مفزعة، فوجهوا كلهم أنظارهم إليه، ثم صاحوا جميعاً على الفور : « السلام عليك مرسياليس (Martialis) ؛ لم نرك من زمن بعيد يا مرسياليس (Martialis) ». ولقد قالوا ذلك ليس لأن القيق كان يسمى بذلك الاسم، بل نطقوا بذلك الكلام وكأنه أوحي إليهم به، وكانوا يسلمون في الواقع بواسطة هذا الطير على مرسياليس (Martialis) قاتل أنطونينس (Antonin). ويبدو أن أنطونينس (Antonin) بنفسه قد أخبر بعض الخاصة بنهايته قائلا في آخر رسالة كتبها لمجلس الشيوخ : « كفوا عن التمني بأن يدوم ملكي مائة عام». وكان هذا الهتاف يكرر بالفعل دائما منذ أن أصبح إمبراطوراً ؛ وكانت تلك أول وآخر مرة استنكر فيها ذلك، مؤاخذاً بالقول السيناتوسيين على تمنيهم المستحيل، ومعلناً في الواقع أن ملكه وشيك الزوال. وبما أن بعض الأشخاص كان قد تطير من هذا الحظر في أحد الأيام، ذكرني ذلك أيضاً بما حدث في نيكوميديا (Nicomédie) خلال المأدبة التي استدعانا إليها بمناسبة أعياد زحل (les Saturnales). فبعد التحدث عن عدة مواضيع تُطرق عادة حول المائدة، قمنا، فناداني الإمبراطور لأدنو منه وقال لي : « لقد قال أوريبيدس[2] (Euripide) يا ديون (Dion) ببيان وصدق معاً، إن « الأقدار تتصرف بأشكال مختلفة، وتفعل الآلهة عدة أشياء خلافاً لما كان مأمولاً، وإن الأمور التي ننتظر وقوعها لا تقع ؛ ولكن الإله يشق الطريق لما ليس في الحسبان. وما وقع مؤخراً لخير

---

[1]- رأينا أن أنطونينس كان من أنصار فريق الخضر الذي كان خصما لفريق الزرق؛ راجع : *تاريخ ديون*، LXXVII، 10.

[2]- وردت أبيات أوريبيدس هذه، مع اختلافات طفيفة، في نهاية ثلاث مسرحيات، وهي *هيلين*، الأبيات: 1688-1692، *وأندروماك*، الأبيات: 1284-1288، *والباخوسيات*: الأبيات: 1388-1392:

Hélène, **vers : 1688- 1692 : « LE CHOEUR. Les destinées se manifestent sous bien des formes différentes; les dieux accomplissent beaucoup de choses contre notre attente, et celles que nous attendions n'arrivent pas mais dieu fraie la voie aux événements imprévus. Ce qui vient de se passer en est une preuve éclatante. »**

Andromaque, **vers : 1284-1288 : « CHOEUR. Les destinées se manifestent sous bien des formes différentes; les dieux accomplissent beaucoup de choses contre notre attente, et celles que nous attendions n'arrivent pas; mais Dieu fraie la voie aux événements imprévus. Ce qui vient de se passer en est une preuve éclatante. »**

Les Bacchantes, **vers : 1388-1392 : « CHOEUR. Innombrables sont les manifestations de la volonté divine; innombrables aussi les événements qu'ils accomplissent contre notre attente. Ceux que nous attendions ne se réalisent pas ; ceux qu'on n'attendait pas, un dieu leur fraye la voie. Tel a été le dénouement de ce drame. »**

دليل على ذلك». وفي تلك اللحظة، بدا الاستشهاد بكلام أوريبيدس (Euripide) استشهاداً ساذجاً لا قيمة له ؛ لكن، بما أنه قُتل بعد ذلك بقليل، وأن كلامه هذا كان آخر كلام كلّف نفسه بتوجيهه إلي، ساد الاعتقاد بأنه تنبأ بما كان سيقع له، شأنه شأن يوبتر (Jupiter) الملقب ببيلوس[1] (Bélus) والذي يعبد في أفاميا[2] (Apamée) بسوريا. فبالفعل، لقد وجه هذا الإله الكلام التالي لسيفير (Sévère) وهو ما زال شخصاً عادياً : « شبيهاً فيما يخص العينين والرأس بيوبتر (Jupiter) الذي يطيب له أن يسمع صوت الصاعقة، وبمارس (Mars) فيما يخص الخَصر، وبنيبتون (Neptune) فيما يخص الصدر »[3]. وبعد ذلك، لما أصبح سيفير (Sévère) إمبراطوراً، فإنه كلمه كالتالي:

« عائلتك بأجمعها ستسبح في الدم»[4].

9- ولقد أحرقت جثة أنطونينس (Antonin)، ونقل رمادها سراً إلى روما خلال الليل، ثم وُضع في ضريح الأنطونيين (les Antonins). وكان الناس جميعاً، رجالا ونساء، والسيناتوسيون خاصة، يبغضونه بغضاً شديداً، حتى أنهم في كل أقوالهم وجميع أفعالهم كانوا ينعتونه كأكبر أعداء الدولة. وإذا لم يتم التشهير به عن طريق مرسوم، فإن ذلك راجع إلى موقف الجند ؛ فبما أنهم لم ينعموا بالسلم التي كانوا يأملون أن يكافئهم بها

---

[1]- بيلوس (Bélus) هذا كان يسمى بأسماء أخرى كبعل (Baal)، وإيلابيلوس (Elabélus) ، وأغليبولوس (Aglibolus)، وهو إله رئيسي في الشرق القديم.

[2]- كانت توجد سبع مدن تحمل كلها اسم أفاميا (Apamée)، دون الحديث عن عدة مدن أخرى أقل أهمية، سميت بنفس الاسم. والمدينة المُتحدث عنها هنا، كانت تقع على ضفاف نهر العاصي، وبناها سيليوكوس نيكاتور (Séleucus Nicator).

[3]- هومرس، الإلياذة، النشيد الثاني :

Et comme, des troupeaux de chèvres s'étant dispersés, les chevriers les trient facilement, après qu'elles se sont mêlées au pâturage, de même les chefs mettaient les hommes en ordre, ici et là, pour aller à la mêlée, avec, parmi eux, le puissant Agamemnon, semblable, pour le regard et la tête, à Zeus foudroyant, à Arès pour la ceinture, pour la poitrine à Poséidon. Ainsi que, dans un troupeau de bœufs, l'emporte de beaucoup, sur tous, le taureau — on le remarque parmi les vaches assemblées — tel l'Atride, grâce à Zeus, se faisait, en ce jour, remarquer au milieu de la foule, et l'emportait sur les héros.

[4]- هذه الجملة مقتبسة من مسرحية أوريبدس، *الفنيقيات*، البيت:20:

Le dieu lui répondit : « Roi de Thèbes aux vaillants coursiers, n'engendre pas d'enfants malgré les dieux : car, s'il te naît un fils, ce fils te tuera, et toute ta maison périra dans le sang. »

مكران (Macrin)، وحرموا من الأرباح التي كانوا يحققونها في عهد الأمير الراحل، فإنهم أسفوا عليه وقرروا جعله في عداد الأبطال. وجلي أن هذا القرار تمت المصادقة عليه بقرار مشيخي. على كل حال، لم يكف جميع الناس عن شتمه، ولم يعودوا يسمونه بأنطونينس (Antonin) ؛ فالبعض كان يسميه بسيانوس[1] (Bassianus)، وهو اسمه القديم، والبعض الآخر كراكالوس (Caracallus)، كما ذكرت ذلك، ومنهم من سماه طروطاس (Tarautas)، وهو لقب مجالد جمع بين قِصر القامة والذمامة والجسارة وسفك الدماء.

10– تلك هي أفعال هذا الأمير، كيفما كان الاسم الذي أعطي له. وفيما يخصني، قبل أن يصل أنطونينس (Antonin) إلى الحكم، كان أبوه قد نبهني، إن صح القول، إلى أني قد أكتب أيضاً هذه الأحداث. وفي سهل شاسع، خُيّل إلي كل الجيش الروماني يحمل السلاح ؛ وكان سيفير (Sévère) قد توفي، وفي هذا السهل، كان الأمير جالساً فوق تل، يكلم الجنود وهو على منصة عالية. ولما رآني واقفاً إلى جانبه، أسمع ما يقول، خاطبني بهذه الكلمات : « اقترب يا ديون (Dion) حتى تعرف بالضبط كل ما يقال ويُفعل هنا، لتكتبه». هكذا كانت حياة وموت طروطاس (Tarautas) ؛ وبعد قتله، هلك أولئك الذين شاركوا في المؤامرة، بعضهم قُتل على الفور، والبعض الآخر بعد ذلك بقليل[2]. وعلاوة على

ذلك، قُتل أيضاً أقرباؤه والقيصريون (les Césariens) ؛ وكأن القدر أسكن فيه قرين شرّير يقتل أعداءه وأصحابه على السواء.

11– وكان مكران (Macrin) موري الأصل (Maure)، من قيصرية (Césarée)، وكان أبواه من أصل وضيع إلى درجة أنه شُبّه، وهو تشبيه في غاية الدقة، بالحمار الذي قاده الجنّي إلى القصر[3]. وكانت له، فضلاً عن ذلك، أذن مخترمة على طريقة معظم الموريين[1]

---

[1]– اسمه الكامل: مرقس أوريليوس أنطونينس بسيانوس كركلوس (Marcus Aurélius Antoninus Bassianus Caracallus). ولقد حمل اسم بسيانوس إلى غاية اعتلائه العرش بعد موت أبيه (*تاريخ ديون*، LXXVI، 15)؛ أما فيما يخص كنية كركلوس، فلقد سبق لديون أن شرح أصلها في الفصل الثالث من هذا الكتاب.

[2]– يحدثنا هيروديان عن الأحداث التي عاشتها روما بعد مصرع أنطونينس، بحيث تم شنق كل العبيد والوشاة الذين سعوا بأسيادهم، وتخلصت روما بأسرها من أشرارها، الذين قُتل بعضهم، ونُفي البعض الآخر...؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 2.

[3]– انظر الفصل السابع من هذا الكتاب.

(les Maures)، غير أن اعتداله أنسى الناس أصله الوضيع. وفيما يخص القوانين، فإنه لم يكن متعمقاً في معرفتها[2]، لكنه كان حريصاً على تطبيقها. وبفضل الدفاع عن أحد أصدقائه في قضية ما[3]، تمكن من التعرف على بلاوتيانوس (Plautianus)، فأصبح في البداية قيّما على بيته، ثم كان على وشك أن يقتل معه لولا كيلون[4] (Cilon) الذي التمس الرحمة له وأنقذه من الموت، خلافاً لما كان متوقعاً ؛ ثم عينه سيفير (Sévère) على رأس بريده، على امتداد الطريق الفلامينية (la voie Flaminia). وبعد أن ألحقه أنطونينس (Antonin)، لوقت قصير، بسلك المحصلين، عينه بعد ذلك نائباً للولاية، وهي الوظيفة التي كان كفئاً وعادلاً في كل القرارات التي اتخذها بنفسه وهو يشغلها[5]. وبطبع كطبعه هذا، وبارتقائه إلى وظيفة سامية كهاته، صمّم في فكره على أن يصبح إمبراطوراً، وطروطاس (Tarautas) – وسبق لي أن ذكرت سبب تلقيب أنطونينس (Antonin) بهذا اللقب – ما زال حياً. وبعد مقتل الأمير، لم يستول مكران على الحكم (Macrin) في ذلك اليوم ولا في اليومين المتتاليين لقتله، خشية أن يبدو وكأنه قتله من أجل السلطة[6]. وخلال هذا الوقت، ترك أمور الرومان (les Romains) تساس دون أن يسيرها حاكم مطلق، ودون أن يعلموا أن وظيفة الإمبراطور شاغرة. وتم بعث أصحاب مكران (Macrin) إلى الجنود المرابطين في كل أرجاء بلاد الرافدين

---

[1]– كانت عادة خرم آذان العبيد معروفة في أوساط عدة شعوب في الشرق، وخاصة في أوساط الليبيين، كما يدل على ذلك نص مكروب؛ راجع:

Macrobe, *Les Saturnales*, VII, 8 ;

لذلك، يصفه أوريليوس فيكتور، حسب كابيتولان، بابن المعتق المُستخدم في أعمال خاصة بالعبيد في قصر الإمبراطور...؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 4, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* : « Macrinus,fils d'affranchi, prostitué, employé à des fonctions serviles dans la maison de l'empereur, d'une fidélité vénale, dans une condition misérable sous Commode, repoussé par Sévère des services les plus bas, exporté en Afrique, … ».

[2]– بخصوص درجة تفقهه في القانون، راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 12; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 13, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– يقول كبيتولان أنه لم يكن يرافع إلا في قضايا غير ذي أهمية؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 4, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* : « …, plaidait de petites causes, déclamait, enfin donnait des consultations de droit. »

[4]– بخصوص هذا الشخص، انظر: *تاريخ ديون*، LXXVII، 14.

[5]– يروي هيروديان في رسالة كان مكران قد بعثها إلى السيناتو، تبجحه بهذه الخصال؛ غير أن كابيتولان يذهب عكس ذلك ويصف فعلاته الشنيعة التي جعلته من الأرذلين؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 1 ; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 5 ; 12, *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[6] - Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 4 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit..*; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 23-24.

(la Mésopotamie) بسبب الحرب، والذين عوض أن يكونوا مجتمعين في مكان واحد، كانوا مشتتين هنا وهناك، وكسبوا ودهم، خاصة وأنهم وعدوهم فيما وعدوهم به، بتخليصهم من حرب أرهقهم أمرها أيما إرهاق. وهكذا، في اليوم الرابع، الذي وافق يوم ميلاد سيفير[1] (Sévère)، اختاره جيشه إمبراطوراً ؛ وبدا وكأنه قبل وهو مكره على ذلك.

12- ولما قام خطيباً في الجند، قال لهم عدة أمور سرتهم[2]، ووعد المواطنين بنقض الحكم الصادر في حق أولئك الذين حُكم عليهم بالسجن المؤبد لتدنيسهم الحرمات (وأقصد هنا بتدنيس الحرمات، ما يسمونه بتدنيس حرمة الأباطرة)، وبإطلاق سراح أولئك الذين اتهموا بارتكاب جرائم من هذا القبيل، وبإلغاء قوانين كراكالوس (Caracallus) فيما يتعلق بالوصايا والإعتاق[3]، وعزل أوريليانوس (Aurélianus)، وكانوا يطالبون بذلك [...]. ومنع أيضاً أن يقام له أي تمثال يفوق وزنه إما خمسة أرطال من الفضة، أو ثلاثة أرطال من الذهب.

13- [...] وبقدر ما مُدح، لامه الفهماء لوماً شديداً لما رقّى بعض الأشخاص إلى مرتبة قناصل، ثم بعثهم على الفور ليحكموا الولايات، بالرغم من كونه بعد أن عُين قنصلاً للمرة الأولى، رفض في العام التالي أن يشغل هذا المنصب للمرة الثانية، وهو ما لم يرفضه سيفير (Sévère) الذي تولى القنصلية سنتين على التوالي، وقلده ابنه في ذلك. وإذا كان مكران (Macrin) قد تصرف في هذه المسألة مع نفسه ومع أدفينتوس[4] (Adventus) بطريقة

---

[1]- كان سيفير قد ازداد يوم 11 أبريل (*تاريخ ديون*، LXXVI، 17)؛ وقتل أنطونينس يوم ثامن أبريل. ولقد اعتاد الرومان على الاحتفال بأعياد ميلاد الأباطرة، الأحياء منهم والموتى، بتنظيمهم لألعاب السيرك سنويا.

[2]- حسب كابيتولان، فإن مكران أغدق الأموال على الجند أكثر مما فعله سابقوه. ويضيف لامبريد أنه لما رأى الجند حزانى، بعد أن حرمت المنية الجمهورية من أنطونينس، وظنوا أن الإمبراطورية ستزول بزواله، فإنه خشي أن يستغل أحد جنرالات أنطونينس التقي هذا الوضع، لاستمالة الجند، وأطلق على التو اسم أنطونينس على ابنه وهو ما زال صبيا. ثم وزع عليهم ثلاثة أوري (*aurei*) باسم الإمبراطورية، وخمسة أوري (*aurei*) باسم أنطونينس، مع مضاعفة الأعطيات التي كانت تمنح لهم عادة؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Lampride, Vie de Diadumène, 1 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- ضريبة العشر عوض ضريبة جزء عشرين التي كانت تؤدى على الإرث والإعتاق (*تاريخ ديون*، LXXVII، 9).

[4]- يبدو أن Q. M. Coclatinus Adventus هذا هو Audentus الذي يتحدث عنه هيروديان، والذي كان زميل مكران كنائب للولاية. وهو الذي كلفه مكران بتنظيم حفل تأبين أنطونينس، حتى يقصي من كان يخشاه كمنافس على الإمبراطورية. ثم عينه عضوا في مجلس الشيوخ، ورقاه إلى رتبة قنصل وولاه حكم روما في نفس الوقت؛ راجع:

تحترم القانون السائد، فإنه خرقه خرقاً صريحاً لما بعث مركيوس أغريبا[1] (Marcius Agrippa) ليحكم في البداية بنونيا (la Pannonie)، ثم داسيا (la Dacie) بعد ذلك، بينما استدعى على الفور سبينوس (Sabinus) وكستينوس (Castinus) واليي هاتين الولايتين، بدعوى حاجته للتحدث إليهما، ولكنه استدعاهما في الواقع لأنه كان يخشى سمو مشاعرهما وصداقتهما مع كراكالوس (Caracallus). فأرسل إذن أغريبا (Agrippa) إلى داسيا (la Dacie)، وديكيوس تريكيانوس (Décius Triccianus) إلى بنونيا (la Pannonie) ؛ وكان الأول عبداً قديماً يتزين بزينة المرأة، فاستدعي أمام القضاء بسبب هذا الفعل، في عهد سيفير (Sévère). ولما اشتغل بعد ذلك في مصلحة الضرائب، توبع في قضية اختلاس، ثم حُكم عليه بالنفي إلى إحدى الجزر؛ واستدعاه بعد ذلك طروطاس (Tarautas) مع باقي المنفيين، ليشغل منصب مقدم العرائض، وكاتب الأمير. وأخيراً، حُطّ من قيمته إلى مرتبة السيناتوسيين الذين لم يتولوا إلا منصب القضاء، لأنه جنّد شباباً لم يكونوا قد بلغوا بعد السن القانونية للانضمام إلى الجيش. وكان تريكيانوس (Triccianus) قد اشتغل جندياً عادياً في بنونيا (la Pannonie)، وكان فيما مضى بواب والي هذه الولاية، ثم أصبح في ذلك العهد قائداً للفرقة العسكرية الألبانية[2] (Albanienne).

14– هذا ما كان معظم الناس يؤاخذون مكران (Macrin) عليه، كما آخذوه أيضاً على تصرفه مع أدفينتوس (Adventus). فلقد كان هذا الأخير يعمل في صفوف فرقة الكشافين والجواسيس المرتزقة، ثم تخلى عن هذه المهمة واشتغل كاتب محكمة، وأصبح بعد ذلك أمين

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 22 ; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[1]– يبدو أن أغريبا هذا لا علاقة له بمركيوس أغريبا (Marcius Agripa) الذي كان على رأس الأسطول، ومتواطئا في المؤامرة التي أفضت إلى قتل أنطونينس؛ راجع:

Spartien, Vie de Caracalla, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]– يتعلق الأمر بجند الحرس الإمبراطوري الذي اشتق اسم فرقتهم من جبل ألبان (Albain) الواقع بالقرب من روما، حيث كانوا يعسكرون عادة. ولقد ذكرهم ديون عدة مرات، وخاصة في الفصل الرابع من الكتاب التاسع و السبعين؛ كما ذكرهم كل من:

Spartien, Vie de Caracalla, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre VIII, 14.

ويعود تأسيس هذه الفرقة العسكرية إلى الإمبراطور سبتيم سيفير (Septime Sévère) الذي زاد في عدد جند الحرس الإمبراطوري ثلاثة أضعاف، وسمح لهم بالزواج. وحتى لا يشعروا بالضيق نظرا لعددهم الكبير الذي كان يقيم في معسكر واحد، ولا يتآمروا عليه وقد ازدادت شوكتهم، فإنه قسّمهم إلى مجموعات أقامت في عدة معسكرات غير بعيدة عن روما. وكان جبل ألبان يوفر شروط إقامة هذه المعسكرات.

المحفوظات، ثم حاجباً، ورقي بعد ذلك إلى رتبة وال. وعينه مكران (Macrin) عضواً في مجلس الشيوخ، وزميله في القنصلية، وحاكماً حضرياً، في حين كان الرجل قد شاخ وكلَّ بصره، وحال ضعف تعليمه بينه وبين القراءة، ومنعته قلة تجربته من القيام بالمهمات الموكولة إليه. ولقد تجرأ أدفينتوس (Adventus)، بعد موت كراكالوس (Caracallus)، على مخاطبة الجنود بقوله : « إني أحق بالإمبراطورية من مكران (Macrin)، لأني أكبر منه سناً، ولكن بما أنني هرمت، فإني أتخلى عنها». وأصبح وكأنه أصيب بضرب من ضروب الهتر، شأنه شأن مكران (Macrin) الذي رقّى إلى أعلى رتبة في مجلس الشيوخ رجلاً كان عاجزاً، لما شغل منصب قنصل، على التوجه بكلمة ملائمة لأي أحد في المجلس ؛ ولهذا السبب، تغيب يوم اجتماع المجلس متظاهراً بالمرض. ولم يلبث مكران (Macrin) أن استبدله بمكسيموس ماريوس (Maximus Marius) الذي تولى منصب حاكمية روما (Rome) محله، وكأن القصد من تعيينه حاكماً لروما (Rome) هو الحط من قدر مجلس الشيوخ، ليس لأن أدفينتوس (Adventus) كان قد عمل مرتزقاً، وشغل وظائف السّيّاف والكشاف وقائد مائة فحسب، بل وأيضاً لأنه كان قد تولى حاكمية روما (Rome) قبل أن يشغل وظيفة قنصل، أي أنه كان والياً حضرياً قبل أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ. ولقد سلك هذا السلوك مع أدفينتوس (Adventus) بأمل أن يمكنه ذلك من ستر سلوكه، وهو الذي استولى على الإمبراطورية وهو ما زال فارساً[1].

15– هذا ما كان يؤاخذ عليه بحق، كما كان يؤاخذ على تعيين يوليانوس أولبيوس[2] (Julianus Ulpius) و يوليانوس نيستور (Julianus Nestor) على رأس الحرس الإمبراطوري، وهما رجلان يفتقران إلى أية مزية، ولم يشتهرا بأي عمل حميد، بل ذاع خبرهما بسبب سلوكهما المستوحى من الشر خلال ملك كراكالوس (Caracallus)، بتمكينه غالباً من الإطلاع خلسة على الرسائل، لما كانا على رأس البُرد، حتى يشبع فضوله الشنيع. وبالرغم من ذلك، فقليل من الناس لاحظوا عليه هذا الأمر، وتحفظوا في ثقتهم به ؛ ولما تخلص الناس فجأة ، وخلافاً لما كان متوقعاً، من طروطاس (Tarautas)، وأصبح

[1]– حسب كبيتولان، كان سيفير قد رقى مكران إلى طبقة الفرسان، بمنحه الخاتم الذهبي للشوفاليي؛ وحتى يصبح إمبراطورا، فإن السيناتو اضطر لإلحاقه بطبقة البطارقة؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 2 ; 4 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– الذي كان مكلفا بعملية إحصاء السكان، ربما صحبة أولبيوس يوليانوس (Ulpius Julianus) الذي كان يشرف آنذاك على إحصاء السكان؛ انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

معظمهم يعتقد أن مكران (Macrin) سيسير سيرة سيئة في كل ما سيفعل[1]، بالنظر إلى القرارات التي اتخذها في بداية ملكه ؛ فإنهم لم يحكموا على أعماله، لأن الظروف لم تكن قد أتيحت لهم بعد، نظراً لقصر مدة حكمه ؛ إلا أنهم تلهفوا تلهفاً شديداً على الأمير بعد موته، وهو نفس الأمير الذي لو أنه مُدّ في عمره، لما كفوا عن بغضه. وبالفعل، بدأ مكران (Macrin) يعيش في الميوعة[2]، ويكره أولئك الذين يلومونه على أفعاله. وبدون سبب، لقي مطرنيانوس[3] (Maternianus) وداتوس (Datus) (فبالفعل، أية جريمة ارتكبا بدفاعهما عن إمبراطورهما ؟) [...].

ولقد نكل بأولئك الذين كان يشتبه في أمرهم، لاحتقارهم أصله الوضيع، وانتقادهم استيلاءه على السلطة. وكان عليه بالأحرى أن يفعل عكس ذلك لأنه يعرف ما هو أصله كما يعرف أن الحظ أسعفه في ذلك الوقت ؛ وعوض أن يتكبر، كان عليه أن يتصرف بحكمة [...].

ويلطف برعاياه، بإغداق المنن عليهم، ويكون دائما فاضلاً في كل الظروف. [...].

[...] خُيل لهم [...]

إلى درجة أنه كان يريد نشرها ؛ وأرسل إلينا أيضاً وثائق قرأ محتواها القيم على المالية، وتبعتها وثائق أخرى شبيهة بالأولى. إلا أنه ذات يوم، كان مجلس الشيوخ خلاله مجتمعاً، ولم يكن حاضراً أي قيم على المالية، تكلف قاضٍ مفوض بقراءة رسائل مكران (Macrin).

17- وبعد قراءة الرسالة الأولى، مُنح له ولابنه كل ما كان يخوله له القانون، وأُعلن أنه نبيل وأمير للشباب وقيصر (César). ولقد قبل مكران (Macrin) التكريمات الأخرى، لكنه رفض ألعاب السيرك التي قُرر تنظيمها بمناسبة وصوله إلى الحكم، زاعماً أن تكريمه تم بما فيه الكفاية خلال الألعاب التي نظمت يوم ميلاد سيفير[4] (Sévère). ولم يذكر طروطاس

---

[1]- راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 2 ; 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 2.

[2]- Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 2; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 13 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[3]- بخصوص مطرنيانوس (Maternianus)، انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

[4]- كان مكران قد أعلن إمبراطورا يوم ميلاد سيفير؛ راجع الفصل 11 من هذا الكتاب.

(Tarautas) لاغتيابه أو الثناء عليه إطلاقاً، اللهم عندما منحه لقب إمبراطور ؛ لأنه لم يجرؤ على جعله إلهاً، ولا إعلانه عدواً[1]. وحسب رأيي، فإنه لم يتخذ القرار الأول بسبب الجرائم التي اقترفها هذا الأمير، والبغض الذي كان يكنه له العديد من المواطنين ؛ ولم يتخذ القرار الثاني بسبب الجند[2]. وحسب الآخرين، فإنه كان يفضل أن يحل محله مجلس الشيوخ والشعب لإعلان شناعة جرائمه، وألا يُعلن ذلك بنفسه، خاصة وأنه كان يقيم وسط الجند. وزعم فعلاً أن أنطونينس (Antonin) كان، بسبب ظلمه، المسؤول الرئيسي عن الحرب[3]، وأنه أرهق بيت المال إرهاقاً شديداً بالرفع من قيمة المبالغ المالية التي كانت تؤدى للبابار[4]، وهي المبالغ التي، يضيف قائلاً، كانت تعادل رواتب الجنود. إلا أنه لم تكن لأي أحد الجرأة الكافية لاتهام الأمير الراحل وإعلانه عدواً للشعب، مخافة أن يقتله على الفور الجند الذين كانوا في المدينة ؛ ولكن شرفه انتهك بشكل آخر، قدر الإمكان، وذلك بذكر أسماء ضحايا وحشيته، وبمقارنته بكل أولئك الذين ضلوا وطغوا في روما (Rome)، في أي عصر كان، وبطلب إلغاء ألعاب السيرك التي كانت تنظم يوم عيد ميلاه، وبصهر كل تماثيله الذهبية والفضية[5]، وبالبحث عن وشاة عهد الأمير الراحل في كل مكان، وإنزال العقاب بهم[6] ؛ لأن عدداً كبيراً، ليس فقط من العبيد والمعتقين والجنود والقيصريين (les Césariens) ، بل وأيضاً الفرسان والسيناتوسيين وزوجات مشاهير الرجال، سعوا بالناس خلال ذلك العهد، وافتروا على المواطنين.

---

[1]– أورد كبيتولان رسالة بعثها مكران إلى مجلس الشيوخ، يعلن فيها منحه التشريفات الإلهية إلى أنطونينس، ويطلب فيها من السيناتو تأكيدها. وأورد هيروديان رسالة أخرى وُصف فيها هذا الإمبراطور وصفا مُهينا؛ راجع :

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 1.

[2] **Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 25.**

[3]– بهجومه على الفارثيين خدعة، وبنبش قبور ملوكهم؛ راجع الفصل الأول من هذا الكتاب، و:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 27.

[4]– راجع: *تاريخ ديون*، LXXVII، 14.

[5]– يروي كابيتولان رواية نقيضة لهذه، مفادها أن مكران طلب من السيناتو نصب تمثالين للإمبراطور الراحل ممتطيا صهوة جواد، وتمثالين يمثلانه واقفا، وتمثالين يمثلانه بزي عسكري، وآخرين يمثلانه قاعدا وهو يرتدي زيا مدنيا. وبالتالي فلو كان مكران قد طلب من السيناتو هذا الطلب، لما جرؤ هذا الأخير، والحال هذه، على الأمر بصهر التماثيل التي نُصبت على شرف هذا الأمير؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

بيد أن ديون يطلعنا في الفصل 19 من هذا الكتاب على أن مكران أمر باقتلاع تماثيل أنطونينس خلسة.

[6]– فلقد صُلبوا أو تم نفيهم من روما، بأمر من السيناتو، حسب هيروديان:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 2.

18– إلا أن اسم عدو الشعب لم يطلق عليه، بالرغم من أن الناس صاحوا مطالبين بلا انقطاع بتقريظ مرسياليس[1] (Martialis) وتكريمه بنصب تماثيل مقدسة له، بدعوى أن اسم مرسياليس (Martialis) يرتبط باسم مارس (Mars). ولم يُظهر الناس أيضاً وقتئذ لمكران (Macrin) أي شيء من شأنه أن يعكس غضبهم عليه. ويرجع السبب في ذلك إلى أن بالهم كان مشغولاً بالفرح الذي أدخله موت طروطاس (Tarautas) عليهم، ولم يكن لديهم متسع من الوقت للتفكير في أصل مكران (Macrin) الوضيع[2]، ورضوا به إمبراطوراً ؛ ولم يفكروا في السيد الذي سيصبحون عبيده، بقدر ما كانوا يفكرون في السيد الذي تحرروا منه ؛ وكانوا مقتنعين بأن أي شخص حكمهم، سيكون أفضل لا محالة. وكان إلغاء قوانينه (كل المصاريف التي كانت تفرض فعلاً، خلافاً للقانون، ليس فقط على بيت مال الرومان (les Romains)، بل وأيضاً على المال الخاص لبعض المواطنين، وكذا على بعض الشعوب، تم إلغاؤها)، والأمل في أن لا يُفرض شيء من هذا القبيل على الناس فيما بعد، جعلهم يشعرون بارتياح عام للكيفية التي كانت تسير عليها الأمور.

19– إلا أنه لما علم الناس أن أوريليانوس[3] (Aurélianus) قد قُتل، وأن ديادومينيانوس[4] (Diadumḗnianus) ابن مكران (Macrin) قد ناداه الجنود، في الظاهر، بلقب قيصر (César)، ورجع من أنطاكيا (Antioche) إلى جوار أبيه تلبية لطلبهم ؛ ولكن في الواقع، كان مكران (Macrin) بنفسه وراء منحه هذا اللقب، وعلموا أيضاً أن هذا الابن سمي باسم أنطونينس[5] (Antonin) – وفعلت هذه الأمور بقصد إرضاء الجند ؛ فمن جهة، لم يكن

---

[1]– الشخص الذي قتل أنطونينس، انظر الفصل الرابع من هذا الكتاب.

[2]– راجع :

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 2 et 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– كان الجند قد طالبوا مكران بقتل أوريليانوس (الفصل 12 من هذا الكتاب)، وبعد أن رفض في البداية، سلمه لهم فيما بعد. وكانت خيانته لشريكه في الجريمة دليلا على أن لا خير يمكن أن يُرتجى منه.

[4]– كان ابن مكران يسمى في البداية ديادومينوس (Diadumḗnus)، نسبة إلى جده من جهة الأم؛ ولكنه منذ أن أُطلق عليه اسم أنطونينس، وأصبح عضوا في هذه العائلة، كُتب اسمه على الميداليات والنقائش على شكل ديادومينيانوس (Diadumḗnianus). وبالتالي فلقد سماه كبيتولان ولامبريد خطأً أنطونينس ديادومينوس (Antoninus Diadumḗnus)، وزعم لامبريد أن نقودا سُكّت في أنطاكيا نُقش عليها هذا الاسم؛ انظر :

Lampride, Vie de Diadumène, 2; *in : Écrivains de l'histoire auguste* ; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[5]– راجع الأسباب الكامنة وراء منح مكران هذا اللقب لابنه حسب:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 3 et 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Lampride, Vie de Diadumène, 1 et 6 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

الإمبراطور الجديد يود الظهور بمظهر من يريد تلطيخ ذكرى الأمير الراحل إلى الأبد، خاصة وإن التماثيل التي أقامها هذا الأخير لنفسه في روما تحت اسم الأسكندر (Alexandre)، وتحت اسمه الحقيقي، كانت قد اقتلعت خفية[1] ؛ وكان من جهة ثانية في حاجة إلى مناسبة يتخذها ذريعة حتى يعد الجند بسبعمائة وخمسين دراخمة أخرى – بدأت مشاعرهم تتغير، وعلموا أنهم لم تكن لهم أي أهمية فيما سبق، ثم فكروا في كل ما [...].

هاهو جليل الرومان (l'Auguste des Romains)، فبامتلاكه نمتلك كل شيء. تلك هي القوة التي منحتها الطبيعة للإنسان، بجعله يحترم الخير ويحتقر الشر، إلى حد تصور الناس أن مكران (Macrin) وديادومينيانوس (Diadumḗnianus) لم يعد لهما وجود بالمرة، وأنهما يداسان بالأرجل وكأنهما ميتان. ولم يكن ذلك السبب الأقل أهمية في الاحتقار الذي أبداه الجنود له، هؤلاء الجنود الذين لم يبالوا بالوسائل التي استعملت لإرضائهم، خاصة أن البيرغامينيين (les Pergaméniens) لما حرموا من الامتيازات التي خصهم بها طروطاس (Tarautas) فيما مضى[2]، أوسعوا خليفته شتماً ؛ وهو ما دفعه لنعتهم علناً بالسّفلة.

21– سيتم الحديث بعد قليل عن الجند ؛ أما مكران (Macrin)، فإنه لم يبعث إلى مجلس الشيوخ، بالرغم من الطلب الذي تلقاه منه، بأي كتاب بشأن الوشاة، ولم يصرح بأي شيء بخصوص هذا الموضوع، ولو بشكل غير مباشر، مدعياً، حقاً أو باطلاً، وذلك حتى لا يسبب ضجّة كبرى، أنه لم يعثر في القصر الإمبراطوري على أي دليل إثباتي لواش ما[3]. (وبالفعل، كان طروطاس (Tarautas) إما يمزق معظم الكتب التي تشتمل على سعاية، أو يردها إلى أصحابها، كما ذكرت ذلك، حتى لا يبقى أي دليل على فساد الوشاة). واكتفى بالتنبيه إلى السيناتوسيين الثلاثة الذين، حسب المعلومات التي اكتشفها شخصياً، ارتأى أنهم يستحقون العقاب ؛ ويتعلق الأمر بمنيليوس (Manilius) ويوليوس (Julius)، بالإضافة إلى

---

[1]– يتعلق الأمر بالتماثيل التي نصبها كركلا في عدة أماكن، بل حتى في روما، على شرف الأسكندر، أو على الأصح على شرفه هو، كأسكندر جديد (*تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 7)؛ وهي التماثيل التي اقتلعها مكران فيما بعد خلسة.

[2]– كان أنطونينس قد توجه إلى بيرغامون (Pergame) (*تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 15؛ وهيرودیان، IV، 8) ليطلب من أسكيلاب (Esculape) أن يعالجه من آلامه، ثم قام بالمناسبة، دون شك، بمنحه تشريفات لبعض ذوي الإمتيازات من أهل هذه المدينة. فهل يتعلق الأمر بحرمانهم من هذه الامتيازات التي منحها لهم أنطونينس فيما قبل ؟

[3]– كان السيناتو قد طلب من مكران أن يفضح الوشاة ويعاقبهم، راجع الفصل 17 من هذا الكتاب.

سولبيكيوس أرينيانوس (Sulpicius Arrénianus) الفري الذي اتهم من بين من اتهمه باسوس (Bassus) ابن بومبونيوس (Pomponius)، وكان مساعده لما كان هذا الأخير والياً على ميسيا (la Mysie). ونُفي هؤلاء المتهمون إلى الجزر (ورفض مكران (Macrin) علناً أن يُعدموا، وكتب ذلك بنفسه قائلاً : « حتى لا يرانا الناس نرتكب نفس الأخطاء التي نؤاخذهم عليها»). ولقي ل. بريسكيليانوس (L. Priscillianus) المصير نفسه، وكان مجلس الشيوخ قد أبلغ عنه، وكان الرجل قد اشتهر باتهاماته وكذا بتقتيله للحيوانات. فبالفعل، غالباً ما كان يقاتل في توسكولوم (Tusculum) دائماً عدة حيوانات، حتى إن جسده كان يحمل آثار عضاتهم. وذات يوم، قاتل بمفرده، وفي الوقت نفسه، دباً ونمراً ولبؤة. ولكنه قتل بافترائه على الناس، عدداً أهم من المواطنين، فرساناً وسيناتوسيين. ولقد كرمه كراكالوس (Caracallus) على هاتين الخصلتين تكريماً عظيماً، فسُجل اسمه في لائحة الحكام

القدامى، وعُين على آخايا (l'Achaïe)، خلافاً لما كان متعارفاً عليه[1] ؛ غير أنه سبّب لنفسه في غيظ مجلس الشيوخ، واتُّهم ثم نُفي إلى جزيرة. هكذا كان مصير هؤلاء الأثمة.

22– كُلف فلاكوس (Flaccus) بنفس نظارة توزيع القمح التي كان يتولاها منيليوس (Manilius) فيما قبل، والتي مُنحت له جزاء على سعيه بهذا الأخير، ثم ترأس عمليات توزيع الحبوب التي كانت تتم خلال الألعاب التي كان ينظمها الحكام، باستثناء ألعاب فلور (Flore)، ثم أجبر قضاة إيطاليا على الاشتغال فقط في إطار الصلاحيات التي أعطاها لهم مرقس–أنطونينس (Marc-Antonin). وعن طريق الدس، طلب شخص يدعى دوميتيوس فلوروس (Domitius Florus) المناصب بإلحاح. وبالرغم من أنه كان فيما قبل محرر وثائق مجلس الشيوخ، وكان من المفروض بالتالي أن يُعين قيّماً على المدينة ؛ وبالرغم من أنه لم يوفق في ممارسة هذه الوظيفة فيما بعد، بسبب نكبة بلاوتيانوس (Plautianus)، فإنه استرجع

[1]– كانت آخيا في عهد أغسطس إقليما خاضعا للسيناتو والشعب الروماني، ووضعها تيبيريوس بعد ذلك تحت حكم ولاته، ثم أرجعها كلود تحت نفوذ السيناتو من جديد. فإرسال كركلا واليه (légat) ليحكم هذا الإقليم عوض حاكم يختاره من بين "القضاة" (les préteurs)، يعتبر خرقا للقانون؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LX ، 24؛

Tacite, *Annales*, I, 76 : « L'Achaïe et la Macédoine imploraient une diminution des charges : on les délivra pour le moment du gouvernement proconsulaire, et on les remit aux mains de César [Tibère] ». Suétone, *Claude*, 25,9 : «Il restitua au sénat les provinces d'Achaïe et de Macédoine que Tibère avait prises sous son administration. Il ôta la liberté aux Lyciens, agités de funestes discordes, et la rendit aux Rhodiens qui se repentaient de leurs fautes passées.

مكانته وعُين تريبوناً للشعب. وبالإضافة إلى هذا، أُرسل أنيكيوس فيستوس (Anicius Festus) إلى آسيا[1] (l'Asie) كوال مكان أسبير (Asper). وكان مكران (Macrin) بالفعل قد كرّم أسبير (Asper) تكريماً عظيماً، وكان يأمل في أن يتمكن أسبير (Asper) من القضاء على الفتن في آسيا ؛ ثم لما كان هذا الأخير في طريقه إلى هذا الإقليم، وشارفه، أُخبر بعزله، فشعر بإهانة كبرى. فلقد سُعي به عند الإمبراطور، وأسندوا إليه عدة أقوال غير لائقة. وكان مكران (Macrin) قد رفض فيما مضى الوشاية التي وصلته، والتي كانت موجهة إلى كراكالوس (Caracallus)، يطلب منه فيها ألا يسمح لأسبير (Asper) بأن يصبح والياً. وولى مكران (Macrin) فيستوس (Festus) على آسيا، وكأن أسبير (Asper) قد طلب إجازة ثانية بسبب الشيخوخة والمرض. وكان الأمير قد منح آسيا لفيستوس (Festus)، بالرغم من كون سيفير (Sévère) كان قد ترك هذا الأخير جانباً خلال إجراء القرعة ؛ وبما أن مدة إدارته كانت قصيرة، فلقد أمر بأن يحكمها أيضا خلال السنة التالية محل أوفيديوس فرونتون (Aufidius Fronton). ولم يتمكن فرونتون (Fronton) فعلاً، بالرغم من اختياره بالقرعة، من حكم إفريقيا (l'Afrique)، بسبب طلب سكانها، ولا آسيا (l'Asie)، بالرغم من تغيير سابق في التعيين. إلا أن مكران (Macrin) ارتأى أن يمنحه، بالرغم من أنه ظل في داره، المائتين وخمسين ألف دراخمة، وهو الراتب الذي كان من المفروض أن يقبضه. لكن فرونتون (Fronton) رفض تسلم هذا المبلغ قائلاً إنه ليس في حاجة إلى المال، بل إلى ولاية ؛ ولهذا، فيما بعد [...].

23– وكانت يوليا (Julia) أم طروطاس (Tarautas) في أنطاكيا (Antioche) لما علمت بموته، ولقد فجعت الثكلى وقت تلقيها الخبر حتى أنها قرعت صدرها قرعاً شديداً، وحاولت أن تستسلم للموت بامتناعها عن الأكل. وها هي الآن تبكي بعد قتله، ذلك الذي كانت تبغض خلال حياته ؛ ولم يكن ذلك أسفاً عليه ولا رغبة منها في أن يحيا، بل كان ذلك ناتجاً عن الشعور بالألم نظراً لأنها أصبحت امرأة عادية، ولم تعد أم الإمبراطور. فانهالت والحال

[1]– كانت آسيا وإفريقيا إقليمين خاضعين للشعب الروماني (*تاريخ ديون*، الكتاب LIII، 12، و LIV، 7)، ويحكمهما بالتالي ولاة من درجة قنصل. وعند الضرورة، كان الأباطرة يُولّون من أرادوا لحكم الولايات الرومانية، كيفما كانت وضعيتها القانونية، بما فيها تلك التي كانت خاضعة للسيناتو (*تاريخ ديون*، الكتاب LIII، 13، و LV، 28، LXIX ، 14). فمكران جعل آسيا إقليما تابعا للقيصر، وأراد في البداية أن يولي أسبير حاكما (légat) عليه، عوض أن يضع على رأس هذا الإقليم واليا يختار من بين القضاة (préteur)؛ ثم لما أهانه أسبير، فإنه عوضه بفيستوس.

هذه على مكران (Macrin) بأقبح الشتائم. وفيما بعد، بما أن لا شيء تغير، لا فيما يخص طريقة عيشها الملكية، ولا فيما يتعلق بالحرس الإمبراطوري الذي كان يسهر على أمنها؛ وبما أن مكران (Macrin)، الذي لم يكن قد علم بعد بسببها له، كان قد بعث إليها كتابا لطيف المحتوى، فإنها تجلدت بالصبر وتخلت عن رغبتها في الموت، وبدون أن تجاوبه، توجهت إلى الجند الذين كانوا بحضرتها [...].

[...] حتى تصل إلى السلطة العليا كسميراميس (Sémiramis) ونيتوكريس (Nitocris) اللتين كانتا مواطنتيها، إن جاز التعبير [...].

[...] أن تخرج من أنطاكيا (Antioche) لتنعزل أنى اتفق لها. ولما علمت بما كان يقال عن ابنها في روما، لم تعد لها رغبة في الحياة. وكانت قواها قد انهارت آنذاك، إن صح القول، بسبب سرطان ثديها الذي ظل شبه مستقر لمدة طويلة، ثم استفحل أمره بسبب قرعها لصدرها لما قتل ابنها، فاستسلمت للموت بامتناعها عن الأكل.

24- فبعد أن وصلت إلى المقام الذي وصلت إليه، بالرغم من انتمائها إلى العامة، وبعد أن عاشت خلال حكم زوجها حياة مليئة بالفواجع بسبب بلاوتيانوس (Plautianus)، وبعد أن رأت أصغر ولديها يقتل بين يديها، وكرهت ولدها البكر ما دام حيّاً، وعرفت الطريقة التي قتل بها، جُرّدت من سلطتها وهي حية ثم انتحرت؛ بحيث إذا تأملنا هذه المرأة، لا يمكننا أن نعتبر سعيداً أيا من أولئك الذين تمتعوا بسلطة كبرى لو لم يعرفوا خلال حياتهم سروراً ما، حقيقياً وصافياً، ولو لم يعرفوا سعادة ما، دائمة ولا يشوبها شائب. هكذا كان مصير يوليا (Julia)، ولقد نقل جثمانها إلى روما، ثم دُفن في ضريح كيوس (Caius) ولوكيوس[1] (Lucius)؛ إلا أنه بعد ذلك، قامت أختها مايسا[2] (Mæsa) بنقل رفاتها ورفات جيطا (Géta) إلى المدفن المخصص لأنطونينس[3] (Antonin).

---

[1]- كان ضريح أغسطس مملوءا عن آخره منذ عصر أدريان (*تاريخ ديون*، الكتاب LXIX، 23)، وبالتالي لم يعد فيه مكان لدفن يوليا. ويمكن البحث عن ضريح كايوس ولوكيوس إما بالقرب من غابة القياصرة (*تاريخ ديون*، الكتاب LXVI، 25) حيث كان يوجد تمثالا الأميرين، وإما في ميدان مارس (Champ de Mars) حيث كان أبوهما قد بنى ضريحا له (*تاريخ ديون*، الكتاب LIV، 28)، لم يُدفن فيه. فربما دفن كايوس ولوكيوس في هذا الضريح الذي لم يعد يسمى باسم أغريبا، بل باسميهما؛ ويبقى هذا افتراض، ليس إلا.

[2]- سيتم الحديث عنها في الفصل 30 من هذا الكتاب.

[3]- وفيه دفن سيفير. ولما اتخذ هذا الأمير اسم أنطونينس، يبدو أنه تملّك في ذات الوقت ضريح هذه العائلة لنفسه ولذويه، وهو الضريح الذي كان قد زينه وهو ما زال على قيد الحياة.

25– أما مكران (Macrin)، فإن هلاكه كان وشيكاً، كما أُخبر بذلك مسبقاً. فلقد ولدت بغلة في روما بغلاً[1]، ووضعت خنزيرة خنوصاً بأربع آذان ولسانين وأربعة قوائم ؛ ووقعت هزة أرضية عنيفة، وتدفق الدم من قناة ماء، وصنعت النحل خلاياها في سوق الدواب (*Forum boarium*). وأصابت الصاعقة المدرج يوم عيد فولكان[2] (Vulcain) إصابة بالغة حتى أن كل أروقة الطابق العلوي، وكل محيط أسفل المدرج التهمته النيران، والباقي أُلحقت به بعد ذلك أضرار بليغة بسبب الحريق. و بالرغم من كل المياه التي صبها الناس عليه، لم يتمكنوا من إخماده، ولم تقو الأمطار الغزيرة التي تهاطلت فوقه على إطفائه ؛ حتى أن السماء جفت من شدة الصاعقة، ولم يعد للناس ماء يفرغونه على النيران. وظلت بناية المدرج مشوهة بعض الوقت، وبالتالي نظمت صراعات المجالدين لعدة سنوات في الملعب. وكان ذلك علامة على ما سيقع في المستقبل. ولقد وقعت بالفعل من قبل عدة حرائق في المباني الإمبراطورية، إلا أنها تكررت خاصة خلال ملكه، ورأى الناس فيها دائماً نذير شر ؛ غير أن نذير الشر الأخير كان موجهاً إليه، لأنه بدا وكأنه يلغي ألعاب السيرك التي كانت تنظم على شرف فولكان[3] (Vulcain). وكانت هذه الأعجوبة تنبئ بفتنة آتية، خاصة وأن نهر التيبر (le Tibre) طغى في اليوم نفسه وغمر ميدان روما (le Forum) والشوارع المجاورة، وجرت مياهه بقوة حتى أنها جرفت الناس. وسمعت أيضاً من حكى أن امرأة وحشية المظهر ومتغطرسة ظهرت لبعض الناس وقالت لهم أن هذه المصائب شيء قليل الأهمية بالمقارنة مع ما سيقاسيه الرومان (les Romains) مستقبلاً. وهو ما حدث.

26– وبالفعل، لم تشمل الكارثة روما (Rome) فحسب، بل شملت كل العالم الذي كان خاضعاً لها، وكل الناس الذين كانوا يملؤون مدرجها بلا انقطاع، لأن روما (Rome) أوقفت الحرب ضد البابار بعد انهزامها، وعانت الأمرين من جشع الجند وعصيانهم. ولقد وقعت المصيبتان كالتالي. لما رأى مكران (Macrin) أرطبنوس (Artabanos) مغتاظاً أشد الغيظ مما عاناه، يغزو بلاد الرافدين (la Mésopotamie) بجيش جرار، بعث إليه بمحض إرادته أسرى الحرب مع كتاب يحمل كلمات ودية، داعياً إياه للسلم، وملقياً مسؤولية ما وقع على طروطاس (Tarautas). ولكن، بما أن أرطبنوس (Artabanos) لم يجنح للسلم – بل وأمر

---

[1]– سبق لديون أن ذكر وضع البغلة لبغل في عهد غالبا (Galba) (*تاريخ ديون*، الكتاب LXXIV، 1).

[2]– كان الاحتفال بفولكان يتم يوم 23 غشت.

[3]– يطلعنا هذا النص على أن ألعاب السيرك كانت تشكل جزءا من عيد فولكان (Vulcain).

مكران (Macrin) بإعادة بناء القلاع والمدن التي خُربت، وبسحب الجيش كلياً من بلاد الرافدين (la Mésopotamie)، وبتعويض الأضرار الأخرى، وكذا إصلاح أضرحة الملوك التي دُمرت [وكان أرطبنوس (Artabanos) يثق ثقة تامة بالجيوش العديدة التي حشدها، ويحتقر مكران (Macrin) بصفته حديث نعمة غير جدير بالملك، وفي حالة غضب لا يوصف ؛ وكان يأمل في الوصول إلى تحقيق كل مشاريعه، على رغم من عدوه[1]] فإن مكران (Macrin) لم يتدبر في هذا الأمر، وبادر بالزحف نحو عدوه الذي كان قد تقدم حتى نصيبين (Nisibis)، فانهزم في معركة خاضها جنود من الجيشين بقصد تزويد المعسكر الذي كانوا يُعِدّونه بالماء. وفي مرة ثانية [...].

[...] وبعد تبادلهما السفراء والرسل، وقعا معاهدة سلم.

27- وبالفعل، لم يجرؤ مكران (Macrin) على الاستمرار في الحرب بسبب جبنه الطبيعي – لأنه كان خوافاً كالموريين[2] (les Maures) – وكذا بسبب عدم انضباط الجنود. وحتى يجنح أعداؤه للسلم، أنفق أموالاً طائلة في هدايا قُدمت لأرطبنوس (Artabanos) ولمن كانوا يقبضون على سلطة قوية من حوله، بحيث إن مجموع النفقات بلغ حوالي خمسة عشر مليون دراخمة. [...] ولهذا السبب، ونظراً أيضاً لاستياء الجند الشديد بسبب غيبتهم عن ديارهم التي كانت أطول من العادة، وكذا نقص المواد الغذائية، حيث إنه لم يكن هناك سبيل للحصول عليها عن طريق المؤن – فهذه الشعوب لم تكن تقوم أبداً باستعدادات قبل الحرب – ولا من منتوجات البلد، نظرا لأنها كانت قد أُتلفت، بينما كانت القلاع تحتوي على المؤن بوفرة ؛ فلهذه الأسباب لم يتردد أرطبنوس (Artabanos) في قبول التفاوض في أمر السلم. إلا أن مكران (Macrin) لم يراسل مجلس الشيوخ لإطلاعه بالضبط على ما جرى بينه وبين أرطبنوس (Artabanos) ؛ وبالتالي، أصدر المجلس مرسوماً بهذه المناسبة لإقامة الذبائح تكريماً لانتصاره، وأطلق عليه لقب الفارثي (Parthique). ولم يقبل مكران (Macrin) هذا

---

[1]- حسب هيروديان، لم يكن أرطبان قد أُخبر بعد بموت أنطونينس لما زحف على الجيش الروماني؛ ولكن لما بعث إليه مكران مع الرسل كتابا يخبره بأن الإمبراطور الذي خرق المعاهدة قد قُتل ونال جزاءه على خيانته العهد، ويعده برد كل ما تم نهبه، جنح إلى السلم وانسحب من ساحة المعركة؛ راجع :

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre IV, 27- 31 ; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 8 ;** ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[2]- حسب كابيتولان، فإن مكران لم يشن هذه الحرب إلا ليُنسي ضعة أصله ودناءة ماضيه؛ راجع:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 8 ; ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

اللقب، ربما لخجله من أن يلقب بلقب اقتُبس من اسم الأعداء الذين هزموه. ولم يحل هذا أيضاً وإنهاء الحرب ضد أرمينيا (l'Arménie)، كما سبق أن ذكرت. فلقد أبى تيريدات (Tiridate) إلا أن يقبل الإكليل الذي بعث له به مكران (Macrin)، واسترجع أمه بعد أن سجنها طروطاس (Tarautas) لمدة إحدى عشرة سنة[1]، كما استرد غنائم الرومان في أرمينيا (l'Arménie) وممتلكات أبيه في كابادوكيا (Cappadoce)، وحاول الحصول على الجزية السنوية التي كان يؤديها له الرومان (les Romains). غير أن الخراب الذي ألحقه الداكرانجيون (les Dacringes) بداسيا (la Dacie)، وتهديدهم بالاستمرار في الحرب، منذ أن رجعت إليهم الرهائن التي كان كراكالوس (Caracallus) قد طالبهم بها بدعوى التحالف معهم، حال دون ذلك. هكذا جرت الأمور.

28- وقامت حرب جديدة، ليس ضد الأجانب، ولكنها حرب أهلية نشبت بين الرومان. فلقد تمرد الجنود بسبب هزائمهم، ولأنهم لم يعودوا يتحملون القيام بأي عمل، وإن كان إرادياً، وتخلوا عن النظام في كل ما كانوا يقومون به، ورفضوا كل إمبراطور يقودهم بحزم، مع إصرارهم على الحصول على الأعطيات الوفيرة، واعتبروا عدم القيام بأي واجب من واجباتهم أمراً عادياً. وكان تخفيض الرواتب، والإعفاء من الخدمة، وإلغاء المكافآت التي كانوا يتلقونها من طروطاس (Tarautas) قد أغاظهم، وإن كانت الإجراءات المذكورة لم تضر بهم إطلاقاً. وازداد غيظهم اشتداداً بعد مقامهم الطويل في سوريا (la Syrie)، مجبرين على البقاء، إن جاز التعبير، في نفس المكان حيث أجبرتهم الحرب على قضاء مدة الإشتاء في معسكرهم[2]. ولقد اعتقد مكران (Macrin) بالفعل أنه تصرف تصرّف قائد كفء ورجل فطن لما ارتأى ألا يقتطع شيئاً من رواتب الجند الذين كانوا يحملون السلاح، وأن يحتفظ بكل القوانين التي سنها لهم سلفه دون غيرها[3] ؛ وأعلن مسبقاً للمجندين الجدد أنهم سيجندون بناء على القانون القديم الذي وضعه سيفير[4] (Sévère). وكان يأمل بذلك في أن المجندين الجدد الذين

---

[1]- كانت قد أتت إلى روما صحبة بعلها وأولادها؛ انظر: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 12.

[2]- راجع :

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 2-3.

[3]- يطلعنا سبارتيان على أن انضباط الجند في الجيش الروماني لم يعد كما كان عليه الأمر سابقا، وذلك منذ عهد أغسطس؛ راجع:

Spartien, Vie d'Adrien, 10 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4]- مع العلم أن سيفير كان قد أنعم على الجند بمال كثير؛ فلقد زاد في حصة القمح المخصصة لكل جندي، ومنح للحرس الإمبراطوري أعطيات لم يسبقه إليها أحد من الأباطرة الآخرين، وهي أمور أخلت بانضباط الجند واحترامهم لقوادهم؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVI ، 1؛

سيلتحقون بالجيش على شكل دفعات قليلة العدد، دفعة تلو دفعة، بحكم قلة خبرتهم في الحرب، وخوفهم، وكذا بمر الأيام وبحكم العادة، لن يفكروا البتة في أي تمرد ؛ بينما سيبقى الآخرون الذين لن يفقدوا شيئاً هادئين.

29- فلو كان الجنود قد عادوا إلى قلاعهم وبالتالي تفرقوا، لكان هذا التدبير ناجعاً. ولو كانوا متيقنين من أنهم حقاً في مأمن من أي ضرر قد يتحملوه، - وإلى ذلك الحين لم يلحقهم أي أذى - ربما لم يكن ليتهيج أي أحد منهم ؛ أو لو كان بعضهم قد عبر عن استيائه، فما كانوا ليحدثوا فتنة كبرى، لأنهم لم يكونوا يشكلون في آخر الأمر إلا بعض الجماعات المنعزلة، وكانوا تحت إمرة قادة ينتمون إلى مجلس الشيوخ. ولكن، بما أنهم كانوا مجتمعين في سوريا (la Syrie)، ويعتقدون من جهة، أنهم لو كانوا متفرقين لاتخذ في حقهم قرار جديد، وكانوا يعتقدون أنه في ذلك الوقت كانوا يُصَانَعون بسبب متطلبات الحرب ؛ ومن جهة أخرى [...].

[...] وقتل هؤلاء عدة جنود وخربوا جزءا من بلاد الرافدين (la Mésopotamie)؛ واقتتل أولئك فيما بينهم، وسقط منهم عدد كبير من القتلى، وعزلوا إمبراطورهم ؛ والأدهى من ذلك أنهم جعلوا مكانه شخصا آخر أتى أفعالاً قبيحة ومخزية.

30- وها هي أيضاً، في رأيي، علامة شؤم في غاية الوضوح. فلقد وقع في تلك الأيام كسوف للشمس أبهر الأبصار ؛ وظهر لوقت طويل في السماء مذنب ؛ ثم ظهر نجم ثان امتد نور ذنبه طوال عدة ليال، من المغرب إلى المشرق، فأصابنا هلع شديد حتى أننا صرنا نردد بلا انقطاع هذا البيت الوارد في أشعار هومرس[1] (Homère) :

دوّى الرعد دويا هائلاً
في أرجاء السماء التي لا حد لها
وسمعه يوبتر (Jupiter).

على كل حال، ستجري الأمور كما يلي. كانت لميسا (Mæsa)، أخت يوليا أوغوسطا (Julia Augusta)، بنتان، سوايميس (Soæmis) ومامي (Mamée)، من زوجها يوليوس (Julius)، العضو في مجلس الشيوخ، وحفيدان، الأول أفيتوس (Avitus) ابن سوايميس

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre III, 19; 25.

[1] - *الإلياذة*، النشيد XXI، البيت 388.

(Soæmis) التي كانت قد تزوجت بفاريوس مرسيلوس (Varius Marcellus) الذي كان يتحدر من أفاميا (Apamée)، وهو نفس الإقليم الذي تتحدر منه سوايميس (Soæmis)، وكان فاريوس مرسيلوس (Varius Marcellus) والياً رُقي إلى درجة السيناتوسيين، وتوفي منذئذ ؛ والثاني بسيانوس (Bassianus) ابن مامّي (Mamée) التي تزوجت بجيسيوس مكريانوس (Gessius Macrianus)، وهو سوري أيضاً، يتحدر من مدينة عكّا (Acré)، وقُلّد منصب وال عدة مرات [...].

31- [...]

[...] شخص يدعى أوتيكيانوس[1] (Eutychianus) كان قد كسب ود الناس من خلال الألعاب وقاعات الرياضة، [...].

[...] ولما شعر ببغض الجند لمكران (Macrin) [...].

[...] ولما شجعته الشمس أيضاً، إن صح القول، وكانوا يسمونها إليغابال[2] (Elégabale) ويقدسونها تقديساً، كما شجعته أجوبة الآلهة الأخرى، صمم على خلع مكران (Macrin)، والمناداة بأفيتوس (Avitus) حفيد ميسا (Mæsa) إمبراطوراً محله، بالرغم من أنه كان صبياً[3]. ولقد تمكن من تحقيق هدفيه [...].

[...] ولقد أوهم الناس بأن الصبي ابن زنى لطروطاس[4] (Tarautas)، وألبسه الملابس التي كان يرتديها هذا الأمير لما كان طفلاً، [...].

---

[1]- لقب لشناعته بكومازون (Comazon)، (*تاريخ ديون*، الكتاب LXXIX، 3-4)، وأصبح فيما بعد نائبا للولاية وقنصلا ووالياً حضريا.

[2]- وحسب هيروديان، فإن سكان فنيقيا كانوا يعبدون الشمس التي كانوا يسمونها ب (Hélægabale) في اللغة الفينيقية (الإله الشمس). ولقد شيدوا له معبدا ضخما مزينا بكمية كبيرة من الذهب والفضة والأحجار الكريمة...؛ راجع:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre V, 5.**

وهناك من يرى أن هذا الاسم اشتق من كلمتين سريانيتين: إلى (*éla*)، وتعني إله، وجبل (*gabal*)، وتعني كوّن، وبالتالي يعني هذا الاسم الإله المكون، أو المصور. كما يرى البعض أن معنى هذا الاسم في اللغة الفينيقية هو الإله الجبل، نظرا لأن الشمس كانت تُمثل في ديانة السوريين القدامى على شكل حجر أسود منحوت على شكل مخروط، وهو الحجر الذي كان قد سقط من السماء فوق جبل يقع في إيميسا.

[3]- وكان عمره حسب ديون (الفصل 34 من هذا الكتاب) عشر سنوات. وحسب هيروديان (V، 5)، كان سنه تقريبا أربع عشرة سنة.

[4]- راجع :

[...] وأدخله ليلاً إلى المعسكر على حين غفلة من أمه وجدته، وفي سادس عشر ماي صباحاً، دفع الجند إلى العصيان، وكانت غاية مطلبهم أن يجدوا ذريعة للتمرد. ولما علم أوتيكيانوس (Eutychianus) بذلك [...].

32- [...] وكأنها قلعة عدوة. وكان بإمكانه أن يستولي عليها في اليوم نفسه (فالموريون (les Maures) الذين بُعثوا إلى طروطاس (Tarautas) كحلفاء، قاتلوا بشدة في صفوف مكران[1] (Macrin)، لأنه كان ينتمي إلى بلدهم، حتى أنهم فتحوا الكثير من أبوابها عنوة)، غير أنه لم يفعل، إما لأنه كان يخشى الهجوم عليها، أو أنه كان يأمل في حمل أولئك الذين كانوا بداخل المعسكر على الاستسلام بمحض إرادتهم. ثم عوض أن يبعثوا إليه أحدهم للتفاوض، أوصدوا خلال الليل كل الأبواب، حتى يبقوا في أمان، فهجم عليهم من جديد، ولكن بلا جدوى. وبالفعل، كان المحاصَرون يتجولون فوق أسوار القلعة، مقدمين أفيتوس (Avitus) الذي كانوا يسمونه م. أوريليوس أنطونينس (M. Aurélius Antonin)، ويُظهرون من بعيد، وكأنها صوره الشخصية، صور كراكالوس (Caracallus) لما كان طفلاً، مرددين أنه ابن هذا الأخير حقاً، وجدير بالتالي بخلافته على الحكم، ويضيفون صائحين : « رفاق السلاح، ماذا تفعلون ؟ لماذا تقاتلون هكذا ابن ولي نعمتكم ؟». ومال كل جنود يوليانوس (Julianus) إلى المحاصَرين، حتى أنهم تمردوا وقتلوا القادة الذين كانوا يأمرونهم، باستثناء يوليانوس (Julianus) الذي هرب، واستسلموا بسلاحهم إلى منتحل اسم أنطونينس[2] (Antonin). وبما أن قواد المائة وصغار الضباط الآخرين حالوا بينهم وبين الالتحاق بأنصار هذا الأخير، فإن أوتيكيانوس (Eutychianus) أقنعهم عن طريق فيستوس (Festus)، الخادم الخاص القديم لطروطاس (Tarautas)، بقتل كل قادتهم، وأغرى كل واحد منهم بالاستيلاء على أموال قتيله وشغل رتبته العسكرية في الجيش. وبالإضافة إلى ذلك،

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 6 : «(…) Cette femme [Mæsa], les voyant dans l'admiration de son enfant , leur fit un récit supposé ou véritable : elle leur annonça « que Bassien était fils naturel d'Antonin, quoiqu'il passât pour le fils d'un autre ; qu'Antonin avait eu commerce avec ses filles qui étaient dans l'éclat de la jeunesse et de la beauté à l'époque où elle demeurait elle-même au palais avec sa sœur ». EUTROPE, *Abrégé de l'Histoire romaine,* livre VIII, 22 (XIII) : « Après eux, Marc Aurèle Antonin fut proclamé empereur. On le croyait fils d'Antonin Caracalla, il était prêtre du temple d'Héliogabale. » ; Lampride, Vie d'Héliogabale, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[1]- كان مكران من أصل موري، انظر الفصل 11 و22 من هذا الكتاب.

[2]- Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 10 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 7-9.

ردد عليهم الطفل من أعلى الأسوار كلمات أُوحِي إليه بها، مدح من خلالها أباه، و[...] مكران (Macrin) كـ [...].

33- [...].

34- [...] ومِن بين مَن قَتل بنت مركيانوس[1] (Marcianus) وصهره ؛ ثم جمع، بسبب قلة الوقت الذي كان أمامه، بعض الجنود من بين أولئك الذين ظلوا أوفياء له (وكان مرسيلوس (Marcellus) قد مات)، وشن هجوماً فقتله ؛ غير أنه لم يجرؤ على التوغل أبعد من ذلك بدون مكران (Macrin)، وأرسل في طلبه ليستعين به. وتوجه هذا الأخير بسرعة إلى أفاميا (Apamée) وسط جنود حلبا (Albe)، ونادى بابنه إمبراطوراً، بالرغم من أنه لم يكن قد تجاوز العشر سنين[2]، وذلك حتى يجد علة للتملق للجنود، واعداً إياهم فيما وعدهم به، بخمسة آلاف دراخمة ؛ ثم أنعم عليهم فوراً بحوالي ألف دراخمة ؛ وبالنسبة للآخرين، عاد إلى منحهم كل ما كان يوزع عليهم من دقيق وأعطيات أخرى كانوا قد حرموا منها، آملاً بفضل هذه التدابير أن ينضموا إلى حزبه. وللسبب نفسه وزع على الشعب حوالي مائة وخمسين دراخمة لتناول طعام العشاء، قبل أن يخبر الناس بأي شيء بخصوص حركة العصيان، حتى تظهر الوليمة وكأنها أقيمت ليس بمناسبة هذه الأحداث، بل أقيمت على شرف ابنه. وفي غضون ذلك، جاء للقياه جندي من أولئك الذين كانوا قد انفضوا من حوله، بذريعة منحه رأس يوليانوس[3] (Julianus) (الذي كان قد تم قتله بعد أن كشف في مخبئه)، وقد لفّ لفّاً شديداً في عدة قطع قماش؛ وقدم إليه الرأس على أنه رأس المنتحل اسم أنطونينس (Antonin)، وقد كان الرأس الملفوف قد خُتم فعلاً بخاتم يوليانوس (Julianus). وبينما كانت قطع قماش الرأس الملفوف تُبسط، هرب الجندي، وأُطلع مكران (Macrin) على ما كان يجري، فلم يجرؤ على الحفاظ على مواقعه ولا على الهجوم على المعسكر ؛ ثم دخل إلى أنطاكيا (Antioche) على عجل. وعقب هذا التراجع، انفض من حوله جنود حلبا (Albe) والجند الآخرون الذين كانوا في مشاتيهم في هذه البلاد. وكانت الاستعدادات جارية في الفريقين، وكان كلاهما يبعث الرسل والكتب إلى الولايات وألوية

---

[1]- بخصوص مركيانوس، انظر الفصل 30 من هذا الكتاب.

[2]- في الفصل 38 من هذا الكتاب، يقول ديون أن ديادومينيانوس (Diadumènianus) كان أصغر بكثير من المنتحل اسم أنطونينس الذي كان عمره أربع عشرة سنة.

[3]- كان يوليانوس نائبا للولاية.

الجيش. ولقد أثارت هذه الكتب البلبلة في عدة مناطق بحسب وصول أول كتب هذا الفريق أو ذاك بخصوص خصمه، وكذا على حسب تواصل هذه الكتب واختلافها فيما بينها. ولقد تسببت هذه الكتب بعد ذلك، في هلاك عدد كبير من الرسل من كلا الفريقين، وفي محاكمة عدد كبير من أولئك الذين قتلوا رجال أنطونينس (Antonin)، أو أولئك الذين لم ينضموا إلى حزبه فوراً، والذين، لهذا السبب، قُتل بعضهم، وعوقب بعضهم الآخر بطريقة أخرى. ولن أسرد باقي الأحداث (فإنها تتشابه، وتفاصيلها لا تكتسي أهمية خاصة)، ولكنني سأحكي بكيفية موجزة ما حدث في مصر (l'Egypte).

35- كان حاكم هذا البلد هو بزيليانوس (Basilianus) الذي عينه مكران (Macrin) في منصب نائب الولاية مكان يوليانوس (Julianus) ؛ وكانت بعض مصالح الإدارة تابعة لمريوس سيكوندوس[1] (Marius Sécundus)، بالرغم من أن مكران (Macrin) كان قد ألحقه بأعضاء مجلس الشيوخ وولاه فينيقيا (la Phénicie) ؛ ولهذه الأسباب، كان هذا وذاك مخلصين للإمبراطور، وقتلا رسل منتحل اسم أنطونينس (Antonin). ولم يلحق الرجلين أذى طالما ظلت أوضاع الدولة غير مستقرة، شأنهما شأن الجنود والخواص الذين أراد بعضهم، أو تمنى، أو نشر أشياء، وفعل البعض الآخر عكس ذلك، كما جرت العادة خلال الفتن. إلا أنه لما وصل خبر هزيمة مكران (Macrin)، وقعت انتفاضة كبرى، فمات العديد من أفراد الشعب، والجنود ؛ وسقط سيكوندوس (Sécundus) قتيلاً خلال الفتنة ؛ وخاف بزيليانوس (Basilianus) أن يقتل على الفور، ففر من مصر، ولما وصل إلى نواحي بروندوسيوم (Brundusium) في إيطاليا، كُشف أمره بسبب خيانة صديق بقي في روما (Rome)، كان بزيليانوس (Basilianus) قد بعث إليه خفية يطلب منه المؤن. ثم أُرجع بعد ذلك إلى نيكوميديا (Nicomédie) حيث قُتل.

36- أما مكران (Macrin)، فلقد كتب إلى مجلس الشيوخ بخصوص منتحل اسم أنطونينس (Antonin) ما كتبه إلى حكام الولايات في كل مكان، ناعتاً إياه بالصبي وقائلاً إنه أضاع صوابه. وكتب بالإضافة إلى ذلك إلى مكسيموس (Maximus)، والي روما[2] (Rome)، وحدثه بين ما حدثه عنه، عن أمور تتعلق بتلك الظروف، كأمر الجند الذين تم تجنيدهم مؤخراً، والذين كانوا يطالبون بأن يُعطى لهم كل ما كان يُعطى للمجندين الجدد

---

[1]- رفض أغسطس أن يحكم مصر عضو من أعضاء مجلس الشيوخ، نظرا لأهمية هذه الولاية، راجع : *تاريخ ديون*، الكتاب LI ، 17، و LIII ، 13.

[2]- كان قد خلف أدفينتوس في هذا المنصب، انظر الفصل 14 من هذا الكتاب.

فيما مضى ؛ أما الجنود الآخرون الذين لم يُنقصهم أحد شيئاً، فإنهم شاركوا رفاقهم في غضبهم بخصوص ما لم يكن يُمنح لهم. « دون أن أتحدث عن المنافع الأخرى التي وفرها لهم سفير (Sévère) وابنه، وهي المنافع التي قضت على الانضباط العسكري ؛ إنه كما قال، من المستحيل دفع مرتباتهم كاملة، وكانوا يتقاضون رواتب مرتفعة (بلغت الزيادة التي عرفتها هذه الرواتب في عهد طروطاس (Tarautas) ستين مليون دراخمة سنوياً)، كما يستحيل عدم دفعها لهم ؛ فمن جهة هناك الجنود، ومن جهة أخرى [...].

[...] وبكى على مصيره ثم قال إنه في مصيبته هاته، يكمن عزاؤه الوحيد في أنه عاش بعد قاتل أخيه [أنطونينس (Antonin)] الذي بدل كل جهده ليخرب العالم. وأضاف في كتابه : « أعرف أن هناك العديد من الناس الذين يفضلون الأباطرة موتى بدل أحياء. غير أنني لا أتكلم هنا عن نفسي، لأنني لا أعتقد أن هناك شخصاً يريد أو يتمنى هلاكي ». وعند كلامه هذا، صاح فولفيوس ديوجينيانوس (Fulvius Diogénianus) : « لقد تمنيناه جميعاً ».

37– وديوجينيانوس (Diogénianus) هذا الذي كان عضواً في مجلس الشيوخ، كان ثقيل الظل، وبالتالي كان يَضجر من نفسه ويُضجر الآخرين. [...].

[...] ولقد عجّل حتى أن مكران (Macrin) صعُب عليه الاشتباك معه في إمّاي (Immæ)، وهي قرية تابعة لأنطاكية (Antioche)، تبعد عن المدينة بمائة وثمانين غلوة. وانتصر مكران (Macrin) هناك بفضل استبسال حرسه، (وكان قد جردهم من دَرَقهم ومن تروسهم الثقيلة، فخف حملهم وأصبحوا سريعي الحركة)؛ لكنه انهزم بسبب جبنه[1]، كما نبّأته الآلهة بذلك. وبالفعل، ففي اليوم الذي قُرئ علينا كتابه الأول بخصوص اعتلائه العرش، حطّت حمامة[2] فوق تمثال لسفير (Sévère) كان قد نصب في السيناتو على شرف هذا الأمير

---

[1]– حسب رواية هيروديان، فإن جند الحرس الإمبراطوري بعد أن قاتلوا لوحدهم، ولمدة طويلة، ضد كل أولئك الذين انضموا إلى صفوف المنتحل اسم أنطونينس، كفّوا عن القتال لما اختفى مكران ورایاته عن أنظارهم، فلا جدوى من الدفاع عن أمير ميت أو هارب؛ ثم لبوا دعوة المنتحل اسم أنطونينس، وأصبحوا حرسا له. وحسب كبيتولان، فإن مكران انهزم بسبب خيانة جنده الذين فضلوا المنتحل اسم أنطونينس عليه، وهرب صحبة ثُلة من حرسه؛ راجع:

Hérodien, ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre V, 8; Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 10;** ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[2]– كان الرومان يتكهنون بمستقبل أمرائهم بواسطة طير الحمام، ويتطيرون من رؤية حمامة تطير لوحدها، نظرا لأن هذه الطيور تعيش جماعات. وكان ذلك يعني في تكهنهم تخلي الناس عن الإمبراطور.

الذي اتخذ مكران (Macrin) اسمه[1]. وبعد ذلك، خلال قراءة الرسالة المتعلقة بابنه، لم يقم بجمعنا القنصلان ولا القضاة (وكانوا آنذاك غائبين)، بل جمعنا التريبونيون، وهو قانون كان قد أدركه العفاء، إن صح القول. وعلاوة على ذلك، فإن اسم ابنه، بالرغم من أنه كان قد سماه قيصراً (César) وإمبراطوراً، لم يذكر حتى في مستهل الرسالة التي قال إنهما كتباها سوياً. وخلال سرده للأحداث التي وقعت، استعمل اسم ديادومينيانوس (Diaduménianus)، وترك جانبا اسم أنطونينس (Antonin) الذي سمي الطفل به أيضاً. هكذا وقعت الأمور.

38– وبالتأكيد، لما كتب مكران (Macrin) بخصوص فتنة من انتحل اسم أنطونينس (Antonin)، اتخذ القنصلان، كما جرت العادة في هذه الحالات، موقفا ضد أفيتوس (Avitus) ؛ وفعل أحد القضاة وكذا أحد التريبونيين الأمر نفسه، ثم أعلنت الحرب، وأُشهرت عليه وعلى ابن خالته[2] وأمهما وجدتهما، ووُعد شركاؤهم في التمرد، في حالة ما إذا رجعوا عن قرارهم بالأمان، وكان مكران (Macrin) قد قطع عهداً على نفسه بذلك. وتمت أيضاً تلاوة الإعلانات الموجهة للجنود، وهي الإعلانات التي مكنتنا جميعا من الوقوف على دناءة وغرابة هذا الرجل. فمن بين الأمور التي رددها باستمرار أنه أب، وأن ديادومينيانوس (Diaduménianus) ابنه ؛ وكان ينتقد عمر منتحل اسم أنطونينس (Antonin)، بالرغم من أنه نادى بابنه إمبراطوراً وهو أصغر منه سناً بكثير. وخلال المعركة، بادر غنيس (Gannys) إلى احتلال الشعاب التي كانت أمام القرية، وصفّ جنوده بدهاء، بالرغم من كونه كان يفتقر إلى أي موهبة في الميدان العسكري، وأنه قضى حياته في الميوعة. وقد يسمو الحظ بالناس إلى أرفع المراتب حتى أنه يمكن الجهلة من العلم. إلا أن جيش غنيس (Gannys) قاتل بفتور، ولولا ميسا (Mæsa) وسوايميس (Soæmis) اللتان كانتا ترافقان الطفل، وترتميان من عربتيهما وتثبان وسط المحاربين لِتَحولا بدموعهما بينهم وبين الفرار ؛ ولولا الطفل الذي شهر السيف الصغير الذي كان يتقلده وظهر ممتطياً فرساً وسط الجيش وكأنه كان مدفوعاً بوحي إلهي للارتماء وسط الأعداء، لما توقف الجيش في تراجعه. وبالرغم من ذلك، كان الجيش سيولي مدبراً من جديد لولا فرار مكران (Macrin) عندما رأى هذه المقاومة.

---

[1]– تؤكد هذا الخبر الميداليات ونص كبيتولان:

Julius Capitolinus, Vie de Macrin, 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* : « Outre cela, il usurpa le nom de Sévère, sans avoir avec l'empereur aucun lien de parenté ».

[2]– بسيانوس مامي (Bassianus Mamée)، الذي حكم فيما بعد باسم ألكسندر سيفير (Alexandre Sévère)، ابن أخت سوايميس (Soæmis)، أم المنتحل اسم أنطونينس؛ راجع الفصل 30 من هذا الكتاب.

39– وهكذا لما انهزم في ثامن يونيو، أخرج ابنه خلسة وبعثه إلى ملك الفارثيين (les Parthes) أرطبنوس[1] (Artabanos)، بواسطة إيباغطوس[2] (Epagathos) وآخرين ؛ أما هو، فبعد أن دخل إلى أنطاكيا (Antioche) كالمنتصر حتى يستقبله السكان، شاع خبر هزيمته ؛ وما أن شاع الخبر، حتى أريقت دماء غزيرة على الطرق وفي المدينة بفعل انتقام الناس من بعضهم. فهرب من جديد من هذه المدينة ليلاً، ممتطيا فرسه، حليق الرأس والذقن[3]، ومرتدياً لباساً داكن اللون فوق معطفه الأرجواني حتى يشبه بقدر الإمكان شخصاً عادياً. ولما وصل هكذا إلى أيجيس (Æges) في سيليسيا (la Cilicie)، مصحوباً بحاشية قليل عدد أفرادها، امتطى عربة وكأنه جندي مكلف بإيصال كتاب، وعبر كابادوكيا (la Cappadoce) وغلاتيا (la Galatie) وبثينيا (la Bithynie) حتى إريبول[4] (Eribole)، ترسانة مدينة نيكوميديا (Nicomédie) التي توجد أمام هذه الأخيرة، وذلك بنية الإبحار في اتجاه روما (Rome) حيث كان يأمل أن يآزره مجلس الشيوخ والشعب[5]. ولو أنه تمكن من اللجوء فعلاً إلى روما (Rome) لنجح مشروعه لا محالة. فلقد كان الرومان (les Romains) يخصونه بعطفهم ويفضلونه على غيره، بالنظر إلى وقاحة السوريين[6] (les Syriens)، وسن المنتحل اسم أنطونينس (Antonin)، والحرية الزائدة التي كان يتصرف بها غنيس (Gannys) وكومازون (Comazon) ؛ بحيث كان الجنود إما سيندمون تلقائياً على ما فعلوا، أو كانوا سيخضَّعون بالرغم من أنوفهم. ولم يؤذه أي أحد من بين الشعوب التي شق طريقه بينها، حتى لما كان

---

[1]– كان مكران قد عقد معاهدة سلم وصداقة مع هذا الأمير؛ راجع الفصل 26 من هذا الكتاب، و:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre IV, 30.

[2]– كان معتقا لكركلوس (Caracallus)؛ انظر: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 21.

[3]– منذ عهد أدريان، كان الأباطرة طويلي الشعر، وملتحون؛ انظر: *تاريخ ديون*، الكتاب LXVIII ، 15:
« Trajan n'eut jamais contre lui ni soupçon ni haine ; que, loin de là, voyant l'acharnement des envieux, il se rendit dans la maison de Sura sans y être invité, pour souper, et, qu'après avoir congédié tous ses gardes, il commença par appeler le médecin de son ami et se faire oindre les yeux par lui ; puis son barbier, et se fit raser par lui (c'était l'antique usage des citoyens romains, et les empereurs eux-mêmes y restaient fidèles ; Adrien, le premier, introduisit la mode de laisser croître sa barbe)…» .

[4]– لا يُعرف موضع هذا المكان اليوم.

[5]– وحسب هيروديان، فإن مكران كان يقترب من بيزنطة بحرا لما جنحت به سفينته بسبب الريح. ويؤاخذه أيضا على عدم توجهه إلى روما حيث كان الشعب يناديه، بمجرد عقده معاهدة السلم مع الفارثيين؛ راجع:
Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 9.

[6]– كان الرومان يزعمون أن السوريين خلقوا ليستعبدوا، وكان يوجد في الإمبراطورية الرومانية العديد من العبيد السوريين. وبالتالي فطموح السوريين إلى الإمبراطورية في رأي الرومان تجاسر لا يغتفر. وانظر إشارة ديون إلى "ختل" السوريين: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 10.

يتم التعرف عليه. ولكنه لما غادر إريبول (Eribole) وأبحر في اتجاه خلقدون (Chalcédoine) – ولم يجرؤ على الدخول إلى نيكوميديا (Nicomédie) [خوفا من كيسيليوس أريسطون (Cæcilius Ariston) حاكم بثينيا (la Bithynie)] – حيث كان قد بعث إلى أحد حكامه يطلب منه مالاً، كُشف أمره بسبب هذا الكتاب، وألقي عليه القبض وهو ما زال في خلقدون (Chalcédoine) ؛ وفجأة، وصل الجنود الذين كان قد بعثهم المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) [...]، وأسره قائد المائة أوريليوس سيلسوس (Aurélius Celsus)، ونُقل حتى كابادوكيا (la Cappadoce) وكأنه شخص مجهول.

40– وهناك، أُخبر بأسر ابنه...

[...] وكان كلاوديوس بوليون (Claudius Pollion) في الجيش الروماني قد قبض عليه، ورمى مكران (Macrin) بنفسه من عربة بوليون (Pollion) حيث لم يكن مقيداً، فانكسرت كتفه، ثم بعد ذلك بقليل، [...]

وهكذا وفي سن متقدم (وكان عمره وقتئذ أربعاً وخمسين سنة، مع فرق ثلاثة أو خمسة أيام تقريباً)، وبالرغم من غنى تجربته في سياسة أمور الدولة، والكفاءة التي أبان عنها، وفرق الجيش التي قادها، فإنه خُلع من طرف طفل صغير كان يُجهل حتى اسمه فيما مضى، وذلك تبعاً لما أنبأه به وسيط الوحي، [...] وقبل ذلك بقليل، كان الإله يوبتر بيلوس (Jupiter Bélus) [...] قد أجابه بهذا الجواب :

« يا شيخ، مقاتلون شبان يجهدونك، لقد خارت قواك، وأدركك الهرم المشؤوم ».

[...]

[...] وهلك ابنه معه.

41– وهكذا، فلا أحد يمتلك سلطة قوية، وإن كان من أولئك الذين يظهرون وكأنهم الأقوى، وأولئك الذين يبلغون منتهى السعادة فإنهم كالآخرين، لُعب القدر. فمكران (Macrin) الذي كان بإمكانه أن يقرّظ أكثر من كل الناس، لو أنه عوض أن يرغب في السيادة لنفسه، عيَّن أحد أعضاء مجلس الشيوخ إمبراطوراً، واختاره ليحكم الإمبراطورية الرومانية، لنجى بعمله هذا فقط من تهمة تدبير مؤامرة ضد كراكالوس (Caracallus)، لأنه سيكون قد فعل ذلك فقط من أجل إنقاذ حياته وليس رغبة في السلطة. فلقد حكم مكران (Macrin) على نفسه، وأهلك نفسه بنفسه، وجلب لنفسه ذُلاّ وشقاء مستأهلاً. وبالفعل، فلقد طمح إلى الإمبراطورية في حين لم يكن له حتى لقب سيناتوسي، ثم فقدها بسرعة بسبب حادثة

مفجعة ؛ لأنه لم يحكم، إذا أخذنا بعين الاعتبار الأحداث التي وقعت خلال ملكه حتى المعركة، إلا عاماً وشهرين وثلاثة أيام.

الكتاب التاسع والسبعون

أفيتوس (Avitus)، المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) وعمليات القتل التي ارتكبها، الفصول : 1 – 7.

الجرائم التي اقترفها، وكيف تزوج بفستالية (une vestale)، الفصول : 8 – 10.

إليغابال (Elégabale)، وكيف قام هذا الأمير بنقل الإلهة أورانيا (Uranie) إلى روما قبل زفها إلى الإله إليغابال (Elégabale)، الفصلان : 11– 12.

خلاعته، الفصول : 13– 16.

كيف تبنى ابن خالته الذي غير اسمه وسماه الأسكندر (Alexandre)، الفصلان : 17– 18.

كيف أطيح به وقُتِل، الفصول : 19– 21.

مدة من الزمن، بقية قنصلية مكران (Macrin) وأدفينتوس (Adventus)، بالإضافة إلى أربع سنوات أخرى كان القناصل خلالها هم :

المنتحل اسم أنطونينس II (Antonin) وليكينيوس ساسيردوس (Licinius Sacerdos II).

المنتحل اسم أنطونينس III (Antonin) وأوتيكيانوس كومازون (Eutychianus Comazon).

فيتيوس غراتوس سبينيانوس (Vettius Gratus Sabinianus) وم. فبيوس فيتيليوس سيلوكوس (M. Fabius Vétillius Séleucus).

المنتحل اسم أنطونينس IV (Antonin) و م. أوريليوس ألكساندر سيفير (M. Aurélius Alexandre Sévère).

1– بعد انتصار أفيتوس (Avitus) الذي كان يسمى إما منتحل اسم أنطونينس (Antonin)، أو الأشوري (Assyrien)، وأيضا ساردانابال (Sardanapale) والتيبري (Tibérien) (لأنه سمي بهذا الاسم الأخير بعد أن رُمي بجثته في نهر التيبر [1] (le Tibre) ؛ دخل في الغد إلى أنطاكيا (Antioche)، بعد أن وعد الجند الذين كانوا يحيطون به بخمسمائة دراخمة، وذلك حتى لا ينهبوا المدينة، وهو ما كانوا يرغبون فيه أشد الرغبة، وكان قد جمع هذا المبلغ، وهذا

[1]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 17 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aurélius Victor, *Epitomé*, XXIII, 7 : « Enfin, comme l'ouverture d'un égout se trouvait trop étroite pour recevoir son cadavre, on le poussa jusqu'au Tibre, et on le précipita dans le fleuve, après avoir eu soin d'y attacher une pierre énorme, pour l'empêcher de jamais surnager. »

أمر بديهي، من أموال الشعب ؛ وكتب أيضاً إلى روما (Rome) كتاباً ورد فيه من بين ما ورد من الأمور المناسبة لهذه الظروف، إسرافه في شتم مكران (Macrin) بخصوص أصله الوضيع وتآمره على أنطونينس[1] (Antonin) (وعلاوة على اللوائم التي أنحى بها عليه، أضاف : « لقد أقدم رجل – لم يكن يسمح له بالدخول إلى جمعية السيناتو بعد الإعلان الذي حرمها على كل من لم يكونوا سيناتوسيين – على قتل الإمبراطور الذي كان مكلفاً بحراسته غدراً، حتى يستولي على الحكم ويصبح إمبراطوراً قبل أن يكون عضواً في مجلس الشيوخ»). وأعطى في كتابه هذا وعوداً كثيرة ليس للجند فقط، بل وللسيناتو والشعب (وزعم أنه كان يسير في كل شيء سيرة أغسطس (Auguste) الذي كان يقارن سنه بسنه، كما كان يسير سيرة مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) ؛ وكتب أيضاً هذه العبارات التي كان يلمح من خلالها إلى الانتقادات التي أذاعها مكران (Macrin) بخصوصه : « لقد حاول أن ينتقد سني ذاك الذي سمى ابنه إمبراطوراً، وهو يبلغ خمس سنوات».

2– كان ذلك كتابه لمجلس الشيوخ. ولقد أرسل إلى هذه الجمعية وإلى فرق الجيش مذكرة حول ما جرى في وسط الجنود، وكذا الرسالة التي كتبها مكران (Macrin) إلى مكسيموس[2] (Maximus)، حتى يثير بذلك مزيداً من البغض تجاه ذكرى مكران (Macrin)، ويحبب نفسه إلى الناس. وفي كتابه لمجلس الشيوخ ورسالته للشعب، اتخذ ألقاب إمبراطور وقيصر (César)، وابن أنطونينس (Antonin)، وحفيد سفير (Sévère) والتقي (Pieux)، والسعيد[3] (Heureux)، والجليل (Auguste)، والوالي، والأمير ذي السلطة التريبونيسية، [...].

[...] ورقاه إلى رتبة القنصليين وأمره، في حالة ما إذا لقي مقاومة، أن يلجأ إلى استعمال قوة الجند. لذلك قرئت [الرسالة] بكاملها، بالرغم من النية السيئة [...].

[...] ومكرهين على تنفيذ ما أمروا به، لم يتمكنوا من فعل أي شيء بخصوص كرامتهم ومصالحهم ؛ وذُعروا أشد الذعر، ثم أصدروا المرسوم. فبعد أن أغدقوا على

---

[1]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*: « *Insectatus est famam Macrini crudeliter, sed multo magis Diadumeniani, quod Antoninus dictus est, Pseudoantoninum, ut Pseudophilippum, eum appellans ; simul quod, quum luxuriosissimus extitisset, vir fortissimus, optimus, gravissimus, severissimus diceritur*. (…) ».

[2]– بخصوص مكسيموس والرسالة، انظر: *تاريخ ديون*، LXXVIII، 14 و 36.

[3]– كان كل الأباطرة تقريبا يتلقبون بهذه الأسماء، وذلك منذ عهد كومود.

مكران (Macrin) وابلاً من الثناء، أشبعوه شتماً وكأنه عدو الشعب، هو وابنه[1] ؛ وطروطاس (Tarautas) الذي أرادوا عدة مرات أن يعلنوا أنه عدو[2]، فإنهم مجّدوه حينذاك، وتمنوا أن يشبهه ابنه.

3- [...]

[...] وبما أنه قام بعمل يليق بإمبراطور طيب، فعدد كبير من الخواص، بالفعل، ومن الشعوب، ومن الرومان (les Romains) [...] قاموا كخواص أو كرجال دولة، كما أثبتت رسائل مكران (Macrin) ذلك، بإهانة كراكالوس (Caracallus) وإهانته هو بنفسه، بالقول أو بالفعل ؛ أعلن أنه لن يعاقب، ولم يعاقب فعلا أي أحد، بالرغم من أنه في باقي تصرفه، بالغ في الخلاعة والظلم والقسوة إلى درجة أن بعض التصرفات التي كانت مجهولة تماماً في روما (Rome)، تصرفها الناس وكأنها تصرفات أجدادنا، وأن الجرائم التي ارتكبها الآخرون على انفراد في أماكن شتى، ظلت تقترف بكثرة خلال الثلاثة أعوام والتسعة أشهر والأربعة أيام التي استغرقها ملكه، ابتداء من المعركة التي تمكن بفضلها من الاستيلاء على السلطة العليا. وفي سوريا (la Syrie)، سفك دماء نيستور (Nestor) وفبيوس أغريبينوس (Fabius Agrippinus) واليي هذا الإقليم، كما سفك دماء أبرز الفرسان الذين كانوا يحيطون بمكران (Macrin) ؛ وفعل الشيء نفسه في روما بخصوص أولئك الذين انتصروا بحماس لقضية هذا الأمير. وفي الجزيرة العربية (Arabie)، سفك دم بيكاس كيريانوس (Picas Cærianus) الذي كان على رأس إدارة هذا البلد، لأنه لم ينحز على الفور إلى حزبه. وفي قبرص (Cypre)، قتل كلاوديوس أطّالوس (Claudius Attalus) الوالي الأسبق لتراقيا (la Thrace) الذي كان سفير (Sévère) قد طرده من مجلس الشيوخ خلال الحرب ضد نيجر (Niger)، ثم رده طروطاس (Tarautas) إلى منصبه في هذا المجلس ؛ وشاء القدر بعد ذلك أن يصبح على رأس إقليم قبرص[3] (Cypre)، لأنه كان قد أهان كومازون (Comazon). وبالفعل، لما كان هذا الأخير

---

[1]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 3 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[2]- *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVIII، 17؛ 28.

[3]- كانت قبرص في البداية ولاية تابعة لقيصر، ثم أصبحت خاضعة للشعب، وذلك منذ عهد أغسطس؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LIII، 12.

يعمل فيما مضى في تراقيا (la Trhace) ، أدبه أطّالوس (Attalus) بجعله يخدم بين الجدافين[1]، بسبب إخلاله بواجبه.

4- وبخُلقه هذا، تولى كومازون (Comazon) (وهو الاسم الذي استأهله كممثل إيمائي وبهلول) قيادة الحرس الإمبراطوري، بالرغم من كونه لم يتقلد أبداً منصب وال أو حاكم، باستثناء منصب حاكم المعسكر ؛ ومُنح حلّة القنصليين، ثم عُين قنصلاً. كما تقلد أيضاً منصب وال حضري، ليس مرة واحدة فقط، بل مرة ثانية وثالثة، وهو ما لم يقع أبداً لأي أحد فيما مضى ؛ وكان هذا الأمر أيضاً من بين الأعمال غير القانونية التي اقترفت في هذا العهد. فأطّالوس (Attalus) قُتل إذن بسبب كومازون (Comazon) ؛ أما طريكيانوس (Triccianus)، فكان سبب قتله الحلبانيون (les Albaniens) الذين كان يقودهم بقسوة في عهد مكران (Macrin)، وأيضا لأنه كان رجل عمل، وكان معروفاً لدى عدد كبير من الجند بسبب الوظائف التي شغلها، وكذا بسبب الألفة التي كانت تجمعه بأنطونينس (Antonin) ؛ وهو ما أهله لأن يُرسل إلى الأمام، إلى بيثنيا (la Bithnie) حيث استقر ؛ وكان مكران (Macrin) قد اتخذ قرار إرساله هذا بعد تفكير عميق. وقتل المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) أطّالوس (Attalus) بالرغم من أنه كان قد كاتب مجلس الشيوخ بشأنه قائلا أنه استدعاه إلى روما التي كان مكران (Macrin) قد أبعده منها، شأنه شأن يوليوس أسبير[2] (Julius Asper)، كما قتل سيلا (Sylla) الحاكم الأسبق لكابادوكيا (la Cappadoce)، بالرغم من أنه كان قد غادر هذا الإقليم لأنه كان من بين من يحوك بعض الدسائس، ولأنه لما أمره المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) بالالتحاق بروما (Rome)، ذهب للقاء الجنود الغاليين (Gaulois) الراجعين إلى ديارهم بعد قضائهم فصل الشتاء في بيثنيا (la Bithnie) حيث أثاروا بعض الفتن. ولهذه الأسباب قُتل هذان الشخصان، بدون أن يشعر السيناتو بذلك. أما سيجوس كاروس (Séjus Carus)، حفيد فوسيانوس[3] (Fuscianus) الذي كان حاكم روما (Rome) فيما مضى، فقتل لأنه كان غنياً ورجلاً عظيماً وذكياً ؛ وكانت الذريعة في ذلك أنه أثار تمرد جنود فرقة

---

[1]- كانت توجد في الجيش الروماني فرق تختلف مكانتها من فرقة لأخرى، وكانت فرقة الجذافين أدنى هذه الفرق مرتبة، فعندما كان يتخذ إجراء تأديبي في حق بعض الجنود، فإنهم كانوا يلحقون بفرقة الجذافين.

[2]- هو نفسه الذي عوضه مكران بأنيكيوس فيستوس (Anicius Festus) على رأس إدارة آسيا؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVIII ، 22.

[3]- ربما هو نفسه الذي كان رفيقا للدراسة لمرقس- أنطونينس (كابيتولان، 3)، وقنصلا للمرة الثانية في عهد كومود (لامبريد، 12)، وحاكما لروما في عهد برتناكس (كابيتولان، 4)، وقد وصف كحاكم قاس.

حلبا (Albe) العسكرية. وبما أن الأمير بمفرده هو الذي كان يتهمه، فإن قضيته حوكمت في القصر حيث قُتل. وقُتل فليريانوس بيتوس (Valérianus Pætus) لأنه أمر بأن تصنع لنفسه صوراً من الذهب قصد زينة خليلاته. وأدى عمله هذا إلى اتهامه، في الوقت نفسه، بنية الذهاب إلى كابادوكيا (la Cappadoce)، الإقليم المجاور لوطنه (لأنه كان غالاتياً (Galate)، لإثارة عصيان الجند، ولأنه لبلوغ قصده، صنع قطعاً نقدية نقشت عليها صورته.

5- وبالإضافة إلى هؤلاء، حكم مجلس الشيوخ بالإعدام على سيليوس ميسالا (Silius Messala)، و بومبونيوس باسوس (Pomponius Bassus) بتهمة استهجان سلوكه، حسب زعم الإمبراطور. ولم يكن يستحيي من إطلاع السيناتو كتابة على هذه الأحداث، وكان ينعته بفاحص حياته ومراقب ما كان يجري في القصر، وكان يضيف : « أما فيما يتعلق بالأدلة على مآمرتهما، فلم أبعثها لكم، فلا فائدة من قراءتها والحال هذه، لأنهما في عداد الموتى». وكان هناك أيضاً سبب خفي دفعه لقتل هذين الشخصين : فأما ميسالا (Messala) فلقد دافع بقوة عن رأيه مراراً في السيناتو، وبالتالي بعثه منذ البداية إلى سوريا (la Syrie) وكأنه كان في أمس الحاجة لخدمته هناك، وذلك خوفاً من أن يُرجِّح رأياً مخالفاً لرأي الإمبراطور في هذه الجمعية ؛ وأما باسوس (Bassus)، فإن زوجته كانت جميلة وكريمة الأصل (فهي حفيدة كلاوديوس سيفيروس (Claudius Sévérus) ومرقس-أنطونينس[1] (Marc-Antonin) ؛ وتزوجها دون أن يسمح لها بأن تبكي مُصاب زوجها، فلقد كان يرعبها إلى هذا الحد. وسيُحكى بعد قليل عن الزفاف الذي كان خلاله زوجاً وزوجة في الوقت نفسه، لأنه كان يقوم بدور الرجل والمرأة، ويقوم بهذا الدور وذاك بوقاحة يعز نظيرها [...].

---

[1]- إذا كانت زوجة باسوس (Bassus)، أنّيا فوسطينا (Annia Faustina) حفيدة (أو بنت حفيدة) مرقس-أنطونينس (Marc-Antonin)، فإن أمها كانت، بالضرورة، إحدى أخوات كومود؛ (هيروديان V ،14). ثلاث منهن معروفات لدينا وأزواجهن، ويتعلق الأمر بلوكييا (Lucilla)، أرملة فيروس (Vérus) وزوجة كلاوديوس بومبيانوس(Claudius Poméianus)، فديلّة (Fadilla)، التي كانت تحت أنستيليوس بوروس (Anstitius Burrus)، والثالثة، زوج بيترونيوس ميرتينوس (Pétronius Mamertinus)؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXII ، 3 ؛

Lampride, Vie de Commode, 5, 6 et 7 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 14.

6- [...] قتْل غنيس (Gannys) الذي هيأ عصيان الجند، واستصحبه إلى المعسكر، ومكّنه من الانتصار على مكران (Macrin) ؛ ولقد ارتكب بنفسه قتْل غنيس (Gannys) هذا الذي كان زوج حاضنته وولي أمره، في نيكوميديا (Nicomédie) منذ بداية ملكه، وجعلت منه هذه الجريمة أكفر الناس بنعمة. وكان غنيس (Gannys) يعيش في غاية الميوعة، ويتلقى الهدايا بكل طيبة خاطر ؛ إلا أنه لم يؤذ أي أحد قط، بل إنه أغدق نعماً كثيرة على العديد من الناس، والأهم من ذلك أنه كان متفانياً في خدمة أميره ؛ وكانت ميسا (Mæsa) وسوايميس (Soæmis) ممتنتين له كل الامتنان، الأولى لأنه رباها، والثانية لأنه كان يساكنها إن صح القول. ولكن الإمبراطور لم يقتله لهذا السبب، فلقد كان يريد أن يعقد معه عقد نكاح، وأن يسميه قيصراً (César) ؛ إنه قتله لأن غنيس (Gannys) كان يحثه على ضبط النفس والتحلي بالحكمة. وكان الأمير بنفسه أول من جرح بيده غنيس (Gannys)، نظراً لأن أي أحد من الجند لم يجرؤ على البدء بالاعتداء. هكذا جرت الأمور.

7- [...] وسيق إلى التعذيب كل من فيروس (Vérus) الذي طمح هو أيضاً إلى السلطة العليا، وكان على رأس الفرقة العسكرية الثالثة "الغليقية"[1] (Gallica)، ومكسيموس جيليوس (Maximus Gellius) للسبب نفسه، بالرغم من أنه لم يكن إلا ملازماً أولاً في الفرقة العسكرية الرابعة "السيتيكية" (Scythica)، في سوريا الثانية (la seconde Syrie) [العليا][2]. ولقد قلبت أوضاع الدولة رأساً على عقب حتى أن هذين الضابطين اللذين أصبح أحدهما عضواً في مجلس الشيوخ بعد أن كان قائد مائة، وكان الثاني ابن طبيب، بدآ يخططان للوصول إلى الملك. وإذا اقتصرت فقط على ذكرهما، فليس لأنهما الوحيدان اللذان تهورا إلى هذا الحد، بل لأنهما كانا ينتميان إلى السيناتو ؛ وكان شخص آخر، ابن قائد مائة، قد حاول أيضاً أن يثير الفتنة في هذه الفرقة العسكرية نفسها "الغليقية" (Gallica) ؛ بينما حاول شخص لم يكن إلا حائك صوف أن يثير عصيان الجند في الفرقة الرابعة، وحاول

---

[1]- وهي الفرقة نفسها التي تحدث عنها ديون خلال الصراع بين فتيليوس (Vitellius) وفيسباسيان (Vespasien) على الإمبراطورية؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXV ، 14.

[2]- حسب ديون، كانت الفرقة العسكرية الثالثة (Gallica) في عهده تعسكر في فينيقيا (كانت فينيقيا تشكل جزءا من سوريا)، والفرقة العسكرية الرابعة (Scythica) في سوريا؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LV، 23. وبالتالي، فعندما يتحدث ديون هنا عن الفرقة الرابعة، فإنه يقصد تلك التي كانت تعسكر في ما كان الرومان يسمونه بسوريا العليا (la Syrie Supérieure) التي كانت تقع أمام فينيقيا، والممتدة من فينيقيا إلى سيليسيا (la Cilicie)، إلى غاية جبل أمانوس (Amanus)، فيما وراء الفرات.

آخر من عامة الناس أن يفعل الشيء نفسه بين جنود الأسطول الراسي في سزيكا[1] (Cyzique)، بينما كان المنتحل اسم أنطونينس (le faux Antonin) في مشتاه في نيكوميديا (Nicomédie). وتمت أيضاً محاولات أخرى في أماكن شتى ؛ وضد كل أمل، ومن غير أن يكونوا أهلاً لذلك، تهافت العديد من المتمردين على السلطة العليا، وداسوا بأرجلهم الطريق المؤدية إليها وعبّدوها لأولئك الذين كانوا يريدون المُلك وتجرؤوا على العصيان. ولن يرفض تصديق كلامي هذا أي أحد ؛ [...]. فلقد سمعته من أفراد عاديين، من رجال جديرين بالثقة. أما الأحداث المتعلقة بالأسطول، فإني دونتها انطلاقاً من الأخبار الصحيحة التي استقيتها من بيرغمون[2] (Pergame)، المدينة الواقعة بالقرب من الأماكن [التي جرت فيها الأحداث]، والتي كان مكران (Macrin) قد أسند إلي إدارتها وإدارة سمرنه[3] (Smyrne) أيضاً ؛ وهو السبب الذي جعلني لا أشك في أي حدث من الأحداث الأخرى.

8- هذا فيما يتعلق بالدم المراق، أما فيما يخص ما فعله إليغابال (Elégabale) ضد تقاليد الأجداد، فإنها أمور بسيطة لم تضرنا ضرراً هاماً ؛ لكنه أدخل أشياء جديدة مخالفة لأعرافنا، متخذاً لنفسه، كما قلت ذلك، ألقاباً تتعلق بسلطته[4]، وذلك قبل أن تمنح له، ومُحلاً نفسه محل مكران (Macrin) في القنصلية من غير أن يتم انتخابه، وهو ما لم يتمكن منه أبداً (وبالفعل، فهذه القنصلية كان قد انقضى أجلها)، وذلك بالرغم من أنه في البداية كان قد أعلن في ثلاث رسائل أن السنة، ابتداء من قنصلية أدفينتوس (Adventus)، قد انصرمت خلال قنصلية أدفينتوس (Adventus) وحده، وحاول أن يصبح قنصلاً للمرة الثانية، من دون أن يتقلد فيما مضى منصباً ولا رموز منصب ؛ وأخيراً لأنه لما كان في نيكوميديا

---

[1]- يحدثنا طاسيط عن أسطول كان يرابط في البحر الأسود في عهد فيسباسيان. ويضيف جوزيف أن دور هذا الأسطول كان يكمن في إخضاع سكان ضفاف البوسفور والبحر الأسود. وهذا، على الأرجح، هو الأسطول الذي استخدمه سيفير في حصار بيزنطة؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXIV ، 12؛
Tacite, *Histoires*, II, 83 ; III, 47 ; F. Josèphe, *Guerre des Juifs*, II, 16, 345 :« Parlerai-je des Hénioques, des Colques, de la race des Tauriens, des gens du Bosphore, des riverains du Pont-Euxin et du lac Méotide ? Ces peuples, qui jadis ne connaissaient pas même un maître indigène, obéissent maintenant à 3000 fantassins ; 40 vaisseaux longs suffisent à faire régner la paix sur une mer naguère inhospitalière et farouche ».

[2]- كانت بيرغمون (Pergame) تقع في ميسيا (Mysie)، بآسيا العليا، بالقرب من نهر كيبك (Caïque).

[3]- تقع سمرنه (Smyrne) في إيونيا (Ionie)، جنوب مصب نهر الهيرموس (l'Hermus)، وكانت المدينتان قريبتين إذا من سيزيك (Cyzique)، حيث كان يرسو الأسطول.

[4]- انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب الذي ذكر فيه ديون الألقاب التي اتخذها إليغابال لنفسه : إمبراطور، وقيصر، والتقي، الخ.

(Nicomédie)، لم يرتد [وهو يشغل منصب قنصل] [يوم الأماني (le jour des Vœux) حُلة نصر] [...].

9- وكان قد تزوج كرنيليا بولا (Cornélia Paula) عن قصد، كما قال، حتى يصبح أباً في أقرب وقت ؛ بيد أنه لم يكن كامل الرجولية. وخلال الاحتفال بهذا العرس، تم الإنعام بالعطايا ليس فقط على مجلس الشيوخ والفرسان، بل وأيضاً على زوجات السيناتوسيين. وأقيمت مأدبة للشعب بلغت تكاليفها مائة وخمسين دراخمة، كما أقيمت أخرى للجند فاقت تكاليفها المائة دراخمة ؛ كما أنعم على الشعب بتنظيمه صراعات المجالدين التي حضرها مرتدياً حلة النبلاء، وهو ما كان يفعله أيضاً لما كان يحضر لمشاهدة الألعاب النذرية (les jeux votifs). وتم أيضاً قتل عدد من الحيوانات، كان من بينها فيل وواحد وخمسون ببراً، وهو عدد لم يقتل أبداً في مرة واحدة. ولما طلق بعد ذلك بولا (Paula)، بذريعة اللمعة التي كانت على جسدها، تزوج بأكويليا سيفيرا (Aquilia Sévéra) مخالفاً بزواجه هذا القانون مخالفة صريحة، لأنه دنس عرض هذه الفيستالية (Vestale) تدنيساً فاضحاً[1]. ولقد تجرأ على القول: « فعلت ذلك حتى يولد صبية مؤلهون مني، أنا الحبر الأكبر، ومنها هي، الفيستالية الكبرى » ؛ ولم يكن يخشى الافتخار بخرق المحارم كما فعل، وهو خرق كان من المفروض أن يعاقب عليه بالجلد في ميدان روما (le Forum)، ثم يُزج به في السجن ويقتل فيه[2]. لكنه لم يعش معها لمدة طويلة، واتخذ زوجة أخرى، ثم ثانية وثالثة[3]، ورجع بعد ذلك إلى سيفيرا (Sévéra).

10- ووقعت في روما (Rome) معجزات، من بينها معجزة تمثال إزيس[4] (Isis) الواقع في أعلى معبد هذه الإلهة، حيث مُثلت محمولة فوق كلب ؛ فلقد أدار هذا التمثال وجهه في اتجاه داخل [المعبد]. أما سَردنبال (Sardanapale)، فإنه كان ينظم صراعات المجالدين وألعاباً عديدة، وهي الألعاب التي تألق خلالها الرياضي أوريليوس أيليكس (Aurélius Ælix). وبالفعل،

---

[1] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 14.

[2]- وهو العقاب الذي كان يُنزل بمن يجامع فيستالية.

[3]- وكانت ثالثتهن أنّيا فوسطينا (Annia Faustina)؛ انظر: الفصل الخامس من هذا الكتاب، الهامش:1.

[4]- لقد اشتهرت عبادة الإلهة المصرية إزيس في روما بصفة خاصة في عهد كومود، ثم كركلوس واليجبل من بعده. ولقد بنى لها كركلوس معابد رائعة. ويمثل "اللوح الإيزي" (La Table Isiaque) هذه الإلهة قاعدة فوق عرش، صحبة كلب تحت عرشها؛ راجع:

Spartien, Vie de Niger, 6 ; Vie de Caracalla, 9 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 2 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

لقد كان أقوى من خصومه إلى درجة أنه أراد في أوليمبيا (Olympie) أن يشارك في المصارعة وكذا في المصارعة اليونانية القديمة (le pancrace) ؛ وأنه خلال الألعاب الكابيتولينية (les jeux Capitolins) أحرز هذا النصر المزدوج. وبما أن الإيليين (les Eléens) بالفعل كانوا يحسدونه ويخشون (كما يقول المثل) أن يكون [المنتصر] الثامن بعد هرقل (Hercule)، فإنهم لم يستدعوا أي مصارع إلى الملعب، بالرغم من أنهم كانوا قد اقترحوا هذا الصراع في الإعلان. ولكن في روما، أحرز أيليكس (Ælix) النصرين معاً، وهو ما لم يكن قد أحرزه أي أحد فيما قبل.

11- ومن بين الأمور التي تجلى فيها خرقه الفاضح للقوانين، عبادة إليغابال (Elégabale)، ليس فقط بسبب إدخاله إلهاً أجنبياً إلى روما، وتكريمه تكريماً عظيماً لم يعرف من قبل، بل وأيضاً لأنه سما به وجعله يتفوق على يوبتر (Jupiter) نفسه[1]، ثم خص نفسه بالكهنوت لخدمته[2]، لأنه كان مختوناً[3] ويمتنع عن أكل لحم الخنزير، [وكأن هذا الامتناع سيجعل عبادته أكثر تطهراً] ؛ وأيضاً بسبب اللباس الباربارى الذي كان يرتديه عادة كهنة سوريا[4] (la Syrie)، والذي كان يشاهَد غالباً وهو يلبسه، حتى أمام الناس، وهو ما ساهم خاصة في إطلاق لقب أشوري (Assyrien) عليه. وهذا دون الحديث عن الترانيم البارباربة التي كان سَردنبال (Sardanapale) يغنيها صحبة أمه وجدته على شرف إليغابال (Elégabale)، والأضاحي السرية التي كان يتقرب بها إليه، بذبحه الصبية[5] ولجوئه إلى أعمال السحر، ناهيك عن الأسد والقرد والثعبان التي سجنها حيّة داخل معبد إلهه، والأعضاء التناسلية التي رماها فيه، وكل أعمال الكفر التي اقترفها، وكذا آلاف التمائم التي كان يستعملها.

---

[1]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 7; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 12 ; Aurelius Victor (Ps.), *Des Césars*, XXIII : « M. Aurèle Antonin Héliogabale (…) s'était réfugié dans l'asile inviolable du temple du Soleil, que les Syriens nomment Héliogabale ; de là le surnom que reçut le jeune prince. Il fit transporter à Rome la statue du dieu, et la plaça dans la partie la plus reculée de son palais. »

[2]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 1 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

[3]- كانت شعوب الشرق، بما فيها المصريون القدامى، تمارس الختان؛ انظر: هيرودوت، *الإستقصاء*، II، 37.

[4]- انظر وصف هذا اللباس في :

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 5.

[5]- Lampride, Vie d'Héliogabale, 8 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit*.

12- وعلاوة على كل هذه الأمور المستهجنة، كما قلت، خطب، وكان هذا الفعل منتهى السخرية، امرأة لإليغابال[1] (Elégabale)، وكأن هذا الإله كان في حاجة إلى زوجة وأبناء. ثم اشترط ألا تكون هذه الزوجة فقيرة ووضيعة النسب، فاختار والحال هذه أورانيا (Uranie)، إلهة القرطاجيين (les Carthaginois)، واستقدمها من قرطاج[2]، ثم بوّأها القصر، وجمع لها، كما فعل بالنسبة لزوجاته، هدايا الزفاف من كل رعايا الإمبراطورية. وكل هذه الهدايا التي أعطيت خلال حياته، تمت المطالبة بها فيما بعد كضريبة ؛ أما فيما يتعلق بالصداق، فإنه أعلن أنه لم يتسلم إلا أسدين من الذهب تم صهرهما. [ونصب المنتحل اسم أنطونينس (le faux Antonin) تمثالاً ذهبياً عجيباً بالنظر إلى عدد زخارفه وتنوعها.] [وكان قد وجد أموالاً طائلة في خزينة الإمبراطورية، فأنفقها عن آخرها، ولم تعد المداخيل كافية لتغطية النفقات.]

13- إلا أن سَردنبال (Sardanapale) هذا الذي كان يريد أن يجمع بين الآلهة بنكاح شرعي، كان يسلك سلوكاً في غاية الانحراف. فلقد تزوج عدة نساء، واختلى بعدد كبير منهن خلوة غير شرعية، ليس لأنه كان في حاجة إليهن، ولكن لتقليد حركاتهن عند مضاجعته العشاق، وحتى تكون له بمخالطتهن، شريكات في فواحشه. ولقد كان فجوراً وأتى أموراً شنيعة لا تحصى، ولا يمكن لأي أحد أن يجرؤ على سرد وقائعها ولا سمعها ؛ ولكن هاهي أبرز فضائح خلاعته التي لا يمكن لأي كان أن يسترها. فلقد كان يدخل ليلاً إلى الخمارات بشعر مستعار، ويقوم فيها بدور الخمارة. وكان يرتاد المواخير الشهيرة حيث كان يمارس الدعارة بعد طرده العاهرات منها. وجهز أخيراً جناحاً في القصر حيث كان يأتي الفاحشة، واقفاً بلا انقطاع، وعرياناً في باب هذا الجناح كالبغايا، مسدلاً الستار المعلق بحلقات ذهبية، وداعياً المارين إلى الفحش كما تفعل القحاب بصوتهن الرخيم الجذاب. وكان هناك ناس كُلفوا بالتظاهر بالانجذاب إليه، لأنه بالنسبة لهذا الأمر، وللأمور الأخرى، كان في خدمته لهذا الغرض عدد كبير من الكشافين كانوا مكلفين بالبحث عن أولئك الذين كان بإمكانهم، نظرا لقلة حيائهم، أن يشبعوا تهافته على اللذة. وكان يأخذ منهم المال ويتباهى بأرباحه ؛

---

[1]- **Hérodien,** ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre V, 15 ; Lampride, Vie d'Héliogabale, 6 ;** ***in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.***

[2] - **Hérodien,** ***Histoire romaine, op. cit.,*** **Livre V, 15-16.**

كما كان دائم الحديث مع المتهتكين من رفاقه في الخلاعة، وزاعماً أنه يفوقهم في عدد عُشاقه، ويجمع مالاً أكثر من مالهم.

14- وكان هذا هو السلوك الذي يسلكه على السواء، مع كل من كان على علاقة به، وهو ما لم يمنعه من خص نفسه بزوج له، أراد أن يجعل منه، لهذا السبب، قيصراً (César). وكان يقود العربات بزي أخضر، في حياته الخاصة داخل محل سكناه، إن صح أن يطلق على هذا المحل اسم سكنى ؛ حيث كان رؤساء الألعاب المقدسة اليونانية (les agonothètes) المحيطين به يتكونون من سادة المواطنين في حاشيته، من فرسان وقيصريين (Césariens) ونائبي الولاية بنفسيهما، وجدته وأمه وزوجاته، بالإضافة إلى أعضاء من مجلس الشيوخ، كان يوجد من بينهم ليون (Léon) حاكم روما. وكانت هذه الشخصيات تشاهده يقود عربة، ويطلب نقوداً ذهبية وكأنه مصارع عادي، وينحني باحترام أمام رؤساء الألعاب المقدسة اليونانية والجند[1].

ولما كان يقضي بين الناس، كان يظهر في مظهر الرجل إلى حد ما ؛ وفي الحالات الأخرى كان يتخايل بحركاته ونبرة صوته. على كل حال، كان يشبه الراقص، ليس فقط في المسرح، بل وحتى في مشيته، وعندما كان يضحي ويسلم ويخطب في الشعب[2]. وأخيراً، وحتى أستأنف حديثي، فلقد تزوج، وسمى نفسه امرأة وخليلة وإمبراطورة[3]، وكان يغزل الصوف، ويلبس أحيانا طرحة ؛ وكان يجمل جفنيه الأعليين[4]، ويتدهن بالإسبيداج ويملون أبيض. وذات يوم، حلق ذقنه، وأقام حفلة بهذه المناسبة[5] ؛ وبدأ منذ ذلك الوقت ينتف شعره

---

[1]- وكان يقلد في كل ذلك كركلوس؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII ، 10.

[2] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.,* Livre V, 13.

[3]- Aurelius Victor, *Epitomé,* XXIII : « Comme l'impuissance de son extrême jeunesse ne lui permettait pas encore d'assouvir sa passion pour le, libertinage, il la tourna contre lui-même, et se fit appeler du nom de femme Bassiène, au lieu de Bassien.»; Dion Cassius, *Histoire romaine,* LXII, 6 : « (…) aujourd'hui, Néron a bien un nom d'homme, mais, en réalité, c'est une femme; et la preuve, c'est qu'il chante, qu'il joue de la lyre et s'occupe à se parer ».

[4] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.,* Livre V, 16 : « (…) il ne se souciait nullement de cacher ses vices ; il se peignait les yeux, se fardait les joues, défigurait par des teintures indécentes la beauté naturelle de son visage, et dans cet état s'exposait aux yeux du peuple ».

[5]- فعل كما فعل نيرون من قبله، انظر:

Dion Cassius, *Histoire romaine,* LXI, 19 : « (…) Ensuite, il institua un autre genre de fête, qu'on appela les Juvénales, c'est-à-dire fête de la jeunesse, et cette fête fut célébrée en l'honneur de son menton. Car il se fit alors raser la barbe pour la première fois, et il en consacra les poils à Jupiter Capitolin, après les avoir renfermés dans une boule d'or ».

حتى يكون بذلك أشبه بالمرأة أكثر. وغالباً ما كان يستقبل السيناتوسيين للسلام عليه وهو مضطجع.

15- وكان زوج هذه المرأة يسمى هييروكليس (Hiéroclès)، وهو عبد كاري (carien)، [وغلام سابق لغورديوس (Gordius)]، كان قد علمه قيادة العربات. ولقد عشقه [الإمبراطور] في ظروف غريبة جرت كالتالي : خلال ألعاب السيرك، سقط هييروكليس (Hiéroclès) من عربته ووقع بالقرب من كرسي سَردنبال (Sardanapale)، تاركاً في سقطته هاته خوذته تتدحرج. وما أن رآه الأمير (وكان حليق الذقن، ومزيناً بشعر مستعار أشقر)، حتى اختُطف على الفور ليحمل إلى القصر، وليصبح بفضل فجوره خلال الليل سيد الأمير والمتحكم في هواه، وبُوِّئ مكانة عظيمة إلى درجة أن سلطته أضحت تفوق سلطة الإمبراطور نفسه ؛ حتى أنه لما استقدم الجند أمه إلى روما، وكانت ما زالت أمة، وعُدّت من بين الزوجات اللائي كان أزواجهن قناصل، اعتُبر ذلك وكأنه أمر لا يؤبه له. وبالفعل، غالباً ما منح إليغابال (Elégabale) لأشخاص آخرين تكريمات ومكنهم من النفوذ ؛ بعضهم لأنهم شاركوه في تمرده، والبعض الآخر لأنهم كانوا عشاقه، لأنه كان يريد أن يشتهر بكونه له عشاق، حتى يقلد بذلك النساء الأكثر خلاعة. وغالباً ما كان يعمد لأن يُضبط متلبساً، وهو ما كان يُعرضه لسب زوجه سباً قبيحاً، وكذا لضرباته التي كانت آثار كدماتها تحت عيونه. ولم يكن يحب هذا الزوج حباً عابراً، بل كان يجد به وجداً شديداً تضطرم ناره في نفسه اضطراماً، حتى أنه عوض أن يغتاظ من هذه المعاملة، كان يهيم به أكثر فأكثر، بل إنه كان يريد في الواقع أن يعينه قيصراً (César)، وهدد جدته التي كانت تعترض على هذا التعيين[1]، وعرّض نفسه لهذا السبب – الذي لم يكن أقل خطورة من الأسباب الأخرى – لبغض الجنود[2]. وكانت هذه الأمور المستهجنة سبب هلاكه.

---

[1]- حسب هيروديان، رفض إليجبل لما أصبح إمبراطورا، نصائح جدته ونصائح الآخرين بخصوص تصرفاته المشينة، بالرغم من كونه غالبا ما كان يذهب إلى المعسكر والسيناتو بصحبتها، حتى يستفيد من الاحترام الذي كانت تحظى به هذه المرأة نظرا لمكانتها، وهو الاحترام الذي لم يكن ليحظى به بسبب سيرته. وظل هذا الإمبراطور خاضعا لأمه (Soæmis) التي كانت متمكنة عنده، والتي كانت تعيش كإحدى الخليلات؛ ولم يكن يأتي شيئا دون الأخذ برأيها؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.,* Livre V, 12 ; Lampride, Vie d'Héliogabale, 2 et 12 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- بتوسله إليهم ليتركوا له على الأقل صاحبه هذا على قيد الحياة، لما هموا بقتله وقتل باقي السفلة من شركائه في الخلاعة؛ انظر: الفصل 19 من هذا الكتاب.

16- أما فيما يخص أوريليوس زوتيكوس (Aurélius Zoticus) الذي كان أصله من سمرنه (Smyrne)، والذي كان يسمى الطباخ (le Cuisinier)، بسبب مهنة أبيه، فلقد كان الإمبراطور ولهاناً من شدة وجده به، ثم بغضه بعد ذلك، وهو ما أنقذ حياته. وكان جسم هذا الرجل كامل الصفات بسبب مهنته كرياضي، وكان يتفوق على كل الرجال بضخامة جهازه التناسلي، فأعطى أوصافه للإمبراطور أولئك الذين كانوا مكلفين بهذا النوع من التفتيش، فأُبعد فجأة من المصارعة، وأُتي به إلى روما في احتفال رائع، فاقت فخامته الاحتفال الذي نظم على شرف أوغاروس[1] (Augaros) في عهد سفير (Sévère)، أو ذلك الذي نظم على شرف تيريدات (Tiridate) في عهد نيرون[2] (Néron) ؛ ثم عُين خادماً خاصاً للإمبراطور، قبل أن يراه هذا الأخير، وشرّفه بإطلاق اسم جده أفيتوس[3] (Avitus) عليه، وعصب التيجان فوق رأسه كما هو الحال خلال الحفلات الرسمية، ودخل إلى القصر على ضوء عدد كبير من المشاعل. ولما رآه الإمبراطور، نهض له مهرولاً، ولما خاطبه زوتيكوس (Zoticus)، كما كان ينبغي أن يخاطبه، بهذه الكلمات: « سلام عليك سيدي الإمبراطور ! »، أجابه هذا الأخير بدون أدنى تردد، وهو حاني رأسه بصورة أخّاذة كما تفعل النساء، وغامز له بعينه: « لا تقل لي سيدي ؛ فأنا عشيقتك». وبعد أن استحم معه على التو حيث وجده بمستوى شهرته، وزادت مشاهدته عارياً في شدة رغبته، فإنه استلقى على ركبتيه وتعشى وهو في حضنه وكأنه امرأة مولع بها. غير أن هييروكليس (Hiéroclès) تخوف من أن يصبح الأمير عبداً لهوى زوتيكوس (Zoticus) ويعشقه أكثر منه، ثم يلقى بعد ذلك منه شراً، جرياً على عادة المتنافسين في الحب، فكلف السقاة الذين كانوا أصحابه، بسقيه شراباً وتّر أعصابه. وسقط في يد زوتيكوس (Zoticus) لأنه عجز عن الانتصاب طول الليل، فجُرِّد من كل الهدايا التي تلقاها، ثم طُرد من القصر ومن روما، وطرد بعد ذلك من باقي إيطاليا، وهو فقدان حظوة مكنه من البقاء على قيد الحياة[4].

---

[1]- لقد ضاعت الفقرة التي تصف قدوم أوغاروس إلى روما في الفصل المخصص لحياة سيفير.

[2] - Dion Cassius, *Histoire romaine*, LXIII, 1 : « An de Rome 819. (…) d'un autre côté, Tiridate vint à Rome, amenant avec lui non seulement ses enfants, mais aussi ceux de Vologèse, de Pacorus et de Monobaze ; leur marche à travers tout le pays depuis l'Euphrate fut une sorte de marche triomphale. »

[3]- يوليوس أفيتوس (Julius Avitus)، زوج ميسا (Mæsa)، راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVIII ، 30.

[4]- لما قُتل كل شركاء الإمبراطور في الخلاعة؛ انظر الفصل 19 من هذا الكتاب.

17- أما بخصوص سَردنبال (Sardanapale)، فإنه لم يلبث أن لقي الجزاء الذي كانت تستحقه تصرفاته المعيبة. فبإتيانه مثل هذه الأمور والتساهل في ممارستها، فإنه جلب لنفسه بغض الشعب والجند، سنده الأساسي، وفي نهاية الأمر، لقي مصرعه على أيديهم في قلب المعسكر ؛ ولقد تم ذلك كالتالي: فلقد أتى بابن خالته بسيانوس (Bassianus) إلى مجلس الشيوخ، وأجلس إلى جانبه ميسا (Mæsa) وسوايميس (Soæmis)، ثم تبناه. وتباهى بسعادته حيث إنه أصبح فجأة أباً لطفل كهذا، وكأنه كان يكبره كثيراً في السن[1] ؛ ثم أعلن أنه لم يعد في حاجة إلى ابن آخر حتى تبقى أسرته في منأى عن المؤامرات، وأن إليغابال (Elégabale) أمره بأن يسير هذه السيرة، وأن يطلق على ابن خالته اسم الأسكندر (Alexandre). وفيما يخصني، فإني واثق من أن هذه الوقائع كانت نتيجة لتدخل الآلهة حقاً، مستنداً في ذلك ليس إلى أقوال الأمير، وإنما إلى ما كان قد قيل له بخصوص شخص يدعى الأسكندر (Alexandre)، سيأتي من حمص (Emésa)، وسيخلفه على العرش ؛ وأستند أيضاً إلى ما وقع في ميسيا العليا (la Mysie Supérieure) وفي تراقيا (la Thrace).

18- وبالفعل، قبل ذلك بقليل، ظهر جنّي ادعى أنه الأسكندر المقدوني (Alexandre de Macédoine) الشهير، وكان يحمل صورة هذا الأمير وكل جهازه، وانطلق من البلاد المجاورة للدانوب (l'Ister)، حيث لا أدري كيف ظهر، واجتاز آسيا (l'Asie) وتراقيا (la Thrace) على غرار باخوس (Bacchus)، ومصحوباً بأربعة مائة رجل مسلحين برماح [أو دبابيس مزينة بعناقيد العنب واللبلاب... وهي شعار باخوس] وبجلود النيوس، دون أن يسببوا في أي ضرر يذكر. وكل من كان آنذاك في تراقيا (la Thrace) مقتنع بأن كل ما يتعلق بالسكن والمؤن تم تزويده بها على نفقة المال العام ؛ ولم يجرؤ أي أحد، قائداً كان أو جندياً أو حاكماً أو والي إقليم، على الاعتراض عليه بالقول أو صده عن سبيله. وفي وضح النهار، كما كان قد أعلن ذلك، تقدم حتى بيزنطة (Byzance) على شكل موكب، إن صح التعبير، ثم عاد أدراجه

---

[1]- حسب هيروديان، (V ، 18)، كان سن إليجبل حوالي ستة عشر عاما، وسن الأسكندر اثنا عشر عاما؛ ولكنه في فصل آخر (V، 3)، يقول إن سن إليجبل كان حوالي أربعة عشر عاما، وسن الأسكندر عشرة أعوام. ولقد أشار لامبريد إلى هذا التبني، ولكنه أخطأ لما قال إن السيناتو سمى الأسكندر قيصرا مباشرة بعد مقتل مكران. وحسب هيروديان، فإن لقب قيصر مُنح للأسكندر لما عُين قنصلا؛ راجع:
Lampride, Vie d'Héliogabale, 13 ; 5 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.,* Livre V, 18.

من هذه المدينة، واتجه إلى أرض خلقدون (Chalcédoine)، وهناك اختفى عن الأنظار، بعد أن قام آناء الليل ببعض مراسم الذبيحة، ودفن في الأرض حصاناً خشبياً. ولقد اطلعت على هذه الأحداث وأنا ما زلت في آسيا (Asie)، كما ذكرت ذلك، قبل أن يتخذ في روما (Rome) أي إجراء في حق بسيانوس (Bassianus).

19- ولقد ظل سَردنبال (Sardanapale) على قيد الحياة ما دام محباً لابن خالته[1] ؛ لكنه لما بدأ يرتاب بالناس جميعاً، وعلم أن قلوبهم تميل إلى الأسكندر (Alexandre)، فإنه جرؤ على تغيير رأيه في ابن خالته، وفعل كل ما في جهده للتخلص منه[2]. وحاول ذات يوم أن يقتله، إلا أنه لم يفشل في قتله فحسب، بل كاد أن يُقتل محله، لأن الأسكندر (Alexandre) كانت تحرسه أمه وجدته والجند حراسة شديدة ؛ ولما انتبه الحرس الإمبراطوري إلى مكيدة سَردنبال (Sardanapale)، فإنهم أثاروا فتنة عظيمة لم تخمد إلا لما قدم سَردنبال (Sardanapale) صحبة الأسكندر (Alexandre) إلى المعسكر، وألح في استرحامهم، وأجبروه على تسليمهم رفاقه في الخلاعة للتعذيب[3] ؛ ثم استعطفهم بكلمات تثير الشفقة حتى يجنب هييروكليس (Hiéroclès) العذاب، وذرف دموعاً حرّى، ومد عنقه قائلاً: « أنقذوا لي هذا وحده، مهما كان رأيكم فيه، أو اقتلوني »؛ وتمكن بمشقة من ثنيهم عن عزمهم. وفي هذه المرة نال العفو، وإن لم يتمكن من ذلك إلا بعناء، لأن جدته كانت تبغضه بسبب تصرفه، ولأنه لم يكن الابن الحقيقي لأنطونينس (Antonin) وكانت تميل إلى الأسكندر (Alexandre)، وكأنه الابن الشرعي لهذا الأمير حقا[4].

20- ودبر بعد ذلك المكائد للأسكندر (Alexandre)، ولما دخل معه إلى المعسكر خلال تمرد الحرس الإمبراطوري بسبب محاولته هاته للكيد، وانتبه إلى أنه كان مراقباً بهدف قتله، ولما كانت أماهما تتصارعان علناً أكثر مما فعلتا في الماضي، وكانتا تهيجان الجند، فإنه فكر في الهرب. وكان سيفر مختبئاً في صندوق، لكنه اكتُشف وقُتل وهو ابن ثمانية

---

[1] - كان إليجبل يريد تعويد ابن خالته الأسكندر على طريقة حياته الخليعة، غير أن أم هذا الأخير (Mamée) كانت تحرص أشد الحرص على أن يتلقى ابنها تربية حسنة تليق بمقامه. وأحاطته، سرا، بأساتذة في كل العلوم والآداب الإغريقية واللاتينية، كما سهرت على ممارسته للرياضة البدنية حتى يبلغ أشده. فبقدر ما كان الإمبراطور ممقوتا، كان الأسكندر محبوباً؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 18.

[2] - Lampride, Vie d'Héliogabale, 13; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 19.

[3] - Lampride, Vie d'Héliogabale, 14-15 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[4] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 17.

عشر عاماً. وقتلت أمه معه[1]، وكانت تضمه بين يديها ؛ وجُزّ رأساهما، وبعد أن جردا من ثيابهما، تم سحبهما في كل المدينة، ثم رُميت جثة المرأة في مكان ما، و رُميت جثة سَردنبال (Sardanapale) في النهر[2].

21– ومن بين من قتل مع الإمبراطور، هييروكليس (Hiéroclès)، ونائبا الولاية، وكذا أوريليوس أوبولوس (Aurélius Eubulus) الذي كان أصله من حمص (Emésa)، والذي كان قد بلغ درجة من التهتك والخزي، ما دفع الشعب فيما مضى إلى المطالبة بتعذيبه. وبما أنه كان مكلفاً بالمحاسبة العامة، فلا شيء كان يُفلت من مصادرته. ولقد قتّله وقتئذ الشعب والجند تقتيلاً، وقُتل معه في الوقت نفسه فولفيوس (Fulvius)، حاكم روما. وخلف كومازون (Comazon) هذا الأخير، كما خلف سابقه[3]. وكان مَثل كومازون (Comazon) مَثل قناع من تلك الأقنعة التي تُعرض في المسرح في الوقت الذي يترك فيه الممثلون المكلفون بالتمثيل الخشبة فارغة، فكان يشغل المنصب الذي تركه حكام روما في عهده شاغراً. وأُبعد [الإله] إليغابال (Elégabale) من روما بشكل نهائي[4]. هكذا كان مصير تبيرينوس (Tibérinus)، وبالإضافة إلى ذلك، لم يبق حياً بعده أي أحد من أولئك الذين ساندوه في تمرده والذين كانوا يتمتعون بسلطة قوية في ظله، باستثناء واحد منهم[5].

---

[1] - Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre V, 23; Lampride, Vie d'Héliogabale, 17 : *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]– لذلك سمي فيما بعد بطراكطيطيوس (Tractitius) والتيبيري (Tiberinus)، نسبة لنهر التيبر الذي رميت فيه جثته؛ راجع:

Lampride, Vie d'Héliogabale, 17 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]– لم يعد كومازون حاكم روما، وذلك منذ زمن طويل، وهو ما مكنه من البقاء حيا بعد مقتل الإمبراطور إليجبل. وكان ديون قد اعتبر أمراً غريباً مسألة تعيين كومازون واليا حضريا ثلاث مرات؛ راجع: الفصل الرابع من هذا الكتاب .

[4]– يذكر هيروديان أن كل تماثيل الآلهة الأخرى التي أمر الإمبراطور المقتول بنقلها إلى معبد إلهه إليجبل، تمت إعادتها إلى أماكنها الأصلية؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre VI, 2.

[5]– قد يكون هذا الشخص أوتيكيانوس (Eutychianus) أو زوتيكوس (Zoticus)؛ راجع الفصل 16 من هذا الكتاب.

ملحـق

لقد احتقر الجند المنتحل اسم أنطونينس (le faux Antonin) وقتلوه، لأنه لما يتعود الناس، والمسلحون منهم احتقار أولئك الذين يمسكون بالسلطة، فإن حريتهم تصبح مطلقة لا حدود لها، ويحولون هذه الحرية إلى سلاح يشهرونه حتى في وجه من مكنهم منها.

وقال نفس الأمير ذات يوم : « لا حاجة لي مطلقاً في ألقاب تذكر بالحرب والدم ؛ فإني أكتفي باسمي التقي (Pieux) والسعيد (Heureux) اللذين أطلقتهما علي ».

وذات يوم قال المنتحل اسم أنطونينس (le faux Antonin) وهو يتقبل تهاني أعضاء مجلس الشيوخ : « أعلم أنكم تحبونني، وأقسم بيوبتر (Jupiter) أن الشعب يحبني كذلك، شأنه شأن كل من هو خارج الجيش ؛ لكن الحرس الإمبراطوري الذي أعطيه الشيء الكثير، لا ينظر إلي بعين الرضا ».

ولما كان الناس يهنئون المنتحل اسم أنطونينس (le faux Antonin) ويقولون له إن المرء يشعر بالسعادة وهو يشغل منصب قنصل مع ابنه، كان يجيب: « سأكون أسعد في السنة المقبلة لأنني سأكون قنصلاً مع ولدي الشرعي ».

كل عامة خفيفة العقل ميّالة إلى الفتن ؛ وعامة الشعب الروماني، بسبب عددها وتنوع الناس الأجانب الذين أُلحقوا بها، فإنها تتمرد بسهولة مقارنة بالعوام الأخرى، ولا تجد في تهورها صعوبة في اتخاذ قرارات طائشة.

الكتاب الثانون

1- ملك الأسكندر[1] (Alexandre) بعده مباشرة، وولى المدعو دوميتيوس أولبيانوس[2] (Domitius Ulpianus) قيادة الحرس الإمبراطوري وإدارة باقي الإمبراطورية. ولقد كتبت التفاصيل السابقة بكل الدقة التي كانت في استطاعتي ؛ أما فيما يخص التفاصيل الآتية، فلم يكن بقدرتي أن أرويها بدقة، بالنظر إلى قصر مدة مقامي في روما. فخلال قدومي من آسيا[3] (l'Asie) إلى بثنيا (la Bithnie)، مرضت ؛ ومن هناك ذهبت على عجل إلى إفريقيا (Afrique) لأقود الجيش ؛ ثم لما رجعت إلى إيطاليا، بُعثت على الفور، إن صح التعبير، إلى دلماسيا (la Dalmatie)، ومن هناك ذهبت لحكم بنونيا العليا la Pannonie (Supérieure)؛ ولما وصلت بعد ذلك إلى روما (Rome) وكمبانيا (la Campanie)، انطلقت على الفور عائداً إلى بيتي.

2- لهذا لم أتمكن من سرد الأحداث التالية بنفس الترتيب الذي رتبت به الأحداث السابقة ؛ غير أنني سأحكي بإيجاز كل تلك التي وقعت إلى غاية قنصليتي الثانية. فلقد تمكن أولبيانوس[4] (Ulpianus) من تصحيح العديد من البدع التي أدخلها سَردنبال (Sardanapale) ؛ لكن بما أنه كان وراء قتل فلافيانوس (Flavianus) وكريستوس (Chrestus) حتى يخلفهما، فإنه قُتل هو الآخر بعد ذلك بقليل، خلال الليل، بسبب مؤامرة الحرس الإمبراطوري، بالرغم من أنه جرى إلى القصر ليحتمي بالإمبراطور وأمه[5]. وخلال حياته،

---

[1]- انظر بخصوص هذا الاسم الذي أطلق على ابن مامي (Mamée) الفصل 17 من الكتاب التاسع والسبعين.

[2] - Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 26 ; 31 ; 51 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- سبق لديون أن حدثنا عن إسناد مكران له إدارة بيرغمون (Pergame) وسمرنه (Smyrne)؛ انظر: تاريخ ديون، الكتاب LXXIX، 7.

[4] - Lampride, Vie d'Héliogabale, 16 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; Aurélius Victor, *Des Césars,* XXIV, 6.

[5] - Zosimus, *L'Histoire nouvelle,* livre I, 11 : « Alexandre, issu de la famille de Sévère, fut élu en sa place. Comme il faisait paraître d'excellentes qualités dans une grande jeunesse, on conçut de bonnes espérances de son gouvernement, quand on vit qu'il avait donné la charge de préfet du prétoire à Flavien et à Chreste, qui avaient tous deux assez d'expérience de la guerre, et beaucoup de capacité pour toutes les autres affaires. Mais Mammée, sa mère, leur ayant donné pour collègue Ulpien, excellent jurisconsulte et grand homme d'état, les soldats, irrités de son élévation,

ولسبب تافه، نشب خلاف خطير بين الشعب والحرس الإمبراطوري أدى إلى قتال استغرق ثلاثة أيام، وسقط خلاله عدد هام من الموتى من كلا الجانبين. وقام الجنود الذين كانوا منهزمين بإضرام النار في المباني ؛ وبعد ذلك خاف الشعب من أن تُحرق المدينة عن آخرها، فتصالح معهم مكرهاً. هذا ما جرى، وبالإضافة إلى ذلك، فبما أن إباغطوس[1] (Epagathos) كان السبب الرئيس في قتل أولبيانوس (Ulpianus)، فإنه بُعث إلى مصر (Egypte) بذريعة حكمها، وذلك خشية من أن يؤدي عقابه إلى نشوب فتنة في روما ؛ ثم نُقل بعد ذلك من مصر إلى كريت (Crète) حيث لقي جزاءه.

3- ولقد تم إخماد عدة فتن نشبت وسط عدة شعوب[2]، بعضها كان في غاية الخطورة ؛ ولكن ما جرى في بلاد الرافدين (la Mésopotamie)، كان الأكثر ترويعاً، وسبب في خوف حقيقي للجميع، ليس فقط في روما (Rome)، بل وفي الأقاليم أيضا[3]. وبالفعل، قام فارسي (un Perse) يسمى أرطاكسيركسيس[4] (Artaxerxès) بهزم الفارثيين (les Parthes) في ثلاث معارك، وقتل ملكهم أرطبنوس (Artabanos)، ثم زحف نحو أطرا[5] (Atra) حتى يجعل منها قاعدة لانطلاق غاراته على الرومان. ولقد هدم أسوار المدينة هدماً، ولكن بما أنه فقد عدداً كبيراً من جنده خلال وقوعهم في كمين، فإنه انتقل إلى ميديا (la Médie) حيث استولى بالقوة، وكذا بسبب خوف [الرومان]، على جزء هام من هذا البلد وعلى فارثيا (la Parthie) كذلك، وتوغل في زحفه حتى أرمينيا (l'Arménie)؛ وهناك، هزمته بعض الأقوام الميدية (les Mèdes) التي كانت تسكن البلد، وكذا أبناء أرطبنوس (Artabanos)، ففر. وحسب هذا الفريق من المؤرخين أو ذاك، فإنه انسحب ليعد حملة عسكرية أكثر قوة.

---

décidèrent de se défaire de lui. Mammée ayant découvert cette trame et en ayant prévenu les auteurs, elle donna la charge de préfet du prétoire à Ulpien seul. Mais étant devenu suspect aux gens de guerre, pour des raisons dont je ne saurais rien dire de certain, parce qu'on en parle diversement, il fut tué dans une sédition, sans que l'empereur pût empêcher sa mort. »

[1]- راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXXVII، 21.

[2] - **Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 54-55 ; 59 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.* ; *Hérodien, Histoire romaine, op. cit.*, Livre VI, 6-9 ; Aurélius Victor, *Des Césars*, XXIV, 2.**

[3]- راجع الفصل الرابع من هذا الكتاب.

[4]- يسميه أوريليوس فيكتور Xerxès؛ راجع:

Aurélius Victor, Des Césars, XXIV, 2 ; Hérodien, Histoire romaine, op. cit., Livre VI, 6.

[5]- هي نفسها التي كان طراجان وسيفير من بعده قد حاصراها، دون جدوى؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LXVII ، 31؛ LXXV، 11-12.

4- فأرطاكسيركسيس (Artaxerxès) هذا إذن كان بالنسبة لنا مصدر خوف، بالنظر إلى عدد قوات جيشه التي لم تكن ترابط فقط في بلاد الرافدين (la Mésopotamie)، بل كانت ترابط أيضاً في سوريا (la Syrie)، وبالنظر أيضاً إلى تهديداته باسترجاع كل البلاد التي كان يملكها الفرس (les Perses) في الماضي، والتي تمتد إلى بحراليونان (la mer de Grèce)، وكأنها مُلك ورثه عن أجداده[1]. ولم يكن الرجل في حد ذاته يستحق اهتماماً ما، ولكن بعض جنودنا كان مستعداً للالتحاق بصفوف جيشه، والبعض الآخر كان يفكر في رفض القتال. ولقد بلغت الميوعة وقلة الانضباط والفوضى التي كانت سائدة بين قوات الجيش[2] درجة من الخطورة جعلت الجند في بلاد الرافدين (la Mésopotamie) يقدمون على قتل قائدهم فلافيوس هيراكليون (Flavius Héracléon)، وأفراد الحرس الإمبراطوري يتهمونني، كما فعلوا مع أولبيانوس (Ulpianus)، بسبب الحزم الذي أظهرته لما كنت على رأس الجنود في بنونيا[3] (la Pannonie)، ويطالبون بتعذيبي، خشية أن يُجبَروا على الخضوع لانضباط عسكري شبيه بذلك الذي كان سائداً في بنونيا (la Pannonie).

---

[1]- حسب هيروديان، فإن الأسكندر لما علم بانتصارات الملك الفارسي وتوسعاته، استولى عليه الخوف، فراسله طالبا منه أن يجنح للسلم. ولما لم يجبه إلى ذلك، فإنه عبأ جيشا وقصد آسيا من حيث كاتبه مرة ثانية آملا تحقيق السلم، دون جدوى. فقسم جيشه إلى ثلاث فرق بهدف اجتياح أراضي العدو؛ إلا أنه إما بسبب الخوف، أو بسبب نصائح أمه، فإنه عدل عن مشروعه وتخلى عن الفرقتين اللتين لم تكونا تحت إمرته (فلقد كان يقود قلب الجيش)، وأسلمهما إلى الباربار، ثم قفل راجعا إلى أنطاكية ملتحفا بالعار، بعد أن فقد العديد من الجنود بسبب الحرب والأمراض والبرد. أما لامبريد، فإنه يقول أن الأسكندر انتصر في حربه هذه، واحتفل بنصره في روما؛ راجع:

Hérodien, *Histoire romaine, op. cit.*, Livre VI, 11-13 ; Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 55-56; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[2]- يروي لامبريد ما قام به الأسكندر خلال مقامه في أنطاكية، لما أخبر بتصرف الجند الذين كانوا يقضون وقتهم في الاستحمام كالنساء ويتهتكون في سلوكهم، إذ أمر بالقبض عليهم وتقييدهم بالأصفاد. فظهرت احتجاجات الجند على ما أصاب رفاقهم، وواجه الأسكندر هذه الاحتجاجات بصرفه جنود الفرقة بأسرها، وذلك حتى يستتب الانضباط في صفوف الجيش. وتوسع لامبريد في وصفه للحزم الذي أبداه الأسكندر قصد إرجاع الانضباط إلى صفوف الجيش، وهو الحزم الذي اشتق منه لقبه سيفير (Sévère)؛ راجع:

Lampride, Vie d'Alexandre Sévère, 53-54 ; *in : Écrivains de l'histoire auguste, op. cit.*

[3]- في عهد ديون، كانت توجد في بنونيا العليا (la Pannonie Supérieure)، حيث كان يحكم مؤرخنا (انظر الفصل الأول من هذا الكتاب)، الفرقة العسكرية العاشرة (la Dixième légion Gemella) والرابعة عشرة (la Quatorzième Gemella)؛ راجع: *تاريخ ديون*، الكتاب LV ، 23.

5- غير أن الأسكندر (Alexandre) لم يعر أي اهتمام لشكاواهم، بل أكثر من ذلك، فمن بين دلائل التقدير التي خصني بها، تعييني لأكون قنصلاً مرة ثانية معه[1]، وتكلف شخصياً بالمصاريف التي كانت تتطلبها هذه الوظيفة. إلا أن غضب الحرس الإمبراطوري جعل الإمبراطور يخشى قتلهم لي إذا ما رأوني لابساً حلة وظيفة الشرف هاته، فأمرني والحال هذه بقضاء مدة القنصلية خارج روما، في مكان ما من إيطاليا (l'Italie). وهكذا جئت بعد ذلك للقياه في روما وفي كمبانيا (la Campanie)، وبعد أن مكثت بضعة أيام بجانبه، وظهرت أمام الجند في كل أمان، حصلت على الإذن بالرجوع إلى بيتي، وذلك بسبب ألم في قدمي ؛ بحيث قضيت بقية حياتي في وطني، كما أخبرتني الإلهة بذلك بوضوح لما كنت في بثنيا (la Bithynie). فلقد تلقيت بالفعل في منامي أمراً يأمرني بكتابة هذه الأبيات في نهاية هذا التاريخ :

أما هكتور (Hector)، فلقد حماه يوبتر (Jupiter) من السهام،
وحفظـــه من الغبـار والمذبحـة
والدم وجلَـب القـتـــال[2].

---

[1]- عام 982 من التقويم الروماني، الموافق لعام 229 م. ويُعتقد أن هذه القنصلية الثانية لم تدم إلا شهرين.
[2]- هومر، *الإلياذة*، XI ، 163.

نبذ من تاريخ ديون

I- نبذ سقطت من المتن.

1- ديون (Dion) ودوني (Denys) يرويان تاريخ كاكوس (Cacus).

2- كان لروموليوس (Romulus) إكليل وصولجان يعلوه عقاب، ومعطف أبيض يطول إلى كعبيه، ومن الأمام، كان يغطيه من كتفيه إلى قدميه ؛ وكان هذا المعطف مزيناً بأشرطة من الأرجوان، (ويسمى حلة [الرومان]، كرداء، واسمه (toge)، مشتق من *tegere* ، وهو الفعل الذي يُعبر الرومان (les Romains) من خلاله بعد تغيير حرف عن كلمة ارتدى) ؛ وكان ينتعل حذاء أحمر يسمى (*cothurnes*)، حسب كوكييوس (Coccéius).

3- وكانوا يذرون رماد الموقد على الأرض، ثم يخططون عليه بطريقة فنية تنبؤاتهم بواسطة هذا القضيب، موجهين أنظارهم نحو الشمس، ومتكهنين بالمستقبل. وهذا هو القضيب الذي يسميه بلوتارخ (Plutarque) λιτουον (*litum*)، ويسميه ديون كسيوس كوكيانوس (Dion Cassius Coccéianus) λίτουους (*lituus*).

4- ديون (Dion): « وسيكون مديناً لك بالجميل ».

5- [ورد] في تاريخ ديون (Dion): « وهكذا إذن، حتى قضاتهم لم يكونوا يحملون هذا الاسم قبل أن ينظم قانون هذه المسألة ».

6- ديون (Dion) : « لم يطيعوه فحسب ».

7- كان كاتب بورسينا (Porsenna) يسمى كلوسينوس (Clusinus)، حسب ديون (Dion).

8- [...] ولكن الأمور كانت تسير حسب أحكام القانون المنظمة للنصر، وهو القانون الذي تحدث عنه ديون كوكيانوس (Dion Coccéianus). وبما أنه يبدو لك التنقيب في كتب مؤلفي العصر القديم أمراً صعباً، فإنني سأحدثك في عجالة، أحسن ما يمكنني ذلك، عن ما يتعلق بالنصر. يُجلس المحتفل بالنصر فوق كرسي عاج، ويدهن وجهه بطلاء قِرمزي اللون أو بالزنجفر، وكأنه لون الدم، وذلك حتى يُخفى احمرار وجهه، وتوضع الأساور في ذراعيه، والتاج وغصن غار في يده اليمنى. ويوضع على رأسه تاج من معدن ما، نقش عليه كل ما فعل أو عانى. وكان وراءه عبد عمومي يمسك بالتاج، ويردد في أذنه: « أنظر أيضاً

إلى ما يوجد خلفك». وكانت تعلق على نير العربة أجراس صغيرة وسوط. وبعد ذلك كان [المنتصر بالاحتفال] يطوف حول المكان ثلاث مرات، ويرتقي الدرجات على ركبتيه ثم يضع الأكاليل. وكان الاحتفال بالنصر المسمى أيضا θρίαμβος، يتم بالطريقة التي سأرويها. لما كان القائد يحرز نصراً مبيناً يستحق الاحتفال بمراسمه، فإن جنوده كانوا يهتفون بجنرالهم مطلقين عليه لقب إمبيراطور (*imperator*)، وكان يلف حزمة عصيه بأغصان الغار التي كان يعطي بعضها للعدائين المكلفين بالتوجه إلى روما ليزفوا إلى سكانها خبر النصر. ولما يصل بالقرب من المدينة، كان يجمع أعضاء مجلس الشيوخ ويطلب منهم أن يمكنوه من الاحتفال بمراسم النصر. فإذا حصل على مرسوم السيناتو والشعب، فإنه كان يحتفظ بلقب إمبيراطور (*imperator*). وعلاوة على ذلك، فإذا كان ما زال يحتفظ بالوظيفة التي كان يمارسها خلال النصر، فإنه كان يستمر في مزاولتها خلال الاحتفال ؛ أما إذا كانت مدة مزاولتها قد انقضت، فإنه كان يُمنح لقباً من ألقاب الوظائف التي توافق المنصب الذي كان يشغله ؛ لأنه كان يُمنع على المواطن العادي الاحتفال بالنصر. وكان يتزين بلباس النصر وبالأساور في ساعديه، ويُتوج رأسه بإكليل من الغار الذي كانت يده اليمنى تمسك بغصن منه، ثم يستدعي الشعب. وبعد مدح جنده بصفة عامة، وبعضهم بصفة خاصة، فإنه كان ينعم عليهم بالمال، ويقلدهم الأوسمة العسكرية، ويوزع على البعض الأساور والرماح بدون أسنة ؛ وكان يمنح البعض أيضاً تيجاناً ذهبية، والبعض الآخر تيجاناً فضية نقشت عليها أسماء كل واحد منهم، ومثلت عليها كذلك أعماله البطولية. فلما يكون أحد الجنود أول المتسلقين لأسوار العدو، فإن التاج يكون مزيناً بتمثيل للسور ؛ وإن استولى على موقع محصن، فإن هذا الحدث كان يمثل أيضاً على التاج ؛ وإذا انتصر في معركة بحرية، فإن التاج يكون مزيناً بالسفن، وإذا كانت المعركة تخص الخيالة، فإن الفرسان كانوا يُنقشون على التاج ؛ ومن أنقذ حياة مواطن في المعركة، أو نجاه من خطر ما، أو خلصه من حصار، فإنه كان يقرظ أجمل تقريظ، ويُمنح إكليلاً من البلوط كان يعتبر أنفس من كل تيجان الذهب والفضة. ولم يكن الأمر يقتصر فقط على مكافأة الجندي الذي اشتهر ببسالته، بل كانت هذه المكافآت تُمنح أيضا للكتائب وفرق الجيش بكاملها. وكان جزء كبير من الغنائم يقسم بين الجند ؛ غير أن بعض المنتصرين كانوا يوزعونها على كل أفراد الشعب، وينفقونها على تنظيم الألعاب وعلى حوائج الشعب ؛ وإذا فَضل شيء ما، فإنهم كانوا يخصصونه لتشييد المعابد والأروقة أو مبنى من المباني العمومية. وبعد ذلك، كان المحتفل بالنصر يركب العربة. ولم تكن هذه العربة تشبه عربة السباق ولا عربة الحرب ؛ وكان شكلها شكل برج مستدير الشكل. ولم يكن

المنتصر وحده على متن العربة، فإذا ما كان له أولاد أو والدان، فإنه كان يحمل فوق العربة البنات والأبناء الذين ما زالوا في سن الطفولة، بينما كان يحمل أولئك الذين كانوا أكثر قوة فوق الخيول، على تلك المقرونة إلى عريش العربة، وتلك التي توجد في مقدمة الخيل التي تجر العربة؛ وإذا ما كان عددهم كبيراً جداً، فإنهم كانوا يشاركون في حفل الانتصار وهم يمتطون صهوات الجياد بالقرب من المحتفل بالنصر. ولم يكن أي أحد آخر من الحاضرين يمتطي عربة، فكلهم كان يمشي على الأقدام، وأغصان الغار في أيديهم. وكان يوجد على متن نفس العربة عبد عمومي يمسك من فوق رأس المحتفل بالنصر بالتاج الذهبي المرصع بالجواهر، ويقول له : « انظر إلى الوراء »، بمعنى فيما تبقى من حياتك، في الماضي والمستقبل ؛ فلا تغتر بظروف الحاضر، وإياك أن تمتلئ عجباً. وعُلق على العربة جرس صغير وسوط لتذكير المحتفل بالنصر أنه يمكن أيضاً أن يصبح نحيساً، ويُجلد ويُحكم عليه بالإعدام. وبالفعل، كان القانون يأمر أن يُعلق جُريس على المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام، وذلك حتى لا يصطدم بهم أي أحد وهم في طريقهم إلى مكان تنفيذ الحكم، ويُدنّس بفعل هذا الاحتكاك. ففي هذه الحلة، كان المحتفلون بالنصر يدخلون إلى روما، تتقدمهم الغنائم وشعارات الغلبة ؛ والقلاع التي احتلوها وقد مُثلت على شكل صور، شأنها شأن المدن والجبال، والأنهار والمراسي والبحار، وبعبارة واحدة كل فتوحاتهم. وفي بعض الأحيان، كان يوم واحد يكفي لعرض كل هذه الأشياء، وإذا لم يكف يوم واحد، كان هذا العرض يستمر لليوم الثاني والثالث. وبعد مرور هذا الموكب الفخم، ووصول المحتفل بالنصر إلى ميدان روما (le Forum)، فإنه يأمر بقيادة بعض الأسرى إلى السجن ليقتلوا فيه، ثم يتوجه إلى الكابيتول (le Capitole) حيث بعد قيامه ببعض الطقوس، وتعليقه القرابين، وعشائه تحت الأروقة التي تحيط به، كان يعود إلى بيته في المساء، على نغمات المزامير والشبابات. هكذا كان يتم الاحتفال بالنصر فيما مضى ؛ وبعد ذلك، أُدخلت عليه عدة تغييرات بسبب الفتن والمؤامرات.

9- ديون الروماني (Le Romain Dion) الذي كتب تاريخ الإمبراطورية والجمهورية الرومانية، وروى حربها الشهيرة ضد قرطاج (Carthage)، يحكي أنه بينما كان ريغولوس (Régulus)، قنصل روما يحارب قرطاج (Carthage)، فجأة، زحف ثعبان حتى خارج خندق الجيش الروماني، وظل هناك ممتداً، ثم قتله الرومان (les Romains) بأمر من قائدهم[1]. وبعد

[1]- راجع وصف هذا الصراع في الحروب البونيقية لسيليوس إيطاليكوس:
Silius Italicus, *Les Guerres Puniques*, VI, v. 140-282.

سلخه، بعث ريغولوس (Régulus) قُشاره إلى سيناتو روما كعجيبة فريدة ؛ كما يروي ديون (Dion) بنفسه أن هذه الجمعية قاست القُشار المذكور الذي بلغ طوله مائة وعشرين قدماً. وكان سمكه متناسب مع طوله.

10- ونقل إلينا ديون كسيوس كوكيانوس (Dion Cassius Coccéianus) القسم الثاني من فن العرافة كالتالي : « لهم فراريج أليفة تتغذى بالشعير، ولما يريدون أن يتكهنوا بالمستقبل، يضعون أمامها هذه الحبوب. فإذا لم تضرب الفراريج خلال أكلها الشعير بمناقيرها، ولم تتركه يقع على الأرض ثانية، فيُعتبر ذلك فألاً حسناً ؛ أما إذا فعلت، فيعتبر ذلك شؤماً».

11- ولما سُلمت سيراكوز (Syracuse) هاته بخيانة لمرسيلوس (Marcellus)، حسب ديودور (Diodore)، أو احتلها الرومان (les Romains) حسب ديون (Dion)، بينما كان السكان منشغلين الليل كله في عيد ديان (Diane)، مات هذا الرجل هكذا تحت ضربات روماني. فبينما كان منحنياً، يرسم شكلاً من أشكال الميكانيكا ؛ وصل روماني بغتة، وجره قصد أسره. وبما أنه كان مشغولاً برسم شكله، ولم يكن يعرف من يقوم بجره، خاطب الروماني قائلا : « تنحّ عن شكلي يا رجل». ولما التفت وراءه، وبما أنه كان يُجر، وتيقن من أن الشخص الذي كان يجره روماني، صاح قائلاً: « أعطوني آلة من آلاتي ». فارتعب الروماني وقتل على الفور هذا الرجل الضعيف والمسن والجدير بالإعجاب، بالنظر إلى آلاته. ولما تلقى مرسيلوس (Marcellus) هذا الخبر بكى، ودفنه دفناً رائعاً في مدفن آبائه، وكان مرفوقاً بعلية السكان وبكل الرومان (les Romains). أما القاتل، فضُرب عنقه بالفأس، على ما أعتقد. فهذا هو التاريخ الذي كتبه ديون (Dion) وديودور (Diodore).

12- وفي حربهم ضد الرومان، صنع القرطاجيون (les Carthaginois) في ظرف وجيز الأسلحة والقوادس، بصهرهم التماثيل لاستعمال البرنز، وبفك الهياكل الخشبية الموجودة في المباني، الخصوصية منها والعمومية، لصناعة القوادس وآلات الحرب ؛ وقصوا أخيرا شعور نسائهم ليصنعوا بها الحبال.

II - نبذ مختلفة [مستخرجة من كتاب " المختارات" الموجود في مكتبة الفاتكان].

13- ليست الألقاب هي التي تغير ممارسة الإنسان ؛ فالطريقة التي يسوس بها الفرد الأمور، هي التي تُشكل رأي الناس فيه. وبالفعل، فالكثير ممن لهم سلطة ملكية، يُعتبرون سبب عدة فوائد ينتفع منها أولئك الذين يوجدون تحت سلطتهم، وبالتالي فهذه السلطة تسمى بالسلطة الملكية ؛ ومن جهة أخرى، لم يجن الكثير من الناس الذين يعيشون في نظام ديمقراطي إلا أضراراً لا تحصى.

14- وبالفعل، ما يدفع جيشاً من الجيوش، أو فيلقاً من الفيالق التي لا بد لها من قيادة، إلى فعل الخير أو الشر، هي أخلاق وطريقة عيش من يوجد على رأسها؛ لأن الجماهير تكيف سلوكها وفقاً لأفكار وأفعال من يقودونها، فهي تتصرف كما تراهم يفعلون، إما تصرفاً صادقاً، أو متصنعاً.

15- ومثل الرجل العادل الذي يُداخل ذهنه رأي مجحف يحول بينه وبين تمييز الحق والحكم بالعدل، مثل داء يصيب العيون ويغشّي البصر، حتى إننا لا نرى الأشياء الموضوعة عند أقدامنا.

16- وهل يوجد رجل فهيم لا يفضل أن يُدفن بعد موته في مدينته الأصلية، عوض أن يراها مخربة ؟

17- إذا بنى لك أحد ما ديراً في مكان لن توجد فيه لسكناها، فستعتقد أن ذلك عملا لا طائل منه ؛ فأنت تريد إذاً أن تكدس الأموال في عالم ستغادره لا محالة، عاجلاً أو آجلاً ؟

18- ألا تعلم أننا في بلد غير بلدنا لا نقيم إلا بصفتنا ضيوفاً وأجانب مقيمين ؟ ألا تعلم أن مصير الأجانب المقيمين هو الطرد في وقت لا يتوقعون فيه ذلك، ولا يتحسبون له ؟ فهذا ما يقع لنا.

19- وهل يوجد رجل لا يفضل أن يموت بضربة قاضية لا تسبب له أي ألم، أو على الأقل، ألماً يحس به لمدة وجيزة، عوض المرض ؟ وهل يوجد رجل لا يتمنى أن يموت وهو قوي الجسد، مطمئن النفس، عوض أن يُتلفه الهزال والاستسقاء، أو يموت جوعاً ؟

20- إذا كان لا بد من موتي لأجل الصالح العام، فأنا مستعد للتضحية بحياتي ؛ فجميل أن يكتسب المرء حب الناس بفضل منيته.

21- من بين الأمور التي لا ينتظر الإنسان تحقيقها مبدئياً، عادة ما يتحسر خاصة على تلك التي كان يُؤمل نفسه بالظفر بها ؛ وبالفعل، فإن الأمور التي يعتبرها بعيدة المنال، تحز في نفسه بصفة أقل، لأنها، إن صح القول، غريبة عنه؛ بينما الأمور الأخرى التي كان على وشك تحقيقها، ولكنه عجز عن ذلك، فإنها تسبب له غماً شديداً، وكأنه حُرم من شيء كان يمتلكه.

[نبذ من مؤلف أنطوان مليسّا (Antoine Mélissa)]

22- لا وجود بين كل الرذائل لرذيلة أكثر خزياً من التملق.
23- مثل من زها خلال الميسرة كمثل من عدا في الملعب فوق طريق زلقة.
24- رأي من يحكم يصبح بمثابة قاعدة لسلوك رعاياه.

نبذ من مؤلف أرسين (Arsène)، مطران مونيمباسيا (Monembasia)، ابن أبوسطولوس (Apostolos) ؛ " روضة البنفسج " (Parterre de Violettes).

25- كان ديون الروماني (Le Romain Dion) يقول إنه من العبث أن يبحث المرء عن غنى يمنحه الحظ، وتحافظ الدناءة عليه، ويقضي على الطيبة.

26- ونفسه قال : « أليس غريباً أن نُملّ الآلهة بصلواتنا، وأن نمتنع عن القيام بما اعتبرته الآلهة مناسباً لأن يكون في قدرتنا ؟ ».

27- ونفسه قال: « من الأفضل أن نثير الحسد بنجاحنا عوض أن نستثير الشفقة بفشلنا».

28- ونفسه قال : « من المستحيل عندما نسلك سلوكاً يتناقض والشرف، أن نجني أدنى فائدة من الفوائد التي يمكِّننا منها الشرف ».

المصادر والمراجع التي ذُكرت في الحواشي

-AULU-GELLE, *Les Nuits attiques*, Traduction française: M. Charpentier - M. Blanchet, Œuvres complètes d'Aulu-Gelle, Tome II, Paris, Garnier, 1920 - Bibliothèque latine française n°31.

-AURELIUS VICTOR, *Des Césars*, Traduction française : Trad. nouv. par M. N. A. Dubois,... Paris, C. Panckoucke, 1846. Bibliothèque latine-française. 2e sér.

-AURELIUS VICTOR, *Épitomé*, Traduction française : Trad. nouv. par M. N. A. Dubois,... Paris, C. Panckoucke, 1846. Bibliothèque latine-française. 2e sér.

-CAPITOLINUS (JULIUS), in : *Écrivains de l'histoire auguste*, Tome troisième, trad. nouvelle par M. Valton, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1844.

-CESAR, *La Guerre des Gaules*, Collection des Auteurs latins publiés sous la direction de M. NISARD, Salluste, Jules César, C. Velleius Paterculus et A. Florus, Paris, Didot, 1865.

-*Dictionnaire des antiquités grecques et romaines de Daremberg et Saglio*. http://dagr.univ-tlse2.fr

-EURIPIDE, *Les Suppliantes*, Traduction française : M. ARTAUD, Tragédies d'Euripide. Paris, Charpentier, 1842.

- *Hélène*, Traduction française : M. ARTAUD, Tragédies d'Euripide. Paris, Charpentier, 1842.

-*Andromaque*, Traduction française : M. ARTAUD, Tragédies d'Euripide. Paris, Charpentier, 1842.

-*Les Bacchantes*, Traduction française : M. ARTAUD, Tragédies d'Euripide. Paris, Charpentier, 1842.

-*Les Phéniciennes*, Traduction française : M. ARTAUD, Tragédies d'Euripide. Paris, Charpentier, 1842.

-EUTROPE, *Abrégé de l'histoire romaine par Eutrope*, depuis la fondation de Rome jusqu'à la mort de l'Empereur Jovien ; Traduction nouvelle… Par M. l'Abée Lezeau, Paris, 1717.

-EUTROPE, *Abrégé de l'histoire romaine*, Nouvelle édition revue avec le plus grand soin par le traducteur. Paris, Garnier Frères, Libraires-Éditeurs, 6 rue des Saints-Pères, et palais-Royal, 215, 1865.

-GALLICANUS (VULCATIUS), in : *Écrivains de l'histoire auguste*, Tome premier, trad. nouvelle par M. Fl. Legay,... Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1847

-Hérodien, *Histoire romaine* ; Depuis la mort de Marc-Aurèle jusqu'à l'avènement de Gordien III ; Livre I, 8 ; Traduction française : Léon Halevy, Paris, 1860.

-HOMERE , *L'Iliade*, Traduction française : Eugène LASSERRE, Paris, Classiques Garnier, 1955.

-JOSEPHE (F.), *La Guerre des Juifs*, Traduction française : Œuvres complètes trad. en français sous la dir. de Théodore Reinach,.... trad. de René Harmand,... ; révisée et annotée par S. Reinach et J. Weill, Paris, E. Leroux, 1900-1932.

-JUVENAL, *Satire* VII, Traduction française : Henri CLOUARD, Juvénal et Perse, Paris, Classiques Garnier, 1934.

-LAMPRIDIUS (AELIUS), in : *Écrivains de l'histoire auguste*, Tome deuxième; trad. nouv. par M. Laass d'Aguen, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1847.

-LUCIEN, *Des Gens de Lettres qui s'engagent à vivre chez les Grands*, Traduction nouvelle par M. l'Abbé Massieu, Paris, 1781.

-MARC-AURELE, *Pensées*, Traduction française : J. Barthélémy Saint-Hilaire, Paris, Baillière, 1876.

-PAUSANIAS, *Description De La Grèce*. Tome premier. 1. L'Attique ; Traduction française : M. CLAVIER, Paris, 1821.

-PHILOSTRATE, *Apollonius de Tyane, sa vie, ses voyages, ses prodiges* par Philostrate et ses lettres, ouvrages traduits du grec avec introduction, notes et éclaircissements par A. Chassang, Deuxième édition, Paris, Didier, 1862.

-PLINE L'ANCIEN, *Histoire Naturelle*, VI ; VIII, Traduction de : E. LITTRE dans la Collection des auteurs latins de M. NISARD, Paris, 1877.

-PLUTARQUE, *Œuvres morales*, *Sur l'éducation des enfants*. Traduction française : Victor BÉTOLAUD, Œuvres complètes de Plutarque - Oeuvres morales, t. I , Paris, Hachette, 1870.

-SIBBALD, *L'Ecosse illustrée*, Edimburg, 1684, in-fol

-SILIUS ITALICUS, *Les Guerres Puniques*, Traduction française: Lucain, Silius Italicus, Claudien. Œuvres complètes. Dans: Collection des auteurs latins publiés sous la direction de M. NISARD, Paris, Didot, 1855.

-SPARTIEN, in : *Écrivains de l'histoire auguste*. Tome premier Trad. nouvelle par M. Fl. Legay, Paris, C.-L.-F. Panckoucke, 1844.

-STRABON, *Géographie*, Livres III, XVI, Traduction française : Amédée TARDIEU, Géographie de Strabon. T. I et III, Paris, Hachette, 1909.

-SUETONE, *Vie des douze* Césars, Paris, 1845.

-TACITE, *Histoires*, Traduction: Œuvres complètes de Tacite traduites en français avec une introduction et des notes par J. L. Burnouf, Paris, Librairie de L. Hachette et cie, rue Pierre-Sarrazin, n° 14, 1859.

- *Annales*, Traduction: Œuvres complètes de Tacite traduites en français avec une introduction et des notes par J. L. Burnouf, Paris, Librairie de L. Hachette et cie, rue Pierre-Sarrazin, n° 14, 1859.

- *Vie d'Agricola*, Traduction: Œuvres complètes de Tacite traduites en français avec une introduction et des notes par J. L. Burnouf, Paris, Librairie de L. Hachette et cie, rue Pierre-Sarrazin, n° 14, 1859.

- La Germanie, XLII ; Traduction: œuvres complètes de Tacite traduites en français avec une introduction et des notes par J. L. Burnouf, Paris, 1859.

-TERTULLIEN, *L'Apologétique de Tertullien*, V, 6 ; Apologie du christianisme écrite en l'an 197 après J.-C, Traduction littérale par J. P. Waltzing, Deuxième édition revue et corrigée, Paris, Librairie Bloud et Gay, 1914.

-TITE-LIVE, *Histoire Romaine*, http://agoraclass.fltr.ucl.ac.be

-VIRGILE, *Aeneis*, http://agoraclass.fltr.ucl.ac.be

-ZOSIMUS, *L'Histoire nouvelle*, livre I, Traduction : J-A. C. BUCHON, Ouvrages historiques de Polybe, Hérodien et Zosime. Paris, Desrez, 1835.

مسرد المؤلفين القدامى

Cacus : 195

Cicéron : 13

Coccéius : 195

Denys : 195

Diodore : 198

Dion Cassius : 7 - 9 ; 11 ; 13 ; 14 - 15 ; 22 - 23 ; 125 ; 147 ; 149 ; 195, 197 ; 198 ; 200

Euripide : 147 – 148

Hermogène : 17

Homère : 165

Philostrate d'Athènes : 8

Plutarque : 195

Sénèque : 13

Sextus de Béotie : 17

Thucydide : 13

Virgile : 98

Xiphilin : 12

Zonaras : 12

فهرس أعلام الأشخاص والآلهة والأمم

Achille : 135
Acilius Glabrion : 63
Acinacès : 146
Adiabéniens : 89
Adrien : 36 ; 39 ; 111
Adventus : 152 - 154 ; 174 ; 180
Ælius : 53 - 54
Æmilianus : 80 - 81
Æmilius Lætus : 56
Æmilius Saturninus : 101
Agrippa : 152
Alamans : 132 - 133
Albaniens : 177
Albinus : 46 ; 72 - 73 ; 80 ; 91 - 96 ; 108
Alexandre : 10 ; 100 ; 126 - 127 ; 157 ; 174 ; 187 - 188 ; 191 ; 194
Alexandre de Macédoine : 187
Alexandre Sévère : 7 ; 9 ; 12
Alexandrins : 140
Amazonius : 53 - 54 ; 57
Amphilochos : 46
Anicius Festus : 159
Antigone : 127
Antiochos : 136 ; 138
Antonin : 12 - 13 ; 15 ; 17 ; 30 ; 38 - 39 ; 102 ; 105 - 108 ; 110 ; 116 - 118 ; 121 - 127 ; 129 ; 131 - 135 ; 137 - 139 ; 141 - 147 ; 149 - 151 ; 155 ; 157 ; 161 ; 167 - 175 ; 177 ; 188
Le faux Antonin : 180 ; 183 ; 190
Le faux Antonin II : 174
Le faux Antonin III : 174
Le faux Antonin IV : 174
Antonins : 119 ; 149
Antonius : 33
Anulinus Valérianus : 81 - 83 ; 90
Apollon Grannus : 134
Apollonius de Cappadoce : 136

Apostolos : 200
Apronianus : 111
Aquilia Sévéra : 181
Arabes : 31 ; 89 ; 99
Argentocoxos : 119
Ariogæsos : 26
Aristote : 127
Arméniens : 131 ; 136 ; 138
Arnuphis : 22
Arsène : 200
Artabanos : 141 ; 162 - 163 ; 171 ; 192
Artaxerxès : 192 - 193
Aspax : 112
Asper : 159 - 160
Assyrien : 174 ; 182
Astinges : 25
Athéniens : 35
Atréniens : 99
Attalus : 177
Aufidius Fronton : 160
Augaros : 130 - 131 ; 186
Augusta : 66; 123
Auguste : 175
l'Auguste : 126 ; 157
l'Auguste d'Orient : 126
Augustus : 53 - 54
Aurèles : 59
Aurélia Sévéra : 134
Aurélianus : 151 ; 157
Aurelius : 53 - 54
Aurélius Ælix : 181 - 182
M. Aurélius Alexandre Sévère : 174
M. Aurélius Antonin : 167
Aurélius Apollinaris : 144
Aurélius Celsus : 173
Aurélius Eubulus : 189
Aurélius Némésianus : 144
Aurélius Zoticus : 186
Ausonien : 140
Avitus : 165 - 167 ; 171 ; 174 ; 186

Bacchus : 119 ; 127 ; 187
Bæbius Marcellinus : 112

Banadaspos : 27
Basilianus : 169
Bassianus : 149 ; 165 ; 187 - 188
Bassus : 158
Baton : 126
Battarios : 24
Bellone : 37
Bélus : 148
Bouviers : 19
Bretons : 116 ;
Britannique : 54
Brutus : 13
Bullas : 113 ; 114
Burres : 27 ; 42
Byzantins : 84 ; 86 - 88

Cæcilius Æmilianus : 138
Cæcilius Agricula : 109
Cæcilius Ariston : 172
Caius : 161
Calédoniens : 93 ; 114 - 115 ; 117 - 118
Candidus : 81 ; 90
Canutia Crescentina : 134
Caracalla : 9
Caracallus : 143 ; 149 ; 151 - 154 ; 158 ; 160 ; 164 ; 167 ; 173 ; 176
Carthaginois : 183 ; 198
Cassius : 18 - 19 ; 27 ; 29 - 35 ; 46
Cassius Apronianus : 7
Cassius Clémens : 83
Castinus : 152
Castor : 117 ; 121
Celtes : 18 ; 137 ; 142 ; 145
Cenni : 133
César : 54 ; 66 ; 96 ; 131 ; 155 ; 157 ; 170 ; 175 ; 179 ; 184 ; 185
Césariens : 67; 68
Chrestus : 191
Ciliciens : 31
Cilon : 124 - 125 ; 150
Claudius : 90
Claudius Attalus : 176
Claudius Hérodès : 39
Claudius Pollion : 173
Claudius Pompéianus : 43 ; 56 ; 63

Claudius Sévérus : 178
Cléander : 48 - 52 ; 91 - 92
Clémens : 25
Clodia Læta : 134
Clusinus : 195
Cœranus : 109
Colosse : 58
Comazon : 172 ; 176 - 177 ; 189
Commode : 7 ; 9 ; 11 ; 14 ; 29 - 30 ; 37 - 38 ; 41 - 54 ; 56 – 66 ; 69 - 70 ; 74 ; 80 ; 96 ; 117 ; 134
Concorde : 122
Condianus : 36 ; 44
Cornélia Paula : 181
Cornélius Fronton : 39
Costuboces : 25
Cotiniens : 25
Crispina : 36 ; 44
Crispus : 98
le Cuisinier : 186

Daces : 42
Dacringes : 163
Damostratia : 50
Dancriges : 25
Datus : 154
Décius Triccianus : 152
Diaduménianus : 143 ; 157 ; 171
Diane : 189
Didius Julianus : 69 - 75
Diogénianus : 170
Dion Chrysostôme : 7
Dionysius Papirius : 51 ; 53
Domitien : 53 ; 136
Domitius Florus : 159
Domitius Ulpianus : 191 - 192

Eclectus : 44 ; 56 ; 58 ; 61; 68
Egyptiens: 19 ; 31 ; 109
Elagabal : 9
Eléens : 182
Elégabale : 166 ; 174 ; 180 ; 182 - 183 ; 185 ; 187 ; 189
Emésiens : 52
Enée : 9 ; 98

Epagathos : 138 ; 171 ; 192
Erycius Clarus : 58 ; 84
Esculape : 134
Euprépès : 121
Eutychianus : 166 - 167
Eutychianus Comazon : 174
Evhodus : 107 ; 110 ; 121
Exsuperatorius : 54

Fabius Agrippinus : 176
M. Fabius Vétillius Séleucus : 174
Fabricius Luscinus : 137
Falcon : 67
Faustine : 23 ; 29 ; 34- 35 ; 78
Felix : 53
Félix (Bullas) : 113
Festus : 160 ; 167
Flaccus : 159
Flavianus : 191
Flavius Calvisius : 33
Flavius Héracléon : 193
Flavius Maternianus : 143 ; 147
Flavius Sulpicianus : 66 ; 69 ; 70
Flavius Titianus : 138
Flore : 159
Fortune : 14 ; 59
Fortuné : 54
Fulvius Diogénianus : 170 ; 189
Furtius : 26
Fuscianus : 177

Gaïobomaros : 137
Galate : 178
Gannys : 171 - 172 ; 179
Gaulois : 177
Germains : 19 - 20
Germanicus : 19
Germanique : 54
Gessius Macrianus : 165
Géta (Fils de Sévère) : 106 ; 110 ; 121 - 124 ; 131 ; 134 ; 161
Géta (Frère de Sévère) : 106
Gordius : 185
Grecs : 40

Héliodoros : 29
Heracleus : 53 - 54
Hercule : 46 ; 53 - 54 ; 58 ; 119 ; 125 ; 138 ; 182
Heureux : 175 ; 190
Hiéroclès : 185 - 186 ; 188 - 189
Hunniques : 26

Iazyges : 18 ; 20 - 21 ; 24 - 25 ; 27- 28 ; 42
Invictus : 53
Isidoros : 19
Isis : 181

Janus : 71
Juifs : 31
Julia : 108 ; 123 ; 129 ; 143 ; 160 - 161
Julia Augusta : 103 ; 119 ; 122 ; 165
Julia Domna : 8 - 9 ; 78
Julianus : 12 ; 44 ; 52 ; 84 ; 167 - 169
Julianus Ulpius : 154
Julianus Nestor : 154
Julius : 158 ; 165
Julius Alexander : 52
Julius Asper : 125 ; 177
Julius Crispus : 98
Julius Martialis : 145 ; 147
Julius Solon : 51 ; 77
Junius Paulinus : 129
Junius Rusticus : 39
Junon : 46
Jupiter : 83 ; 96 ; 127 ; 146 ; 148 ; 165 ; 182 ; 190
Jupiter Bélus : 173

Lætus : 58 ; 61; 66 - 67; 74 ; 90 ; 95 ; 97 - 98 ; 125
Latéranus : 90
Latins : 40
Lavinie : 98
Léon : 184
Licinius Sacerdos II : 174
Lucilla : 17 ; 43
Lucius : 53 ; 54 ; 67; 161
Lucius Commode : 17 ; 53
Lucius Vérus : 17 ; 18

Lupus : 93 - 94

Macédoniens : 126 ; 127
Macennites : 101
Macrin : 8 - 9 ; 143 - 144 ; 146 ; 149-164 ; 166- 171 ; 173 - 177 ; 179 - 180
Macrinus Vindex : 19
Mæsa : 161 ; 165 - 166 ; 171 ; 179 ; 187
Mamée : 165
Manilius : 46 ; 158 - 159
Marc Antonin : 13 ; 17 ; 18 ; 20 - 30 ; 32 - 39 ; 41 ; 44 ; 50 ; 57 ; 66; 78 ; 96 ; 113 ; 117 ; 159 ; 175 ; 178
Marc Aurèle : 7 ; 17
Marcellus : 167
Marcellus : 198
Marcia : 44 ; 52 ; 58 ; 74
Marcianus : 167
Marcius Agrippa : 152
Marcomans : 18 - 19 ; 21 ; 24 - 28 ; 41 - 42 ; 137
Marcus : 67
Marius : 96
Marius Sécundus : 169
Mars : 147 ; 148 ; 156
Martialis : 156
Maternianus : 154
Maures : 150 ; 163 ; 167
Maximus : 36 ; 44 - 45
Maximus Gellius : 179
Maximus Marius : 153 ; 169 ; 175
Méates : 93 ; 114 - 115 ; 118
Mèdes : 91 ; 142 ; 192
Mercure : 55 - 56
Mercure Aérien : 22
Mésomède : 133

Narcisse : 59 ; 74
Naristes : 28
Neptune : 148
Néron : 186
Nestor : 176
Nicomédès Apollonius : 39
Niger : 46 ; 80 - 84 ; 89 ; 91 ; 176
Nitocris : 160

Noriciens : 112
Numérianus : 92 - 93

Osroéniens : 89 ; 130 ; 133

Pan : 129
Pandion : 132
Papinianus : 114 ; 117 ; 121 ; 124
Parthe : 138
Parthes : 17 ; 31 ; 91 ; 97 ; 131 - 132 ; 136 - 137 ; 141 - 142 ; 171 ; 192
Parthique : 163
Paternus : 37 ; 44 ; 47; 49
Paternus Tarruténius : 44
Pérennis : 47- 51
Pergaméniens : 158
Périnthiens : 88
Perses : 193
Pertinax : 11 - 13 ; 15 ; 19 ; 29 ; 43 ; 45; 48 ; 61- 72 ; 74 - 76 ; 78 - 80 ; 96
Pescennius Niger : 72 - 73
Philippe : 127
Picas Cærianus : 176
Pieux : 175 ; 190
Pius : 53 - 54
Plautianus : 12 ; 101 - 110 ; 150 ; 159 ; 161
Plautilla : 12 ; 102 ; 105 ; 108 ; 110 ; 121
Plautius : 110 ; 121
Pollénius Sébennus : 112
Pompée : 13 ; 96 ; 100 ; 109
Pompéianus : 19 ; 43
Porsenna : 195
Priscus : 85 ; 99
Priscus Thraséas : 125
Pomponius : 158
Pomponius Bassus : 178
L. Priscillianus : 158
Probus : 90
Pudens : 34
Pylade : 71
Pyrrhus : 137

Quades : 21 ; 24 - 28 ; 41 ; 137
Quadratus : 44 ; 52
Quintilius : 36 ; 44 ; 46 ; 51

Quintillus Plautianus : 111

Racius Constans : 104
Régulus : 197- 198
Rhaos : 25
Romains : 10 - 11; 14 - 15 ; 18 - 28 ; 37 ; 40 ; 47; 52 - 53 ; 59 ; 79 ; 87 ; 88 - 89 ; 99 ; 101 ; 129 ; 133 ; 151 ; 157 ; 162 - 164 ; 172 ; 176 ; 192 ; 195 ; 197 - 198
Romaines : 119
Romanus : 53
Romulus : 13 ; 78 ; 195
Roxolans : 28
Rufus Bassæus : 20

Sabinianus : 42
Sabinus : 112 ; 152
Salvius Julianus : 44
Sanatrucès : 98
Saoter de Nicomédie : 50
Sardanapale : 174 ; 181 - 183 ; 185 ; 187 - 189 ; 191
Sarmatique : 54
Saturninus : 107 ; 110
Scythes : 90 ; 145
Séjus Carus : 177
Sémiramis : 160
Semnons : 28
Sempronius Rufus : 135
Sénapis : 134
Septime Sévère : 7 - 9 ; 13 - 15 ; 47 ; 51 ; 59 ; 72 - 76 ; 78 ; 79 - 85 ; 87 - 95 ; 97 - 108 ; 110 - 114 ; 116 - 119 ; 129 ; 134 - 135 ; 137 ; 147 - 152 ; 155 ; 160 ; 164 ; 169 - 170 ; 175 - 176 ; 186
Sérapion : 144
Servianus : 111
Sévérianus : 18
Sextus Condianus : 45 - 46
Silius Messala : 75 ; 178
Soæmis : 165 ; 171 ; 179 ; 187
Soleil : 99 ; 101
Sossius Falcon : 58
Sulpicianus : 96
Sulpicius Arrénianus : 158
Sylla : 96 ; 132 ; 177
Syriens : 31 ; 99 ; 128 ; 172

Tarautas: 149 ; 151-152 ; 154-156 ; 158 ; 160 ; 162-164; 166-167; 169; 176
Tarbos : 24
Tarruténius Paternus : 25
Théocritos : 138
Tibérien : 174
Tibérinus : 189
Tiridate : 26 ; 136 - 138 ; 163 ; 186
Très Grand : 54
Triccianus : 152 ; 177
Turnus : 98

Ulpianus: 7 ; 193
Ulpius Julianus : 144
Ulpius Marcellus : 47
Uranie : 174 ; 183

Valérianus : 82 - 83
Valérianus Pætus : 178
Valérius : 98
Vandales : 42 ; 137
Varius Marcellus : 165
Vénus : 35 ; 78 ; 179
Vérus : 26 ; 30- 31 ; 34
Vettius Gratus Sabinianus : 174
Victorinus : 43 ; 49 - 50
Vologèse : 18 ; 97 - 98 ; 136
Vulcain : 161 - 162

Zanticos : 27
Zénon : 39

فهرس الأماكن

Achaïe : 159
Acré : 165
Adiabénie : 90
Æges : 172
Afrique : 8 ; 50 ; 143 ; 160 ; 191
Alba Pompéia : 63
Albe : 168 ; 178
Alexandrie : 12 ; 19 ; 26 ; 126 ; 138 ; 140 ; 146
Antioche : 18 ; 83 ; 137 ; 144 ; 146 ; 157 ; 160 ; 168 ; 170 ; 171 ; 174
Apamée : 148 ; 165 ; 168
Arabie : 60 ; 176
Arbèles : 141
Arménie : 18 ; 26 ; 98 ; 130 ; 163 ; 192
Asie : 8 ; 18 ; 87 ; 88 ; 111 ; 159 - 160 ; 187 - 188 ; 191
Haute-Asie : 146
Asie Mineure : 7
Athénée : 75
Athènes : 35
Atlas : 100 - 101
Atra : 85 ; 98 - 99 ; 192
Auguste (Port d') : 104

Babylone : 97
Bassano : 13
Bétique : 138
Bithynie : 7 - 8 ; 12 ; 172 ; 177 ; 191 ; 194
Bosphore : 84 - 85
Bretagne : 26 - 27 ; 47 - 48; 64 ; 72 ; 114 - 115
Brundusium : 113 ; 169
Byzance : 9 ; 73 ; 80 ; 83 ; 85 ; 87 - 89 ; 187

Calédonie : 116
Campanie : 191 ; 194

Capitole : 122 ; 146 ; 197
Capoue : 8 ; 106 ; 147

Cappadoce : 30 ; 163 ; 172 - 173 ; 177 - 178
Caprée : 44
Carrhes : 145
Carthage : 183 ; 197
Césarée : 150
Chalcédoine : 172 ; 188
Champ-de-Mars : 79
Cilicie : 7; 46 ; 137 ; 172
Cios : 81
Crète : 192
Ctésiphon : 18 ; 97
Cypre : 176
Cyros : 29
Cyzique : 81 ; 180

Dacie : 24 - 25 ; 28 ; 42 ; 46 ; 135 ; 152 ; 163
Dalmatie : 7 ; 8 ; 191

Edessa : 145
Egypte : 12 ; 19 ; 29 ; 33 ; 60 ; 100 ; 168 ; 169 ; 192
Egypte (Haute): 100
Elbe : 133
Elégia : 18
Emésa : 187 ; 189
Eribole : 172
Espagne : 77
Ethiopie : 100
Euphrate : 83 ; 89 ; 97

Flaminia (la voie): 150
Forum : 70 ; 78 ; 105; 107 ; 112 ; 122 ; 162 ; 181 ; 197
Forum d'Auguste : 14 ; 92
***Forum boarium :* 161**

Galatie : 172
Gaule : 92
Germanie : 24 ; 50 ; 133

Hellespont : 135

Ilion : 135 - 136
Immæ : 170
Inde : 105

Issus : 81
Ister : 18 ; 20 - 21 ; 27 - 28 ; 187
Italie : 8 - 9 ; 13 ; 18 ; 24 ; 31 ; 75 ; 77 ; 80 ; 106 ; 113 - 114 ; 169 ; 186 ; 191 ; 194

Judée : 90

Ligurie : 63
Lipari : 110
Lyon : 78 ; 93

Macédoine : 77 ; 127
Macennitide : 101
Mallos : 46
Mauritanie-Inférieure : 101
Médie : 141 ; 192
Mélitène : 22
mer de Grèce : 193
mer Rouge : 101
Mésopotamie : 87 ; 97 - 98 ; 142 ; 151 ; 162 ; 165 ; 192 ; 193
Milan : 69
Misène : 74
Monembasia : 200
Mysie : 158
Mysie Supérieure : 187

Nicée : 7 - 8 ; 14 ; 81 ; 102
Nicomédie : 8 ; 12 ; 50 ; 137 ; 147 ; 169 ; 172 ; 179 -181
Nil : 100
Nisibis : 89 ; 90 ; 91 ; 97 ; 163
Norique : 77

Océan : 101 ; 133
Olympie : 182
Orsoène : 130

Palatin : 108
Palestine : 100
Pannonie : 7- 8 ; 18 ; 24 ; 30 ; 72 ; 83 ; 152 - 153 ; 193
Pannonie Supérieure : 8 ; 191

Parthie : 192
Pergame : 8 ; 180
Périnthe : 80

Phénicie : 169
***Pomœrium* : 122**
Pont-Euxin (Mer Noire) : 7 ; 84 ; 88
Portes : 81
Portes ciliciennes : 81
Propontide : 85

Ravenne : 24
Rhin : 18
Rhône : 95
Rome : 7 ; 10 - 12 ; 14 ; 29 ; 34 - 36; 40 - 43 ; 47 - 49 ; 51 ; 53 - 54 ; 60 ; 64 ; 66 - 67; 69 - 70 ; 72 - 74 ; 76 - 77 ; 79 ; 92 ; 95 ; 102 ; 105 ; 107 ; 113 ; 121 - 122 ; 124 - 126 ; 128 ; 143 ; 145 ; 149 ; 153 ; 156 ; 161 - 162 ; 169 ; 172 ; 174 - 177 ; 181 - 182 ; 184 ; 186 ; 188 - 189 ; 191 - 192 ; 196

Sardaigne : 104
Scythie : 36
Séleucie : 18 ; 97
Sérapis : 146
Smyrne : 8 ; 36 ; 180 ; 186
Stymphale : 57
Syracuse : 198
Syrie : 18 - 19 ; 27 ; 29 ; 34 - 35 ; 45 ; 72 ; 80 ; 90 - 91 ; 136 ; 142 ; 148 ; 164 - 165 ; 176 ; 178 ; 182 ; 193
la seconde Syrie : 179

Taurus : 30
Thrace : 88 ; 135 ; 176 - 177 ; 187
Tibre : 39 ; 109 ; 162 ; 174
Tigre : 98 ; 141
Tusculum : 158
Tyanes : 102 ; 108

Vésuve : 106
voie Sacrée : 124

فهرس الموضوعات التي يحتويها الجزء العاشر

- التعريف بديون كسيوس ومؤلفه "التاريخ الروماني"..... ... 7

♦ الكتاب الواحد والسبعون 17

- مرقس–أنطونينس [مرقس– أوريليوس] (Marc-Antonin) يشرك معه في الملك لوكيوس فيروس (Lucius Vérus) ابن لوكيوس كومودس (Lucius Commode)، ويزوجه ابنته لوكيبا (Lucilla). اختلاف طبعي الأميرين. لوكيوس (Lucius) يبعث لدعم الجيش في حربه ضد الفارثيين (les Parthes). تصرفه خلال هذه الحرب ؛ وتآمره على حموه، وهلاكه قبل أن يتأتى له الأمر... 17
- قاد مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) الحرب شخصيا ضد الإيازيج (Iazyges) والماركومانيين (Marcomans)، طول ملكه تقريباً، وقد اختار بنونيا (la Pannonie) قاعدة لعملياته..... 18
- شن السلتيون (les Celtes) غاراتهم حتى إيطاليا؛ وبالرغم من نصره، فإن مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، رفض للجند المال الذي كانوا يطالبون به 18
- أقام الإمبراطور ثلاثة تماثيل تخليدا لذكرى ماكرينوس فانديكس (Macrinus Vindex) الذي قتله الماركومانيون (les Marcomans)، ثم لما ظفر على هذا الشعب، لقب بالجرماني (Germanicus) 19
- ثورة البقارين (Bouviers) في مصر وقمع كاسيوس (Cassius) لتمردهم. جواب سجين شاب لمرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) خلال حرب جرمانيا. خفير يفك جنودا رومان من الأسر 19
- روفوس بساييوس (Rufus Bassæus) نائب الولاية 20
- سهر الإمبراطور على الحكم بالعدل ؛ استرخاؤه وقلة همته 20
- انتصار الرومان على الإيازيج (Iazyges) فوق الجليد 20
- مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يُخضع الماركومانيين (les Marcomans) والإيازيج (les Iazyges)؛ ويشن حربا عظمى على الكواديين (Quades)، وخلافا لما كان متوقعا، مكنته العناية الإلهية من دحر الأعداء. كسيفيلان (Xiphilin) يدعي أن ديون أخفى الحقيقة بخصوص هذا الموضوع 21

- مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يبقى في بنونيا (la Pannonie) لاستقبال سفارات البابار. مختلف الشعوب التي وفدت عليه والمعاملة التي عوملت بها ... 24
- ثورة كاسيوس (Cassius) في سوريا. فوسطينا (Faustine) تخون مرقس-أنطونينس (Marc-Antonin) الذي يكتم فعلها في البداية، ثم يستدعي الجنود ويخطب فيهم... 29
- موت كاسيوس (Cassius). تصرف الإمبراطور مع أولئك الذين شاركوا في التمرد..... ... 33
- موت فوسطينا (Faustine) 34
- مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يحرق الرسائل التي عثر عليها في صندوق بودنس (Pudens) دون قراءتها؛ وهو العمل الذي ينسب أيضا لفيروس (Vérus) الذي بعث واليا على سوريا 34
- قتال المجالدين الذي كان يشاهده الأمير كان قتالا يخلو من المخاطر، وكأنه مصارعة الرياضيين. كرهه مشاهدة الدم كرها شديدا ؛ ورفضه إعتاق مروض أسد درب على افتراس لحم البشر 34
- صفاء نية الإمبراطور وطيبته 35
- قانون يمنع على أي كان أن يمارس قيادة في الإقليم الذي يرجع إليه أصله 35
- مراسيم السيناتو على شرف فوسطينا (Faustine) 35
- العطايا التي أنعم بها الإمبراطور على الشعب حينما رجع إلى روما. ومنح المواطنين جميعا كل ما كانوا مدينين به لمصلحة الضرائب أو لخزينة الدولة، وذلك منذ ستة وأربعين عاما، دون احتساب الأعوام الستة عشر التي حددها أدريان (Adrien) 36
- مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يوكل لعضو من مجلس السيناتو كان قد مارس المقدمية (la préture)، مهمة إعادة إعمار سمرنه (Smyrne) التي ألحق بها الزلزال أضرارا جسيمة 36
- مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) يضطر إلى الذهاب إلى سيتيا (la Sythie)، ويزوج قبل سفره ابنه كومود (Commode) الذي رافقه في حملته. ويطلب من السيناتو الترخيص له بأخذ المال من خزينة الدولة؛ ثم يرمي بالقرب من معبد بيلون (Bellone) رمحا ملطخا بالدم، وكأنه يرمي به أرض العدو 36

- الإمبراطور يتوفى بسبب السم الذي سقاه إياه الأطباء حتى ينالوا رضا كومود (Commode) 37
- مزايا مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)؛ أساتذته، وميله إلى الفضيلة 38

♦ الكتاب الثاني والسبعون 41

- طبع كومود (Commode) الذي لم يعمل بنصائح الأوصياء الفضلاء الذين عينهم أبوه لنصحه، ورجوعه على عجل إلى روما بعد أن تصالح مع الباربار 41
- أتى كومود (Commode) عدة أمور شنيعة وأهلك العديد من المواطنين، وخاصة أولئك الذين حظوا بثقة ما خلال ملك أبيه وملكه من بعد 42
- يقول ديون أن هذه الوقائع وتلك التي ستتلوها، سيرويها حسب ملاحظاته الشخصية 43
- تصرفات كومود (Commode) المستهجنة في روما والسيناتو. لوكيا (Lucilla) أخت كومود (Commode) تدفع كلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) للتآمر عليه..... ... 43
- حظوة مارسيا (Marcia) عند الإمبراطور، وإيكليكتوس (Eclectus) الخادم الخاص لكوادراتوس (Quadratus)، أحد ضحايا كومود (Commode) 44
- مارسيا (Marcia) تشفق على المسيحيين 44
- قتل القنصلين سالفيوس يوليانوس (Salvius Julianus) وبطيرنوس طروطينيوس (Paternus Tarruténius) ؛ والأخوين كوينتيليوس (Quintilius) 44
- حيلة سيكستوس (Sextus) ابن أحد الأخوين كوينتيليوس (Quintilius) للنجاة بنفسه..... 45
- بعد موت كومود (Commode)، ادعى رجل أنه يسمى سيكستوس (Sextus) وحاول الاستيلاء على أملاكه وألقاب شرفه، غير أن برتناكس (Pertinax) فضح خدعته..... 45
- رفض كومود (Commode) الإنصات إلى منيليوس (Manilius)، سكريتير كاسيوس (Cassius)، بالرغم من وعده بالكشف عن أسماء المتمردين، ثم أحرق كل أوراقه دون أن يقرأها 46
- الحرب في بريطانيا (Bretagne) ؛ كومود (Commode) يرسل إليها أولبيوس مرسيلوس (Ulpius Marcellus). سيرة هذا الجينرال 47

- الجنود الثائرون يقتلون برينيس (Pérennis) الذي كان على رأس قيادة الحرس الإمبراطوري، والذي كان كومود (Commode) قد ترك له تدبير سياسة الدولة 47
- كليانـدر (Cléander) يخلف برينيس (Pérennis)، والقيصريون (les Césariens) يرتكبون جرائم شتى، وكومود (Commode) يستسلم للملذات وحب الخيول وقتال الحيوانات والمصارعة 49
- نصب تمثال على شرف فكتورينوس (Victorinus) الذي كان حاكما لروما. سيرة هذا الرجل 49
- أصل كليانـدر (Cléander) وعلو نجمه ثم هويانه 50
- كومود (Commode) يريق دم شرفاء المواطنين قصد السلوة..... 52
- ظهور وباء في روما، وهلاك عدد غفير من الناس في كل ربوع الإمبراطورية، ذهبوا ضحايا أثمة كانوا يتسلحون بسفافيد صغيرة يدهنونها بسم قاتل، ويسمون الناس مقابل أجر كانوا يتقاضونه..... 53
- طيش كومود (Commode) وحبه سفك الدماء 53
- الألعاب التي نظمها كومود (Commode) على امتداد أربعة عشر يوما. ديون الذي عاش هذه الأحداث، أصبح أكثر دقة في روايته. سلوكه خلال الألعاب، والتصرف الذي تصرفه السيناتوسيون الآخرون، تبعا لنصيحته. العديد من أفراد الشعب، بما فيهم الشيخ كلاوديوس بومبيانوس (Claudius Pompéianus) لم يظهروا في المدرج أبدا. علامات هلاك كومود (Commode) التي فرجت عن السينا..... ... 54
- مؤامرة ليطوس (Lætus) وإكليكتوس (Eclectus) التي شاركت مرسيا (Marcia) فيها. كومود (Commode) يُسم، وبما أنه لم يمت على التو، أرسل إليه المتآمران مدربا للرياضيين يسمى نرسيس (Narcisse) الذي خنقه داخل الحمام 58
- الأسباب التي دفعت ديون لتدوين تاريخ الحروب والفتن التي أعقبت موت كومود (Commode)، ودمجها مع باقي الأحداث التي تهم الروما..... 59
- العلامات التي سبقت موت كومود (Commode)..... 59

♦ الكتاب الثا لث والسبعون

61

- ليطوس (Lætus) وإكليكتوس (Eclectus) يختاران برتناكس (Pertinax) إمبراطورا؛ توجهه إلى المعسكر، وخطابه في الجند والسيناتوسيين 61
- الفرح الذي سببه موت كومود (Commode) 62
- أصل برتناكس (Pertinax)، وتصرفه مع السيناتو عامة، ومع عدة أعضاء من هذه الجمعية بصفة خاصة 63
- المغامرة التي وقعت في روما خلال ألعاب السيرك، وأنبأت بوصوله إلى الحكم ... 64
- برتناكس (Pertinax) يرد الاعتبار إلى الذين سفكت دماؤهم ظلما..... 65
- برتناكس (Pertinax) يجد صعوبة في أداء المبلغ الذي وعد به الحرس الإمبراطوري، ويعرض في المزاد العلني كل ما اشتراه كومود (Commode) ...65
- ليطوس (Lætus)، يشيد بذكر برتناكس (Pertinax)، وينهال على كومود (Commode) شتما 66
- اعتدال برتناكس (Pertinax) 66
- تآمر جنود الحرس الإمبراطوري مع ليطوس (Lætus) على هذا الأمير؛ والأسباب التي دفعتهم إلى ذلك 67
- برتناكس (Pertinax) يعفو عن فلكون (Falcon) الذي اختاره القيصريون إمبراطورا ... 67
- ليطوس (Lætus) يغتنم مؤامرة فلكون (Falcon) ليحرض الجنود على العصيان ... 67
- موت برتناكس (Pertinax) وقد تخلى عنه الجميع، باستثناء إيكليكتوس (Eclectus) الذي ظل وفيا له 68
- سولبيكيانوس (Sulpicianus) يعمل على أن يتم اختياره إمبراطورا؛ وديديوس يوليانوس (Didius Julianus) ينافسه في ذلك. المتنافسان يبيعان الإمبراطورية في المزاد العلني..... 69
- وصول يوليانوس (Julianus) إلى ميدان روما (le Forum) ومجلس الشيوخ 70
- الشعب يعبر عن حزنه علنا 71
- يوليانوس (Julianus) يتصرف بدناءة، متوددا إلى المواطنين الذين كان لهم نفوذ في الدولة. النجوم الثلاثة التي سطع نورها حول الشمس لما قدم يوليانوس (Julianus) ضحية "الدخول" بحضرة السيناتوسيين أمام مجلس المشيخة..... 72

- ثلاثة جنرالات: سيفير (Sévère) ونيجر (Niger) وألبينوس (Albinus) يريدون خلع يوليانوس (Julianus) ؛ تصرف سيفير (Sévère) مع منافسيه 73
- يوليانوس (Julianus) يستصدر من مجلس الشيوخ إعلان سيفير (Sévère) عدوا للشعب؛ والاحتياطات التي اتخذها ضده 73
- قتل ليطوس (Lætus) و مرسيا (Marcia) 74
- سيفير (Sévère) يستولي على رافين (Ravenne)، ويوليانوس (Julianus) يجعله زميله على رأس الإمبراطورية 74
- موت يوليانوس (Julianus) 75

♦ الكتاب الرابع والسبعون 76

- سيفير (Sévère) يعاقب قتلة برتناكس (Pertinax)، ويطرد أفراد الحرس الإمبراطوري من روما..... 76
- وصول سيفير (Sévère) إلى روما؛ وعدم وفائه بالوعد الذي وعد به مجلس الشيوخ..... 76
- الإجراءات التي اتخذها لصالح الجنود والتي أوخذ عليها 77
- العلامات التي جعلته يأمل السلطة 78
- أعمال تكريم ذكرى برتناكس (Pertinax)، والجنازة الكبرى التي أقيمت لهذا الأمير 78
- سيفير Sévère) يحمل على نيجر (Niger) الذي هُزم معاونه أيميليانوس (Æmilianus) وقُتل أثناء اشتباك في سيزكة (Cyzique)، قبل أن يُهزم بدوره وسط خوانق نيقية (Nicée وكيوس (Cios) 80
- إيسوس (Issus) تشهد معركة جديدة بين المتنافسين، بالقرب من المكان المسمى بالأبواب السيليسية (Portes ciliciennes) ؛ ونيجر (Niger) يهزم من جديد 81
- نيجر (Niger) يهرب منسحبا في اتجاه الفرات (l'Euphrate) بنية الفرار إلى البابار، غير أن متعقبيه ظفروا به وحزوا رأسه الذي بعث به سيفير (Sévère) إلى بيزنطة حيث شُدّ إلى صليب 83
- تصرف سيفير (Sévère) بعد انتصاره 83

- جواب كسيوس كليمنس (Cassius Clémens) لسيفير (Sévère) الذي آخذه على انضمامه لحزب الخصم 83
- إريكيوس كلاروس (Erycius Clarus) يفضل الموت على السعي بأنصار نيجر (Niger)؛ سيفير (Sévère) يتوجه إلى يوليانوس (Julianus) ويحمله على التكفل بالقضية مقابل العفو عنه وتجنيبه الخزي ؛ وهو ما لم يمنعه من استنطاقه تحت التعذيب، دون أن يراعي شرفه..... 84
- بيزنطة : موقعها وقوتها 84
- مقاومة المدينة للحصار الذي ضربته كل قوات سيفير (Sévère) عليها لمدة ثلاث سنوات؛ أحداث هذا الحصا 86
- سيفير (Sévère) يفتح بيزنطة ويشعر بفرح عظيم ؛ المعاملة التي عامل بها المدينة.... 87
- ظاهرة تردد الصدى الغريبة بين بروج بيزنطة السبعة 88

♦الكتاب الخامس والسبعون 89

- سيفير (Sévère) يحمل على عدة شعوب بارباريـة. مطالبـة الأديابينيين (les Adiabéniens) الغريبة. لم يُسالَم العرب لأنهم لم يأتوا بأنفسهم 89
- جيش سيفير (Sévère) يعاني من ندرة الماء 89
- حادث غريب يقع لسيفير (Sévère) مع قاطع طريق، بينما كان مستسلما لكبريائه بسبب الفوز الذي حققه لطيرانوس (Latéranus) وكانديدوس (Candidus) و ليطوس (Lætus) 90
- السيتيون (les Scytes) يعجزون عن أخذ السلاح بسبب الصواعق التي أصابتهم خلال تداولهم في الأمر، فأصعقت ثلاثة من رؤسائهم 90
- ملاحظات حول احتلال نصيبين (Nisibis) 91
- قيام الحرب بين ألبينوس (Albinus) وسيفير (Sévère). والشعب يعبر صراحة عن ألم 91
- ملاحظة ديون حول المطر الفضي اللون الذي تهاطل في ميدان أغسطس (le Forum d'Auguste) 92

- النحوي نوميريانوس (Numérianus) 92
- المعركة التي دارت رحاها بين سيفير (Sévère) وألبينوس (Albinus) بالقرب من ليون (Lyon)، والتي انتصر فيها الأول بفضل ليتوس (Lætus) الذي ظل يشاهد الحرب كالمتفرج، ولما رأى أن سيفير (Sévère) هو الأقوى، دخل المعركة. عرفت القوة الرومانية خلال هذه الحرب انكسارا شديدا 93
- ألبينوس (Albinus) يحتمي في دار بالقرب من الرون (le Rhône)، وينتحر حين وجد نفسه محاصرا. سيفير (Sévère) يبعث رأس خصمه مرفوعا فوق حربة إلى روما 95
- سيفير (Sévère) يزعم أنه ابن مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin)، وأخا كمود (Commode)، الذي شرفه تشريفا يليق بالآلهة، ومدحه في مجلس الشيوخ 96
- سيفير (Sévère) يوجه سلاحه ضد الفارثيين (les Parthes) الذين استولوا على بلاد الرافدين (la Mésopotamie) ؛ ويستولي على سلوقية (Séleucie) وبابل (Babylone) وقطسيفون (Ctésiphon) التي نهبها جنده، بإذن منه 97
- سيفير (Sévère) يمنح فولوبايوس (Vologèse) جزءا من أرمينيا (l'Arménie) حتى يحقق السلم 98
- سيفير (Sévère) يحاصر أطرا (Atra)، غير أنه فشل في ذلك 98
- سيفير (Sévère) يقتل ليتوس (Lætus) بسبب الحسد 98
- سيفير (Sévère) يسير للمرة الثانية لقتال أطرا (Atra)، لكنه أجبر على الانسحاب بعد تكبده خسائر فادحة 99
- سيفير (Sévère) يذهب إلى فلسطين (Palestine) ويقدم قربانا مأتميا إلى بومبي (Pompée)؛ ويستولي في كل معابد مصر (Egypte) على الكتب التي اكتشف أنها تتضمن مذهبا سريا ما، ويخبئها في قبر الأسكندر ..... (Alexandre) 100
- النيل (le Nil) ومنابعه 100
- بلاوتيانوس (Plautianus) يحظى بثقة سيفير (Sévère) التامة؛ شططه وبخله الشديد؛ خصيانه الرومان الأحرار الذين كان بعضهم متزوجا، حتى يمكن بنته بلوتيا (Plautilla) من خصيان لخدمتها. الثقة التي وضعها سيفير (Sévère) فيه لا حد لها 101

- مضايقة بلاوتيانوس (Plautianus) ليوليا أوغوسطا (Julia Augusta) زوجة سيفير (Sévère) بشتى الأشكال، ولذلك بدأت يوليا (Julia) تهتم بالفلسفة 103

النساء تتصارعن فيما بينهن في السيرك 104

- تماثيل بلاوتيانوس (Plautianus) تزعج سيفير (Sévère) بكثرتها، فأمر بصهر بعضها ؛ فشاع في المدن خبر مفاده أن بلاوتيانوس (Plautianus) قد غُضب عليه وخُلع من منصبه. كلام متهِم في هذا الموضوع، وجواب سيفير (Sévère) 104
- البحر يلفظ حوتا عظيم الجثة إلى ميناء أغسطس (Auguste)؛ وفي سماء روما شوهد مذنب 104

♦ الكتاب السادس والسبعون 105

- الحفلات التي أقيمت بمناسبة الذكرى العاشرة لاعتلاء سيفير (Sévère) العرش، وانتصاراته ؛ مراسيم زواج أنطونينس (Antonin)، نجل سيفير (Sévère) ببلوتيا (Plautilla) بنت بلاوتيانوس (Plautianus). وصف ضبع كان من بين الحيوانات التي قتلت خلال الألعاب التي شهدتها هذه الحفلات 105
- ثوران بركان الفيزوف (le Vésuve) الذي كان ينبئ بتغيير آت في حياة بلاوتيانوس (Plautianus) المحظوظ 106
- عند احتضاره، أطلع جيطا (Géta) أخاه سيفير (Sévère) على مشاريع وزيره الطموحة، فأضعف الإمبراطور نفوذ بلاوتيانوس (Plautianus)الذي أكن العداوة لأنطونينس (Antonin)، وكأن الأمير كان سبب فقدان حظوته ؛ وأضحى يبغضه أكثر مما مضى بسبب قلة التقدير الذي كان يبديه لبنته 106
- أنطونينس (Antonin) يغري قواد مائة ليتهموا بلاوتيانوس (Plautianus) بإعطائهم الأمر بقتل سيفير (Sévère) و أنطونينس (Antonin) 107
- بلاوتيانوس (Plautianus) يُستدعى إلى القصر ويُقتل بأمر من أنطونينس (Antonin) 108
- خلال إطلاع أعضاء السيناتو على هذا القتل، عوض أن يتهم سيفير (Sévère) بلاوتيانوس (Plautianus)، فإنه أسف على ضعف الإنسان الطبيعي، هذا الضعف الذي يجعله عاجزا عن احتمال مراتب الشرف العليا 108

- تعرض عدة مواطنين للخطر لما قُتل بلاوتيانوس (Plautianus): كويرانوس (Cœranus) نفي إلى جزيرة لمدة سبع سنوات، وكان أول المصريين الذين تم قبولهم في السيناتو ؛ وحكم على كيكيليوس أغريكولا (Cæcilius Agricula) بالإعدام، فانتحر 109
- سيفير (Sévère) يحول وتكريم مجلس الشيوخ لستورنينوس (Saturninus) وإيفودوس (Evhodus) 110
- بلاوتيا (Plautilla) وبلاوتيوس (Plautius)، ولدا بلاوتيانوس (Plautianus) ينفيان إلى ليباري (Lipari) 110
- أنطونينس (Antonin) وجيطا (Géta) ابنا سيفير (Sévère)، يتخلصان من بلاوتيانوس (Plautianus) ويسرفان في اللذات 110
- أنطونينس (Antonin) يقع على الأرض وينكسر فخذه. وبالرغم من ذلك فإن سيفير (Sévère) لم يقصر في أدنى واجباته بخصوص إدارة شؤون الدولة 110
- قتل كوانتيلوس بلاوتيانوس (Quintillus Plautianus) 110
- إدانة أبرونيانوس (Apronianus) وبيبيوس مرسيلينوس (Bæbius Marcellinus) 111
- سبينوس (Sabinus) يسلم بولينيوس سيبينوس (Pollénius Sébennus) للنورسيين (les Noriciens) الذين كان والياً عليهم. ولولا عمه أسباكس (Aspax) الذي شفع له إلى النورسيين (les Noriciens)، لقتل شر قتلة 112
- طبع أسباكس (Aspax) 112
- مغامرة قاطع الطريق الإيطالي بولاس (Bullas) الذي ظل طليقاً بالرغم من مطاردته، ثم غُدر به وألقي عليه القبض خلال نومه، ورُمي به إلى الحيوانات الضاري... 113
- سيفير (Sévère) يوجه سلاحه ضد بريطانيا (la Bretagne) بالرغم من كونه كان يعلم أنه لن يعود من حربه تلك. علامات الشؤم التي صاحبت انطلاقه إلى بريطانيا 114
- الشعوب التي تسكن بريطانيا 114
- سيفير (Sévère) يتمكن من إخضاع بريطانيا لسلطته بعد عناء شديد 116

- سيفير (Sévère) يراقب الشمس مراقبة دقيقة، ويرى أنها لا تغيب عن الأفق إلا قليلا 116
- أنطونينس (Antonin) يشغل بال أبيه، ويدبر المؤامرات ضده 116
- سكان الجزيرة يخونون العهد من جديد، وسيفير (Sévère) يستعد لمحاربتهم شخصياً، ويتوفي وسط هذه الاستعدادات نتيجة المرض 118
- اللحظات الأخيرة قبل موت سيفير، وجنازته 118
- طبع هذا الإمبراطور 119

♦ الكتاب السابع والسبعون 121

- أنطونينس (Antonin) يأخذ كامل السلطة المطلقة، ويصرف بعض المستخدمين المختصين بخدمته، ويقتل من بين من قتله زوجته بلوتيا (Plautilla)، وأخاها بلوتيوس (Plautius) 121
- الحوذي أوبريبيس (Euprépès) 121
- الجيش يحول بين أنطونينس (Antonin) وقتل أخيه جيطا (Géta) في الطريق؛ والشقاق يزداد بين الأخوين في روما، بالرغم من تظاهرهما بحب الواحد منهما للآخر. علامات الشؤم تنبئ بالفاجعة الآتية 121
- أنطونينس (Antonin) يقتل جيطا بين يدي أمه 122
- يوليا (Julia) تمنع من البكاء على ولدها 123
- تصرف أنطونينس (Antonin) بعد قتل أخيه، مع الجيش وفي مجلس الشيوخ 123
- سماحه لكل المنفيين بالرجوع إلى ديارهم 124
- قتله للقيصريين (les Césariens) والجنود المناصرين لجيطا (Géta)، ومن بينهم ببينيانوس (Papinianus) 124
- أنطونينس (Antonin) يريد قتل كيلون (Cilon)، واليه والمُفْضِل عليه الذي كان حاكماً لروما في عهد أبيه 124

- يوليوس أسبير (Julius Asper) يُنفى ؛ وليتوس (Lætus) كان سيُقتل لولا إصابته بمرض عضال ؛ كما قتل أنطونينس (Antonin) بريسكوس طراسياس (Priscus Thraséas) وعدة أشخاص كانوا فيما مضى أصحابه 125
- كزيفيلان (Xiphilin) لا يذكر، كما فعل ديون (Dion)، كل أسماء مشاهير الرجال الذين قتلهم أنطونينس (Antonin) بدون محاكمة 125
- شغف أنطونينس (Antonin) بالأسكندر (Alexandre) 126
- لا يتردد أنطونينس (Antonin) في الإنفاق بلا حساب، كلما تعلق الأمر بجنوده ؛ ولكنه لا يهتم بالناس الآخرين إلا لسلبهم أموالهم والسطو على ممتلكاتهم. فرضه الضرائب على إعتاق العبيد والتركات والهبات كيفما كانت، ومنحه المواطنة الرومانية لكل سكان الإمبراطورية 127
- إنفاقه الأموال الباهظة ؛ وكيف أجاب أمه لما آخذته على ذلك 128
- مكافآته لمتملقيه 129
- سيفير (Sévère) دربه على كل التمارين الجسدية والذهنية ؛ إهماله للعلوم، وإضماره الضغينة لأولئك الذين اشتهروا بشيء ما 129
- غدر أنطونينس (Antonin) بأوغاروس (Augaros)، ملك أورسوينيا (l'Orsoène)، وبساناتروس (Sanatruce)، ملك الأرمينيين (les Arméniens) 130
- بغضه لأخيه الراحل 131
- عيشه خلال الحرب وعند الضرورة عيشة بسيطة متقشفة 131
- الشعوب الجرمانية لم تمكنه من الفرح ولا من فرصة يبرز فيها دهاءه وبسالته 132
- في كتاب إلى مجلس الشيوخ، أثنى أنطونينس (Antonin) على بنديون (Pandion) الذي كان قد خدم الحوذية في البداية، ثم قاد بعد ذلك عربته خلال الحرب ضد الألمان (les Alamans) 132
- أنطونينس (Antonin) يبني ضريحاً تذكارياً لميسوميد (Mésomède)، عازف الكنارة، ويرمم تمثال سيلا (Sylla) 132
- الحرب ضد السينيين (les Cenni) ؛ ونساؤهم اللائي وقعن في أسر الرومان يفضلن الموت على الاسترقاق 133

- عدة شعوب تسكن شواطئ الأوقيانوس (l'Océan)، ومصب الإلب (l'Elbe)، تبعث سفراءها لتخطب وده حتى تتلقى منه المال ؛ وكان يتصالح مع كل البابار الذين كانوا يهددونه بالحرب 133
- كان مريضاً في جسده، وكان أيضاً مريضاً عقليا ؛ ومن بين الأرواح التي استحضرها، حتى ينشرح صدره، روح أبيه، وروح كومود (Commode)؛ دون جدوى 133
- لم يستجب له أي إله لإبراء جسده أو عقله، بالرغم من كل صلواته وقرابينه.. 134
- قتله لأربع فستاليات (Vestales)، اغتصب إحداهن قبل قتلها، وكان يقتل الزناة، خلافاً للشرع. إلقاء القبض على فارس شاب حمل معه إلى ماخور قطعة نقد مثلت عليها صورة الإمبراطور، ونجاته بعد ذلك، بفضل موت أنطونينس (Antonin) 134
- أنطونينس (Antonin) يصل إلى تراقيا (la Thrace) ويكرم آخيل (Achille) الذي تقرب إليه بذبائح مأتمية، ويغتنم هذه المناسبة لينعم على فرق جيشه بالمال 135
- طغيان الجنود الذين كانوا مكلفين بالتصنت على الأبواب ومراقبة الناس وسعيهم بهم عنده. سلطان الخصي سمبرونيوس روفوس (Sempronius Rufus) 135
- قلة احترام الأمير للسينات. 135
- استعداده للحرب ضد الأرمينيين (les Arméniens) والفارثيين (les Parthes) 136
- التكريمات التي خص بها أنطونينس (Antonin) أمه، بالرغم من أنه لم يكن ينصت للنصائح العديدة والنيرة التي كانت تسديها إليه؛ شدة ولوعها بالفلسفة 136
- حب الإمبراطور للسحرة والمشعوذين 136
- ذريعة الحرب على الفارثيين (les Parthes) تكمن في رفض فولوبايوس (Vologèse) تسليم تيريدات (Tiridate) وأنتيوكوس (Antiochos) للإمبراطور 136
- قبل مغادرته نيكوميديا (Nicomédie) حيث أشتى، نظم أنطونينس (Antonin) صراعاً للمجالدين حيث رفض ترك مجالد مهزوم على قيد الحياة 137

- تناقض تصرفه مع ثنائه على فبريكيوس لوسكينوس (Fabricius Luscinus) الذي أبى قتل بيروس (Pyrrhus) بسبب خيانة صاحبه 137
- الفارثي (le Parthe) يرتعب ثم يسلّم تيريدات (Tiridate) وأنتيوكوس (Antiochos)، وأنطونينس (Antonin) يوقف حملته على الفور. لكن تيوكريطوس (Théocritos) الذي بُعث على رأس جيش لمحاربة الأرمينيين (les Arméniens)، يُهزم. سلطان تيوكريطوس (Théocritos) وأصله 138
- الأعمال الوحشية التي ارتكبها أنطونينس (Antonin) في الأسكندرية (Alexandrie) 138
- أنطونينس (Antonin) يحدد للجند قيمة المكافآت العسكرية 140
- كان أنطونينس (Antonin) يبدو مغتاظاً كلما تعلق الأمر بفعل وقح في غاية الخزي والشناعة، ولكن بما أنه لم يكن ينزل العقاب الذي تستحقه خطورة هذا الفعل،
- فإن أقواله كانت تخالف سمعة الصرامة التي كان يتباهى بها 140
- خلال الألعاب الكولينية (Culéniens)، عار مخز يلحق حتى المشاهدين 140

♦ الكتاب الثامن والسبعون 141

- أنطونينس (Antonin) يزحف نحو الفارثيين (les Parthes)، والباربار ينسحبون إلى الجبال حتى يستعدوا للدفاع عن أنفسهم، وهو ما لم يمنعه من التباهي بكونه قضى عليهم نهائياً 141
- الوسائل التي كان يستعملها ليعرف من يعزه من السيناتوسيين ومن يبغضه منهم 142
- الفارثيون (les Parthes) والميديون (les Mèdes) يجمعون جيشاً جراراً؛ فهال هذا الأمر أنطونينس (Antonin) الذي لم يعد يتحمل المشاق 142
- أنطونينس (Antonin) يبتدع لباساً بارباري التفصيل، وهو سبب تلقيبه بكركلوس (Caracallus) 142
- لما رأى الباربار تصرف أنطونينس (Antonin) هذا، وبلغهم أن جنده استسلموا للميوعة، تشجعوا وأصبحوا واثقين من أنهم سيجدون في هذا الجيش حلفاء 143

- مطيرنيانوس (Maternianus) يبعث إلى أنطونينس (Antonin) كتاباً يخبره فيه بمؤامرة مكران (Macrin)، إلا أن الكتاب لم يصل مباشرة إلى أنطونينس (Antonin)؛ وخلال الوقت نفسه، وصلت رسالة أخرى إلى مكران (Macrin) الذي لم يؤجل والحال هذه ما كان ينوي فعله.. 143
- مرسياليس (Martialis) يطعن أنطونينس (Antonin) 145
- التعليمات التي أعطاها أنطونينس (Antonin) للجنود السكوثيين (les Scythes) والسلتيين (les Celtes) الذين كانوا يحيطون به 145
- علامات الشؤم التي أطلعت أنطونينس (Antonin) على نهايته الوشيكة، والتي ذكرت ديون بآخر كلام تَنَبُّئِي وجهه إليه الإمبراطور 146
- جثة أنطونينس (Antonin) تحرق وينقل رمادها سراً إلى روما ؛ وكان الناس جميعاً يبغضونه بغضاً شديدا، إلا أن الجند الذين لم ينعموا بالسلم، وحُرموا من الأرباح التي كانوا يحققونها في عهده، أسفوا عليه وقرروا جعله في عداد الأبطا 149
- قبل أن يصل أنطونينس (Antonin) إلى الحكم، كان سيفير (Sévère) قد نبه ديون في منامه، إلى أنه سيكتب تاريخ هذا المُلك... 149
- أصل مكران (Macrin) وطبعه وبدايته ؛ جيشه يختاره إمبراطوراً، فيقبل وكأنه مكره على ذلك 150
- الآمال التي عُقدت عليه في بداية ملكه 151
- لومه على خرقه الصريح للقانون..... 152
- مؤاخذته على تصرفه مع أدفينتوس (Adventus) وسيرة هذا الأخير..... 153
- لما تخلص الناس من طروطاس (Tarautas)، وسار مكران (Macrin) سيرة سيئة في كل ما فعل، فإنهم تلهفوا تلهفاً شديداً على الأمير بعد موته، وهو الذي لو مُدّ في عمره، لما كفوا عن بغضه... 154
- لم يتم إعلان طروطاس (Tarautas) عدواً مخافة من الجند، ولكن شرفه انتهك بطرق شتى 155

- لم يُظهر الناس لمكران (Macrin) في البداية أي شيء من شأنه أن يعكس غضبهم عليه، ورضوا به إمبراطوراً ؛ إلا أنهم لما علموا أن أوريليانوس (Aurélianus) قد قُتل، وأن ديادومينيانوس (Diaduménianus) ابن مكران (Macrin) يُنادى بلقب قيصر (César)، بدأت مشاعرهم نحوه تتغير 156
- لم يبعث مكران (Macrin) إلى مجلس الشيوخ، بالرغم من الطلب الذي تلقاه منه، بأي كتاب بشأن الوشاة، واكتفى بالتنبيه إلى السيناتوسيين الثلاثة الذين تم نفيهم إلى الجزر 158
- قضاة إيطاليا يجبرون على الاشتغال فقط في إطار الصلاحيات التي أعطاها لهم مرقس– أنطونينس (Marc-Antonin) 159
- أحداث مختلفة بخصوص ولاة آسيا 159
- كانت يوليا (Julia) أم طروطاس (Tarautas) في أنطاكيا (Antioche) لما علمت بموت ابنها، ولقد فجعت الثكلى وقت تلقيها الخبر، وحاولت أن تستسلم للموت، ولكن الكتاب اللطيف المحتوى الذي بعثه إليها مكران (Macrin)، جعلها تتجلد بالصبر وتتخلى عن رغبتها في الموت ؛ ثم استسلمت للموت بعد ذلك بامتناعها عن الأكل 160
- تأملات المؤلف حول مصير يوليا (Julia) ؛ جثمانها ينقل إلى روما، ليدفن في ضريح كيوس (Caius) ولوكيوس (Lucius) ؛ وبعد ذلك، قامت أختها مايسا (Mæsa) بنقل رفاتها ورفات جيطا (Géta) إلى المدفن المخصص لأنطونينس (Antonin) 161
- علامات الشؤم التي أنبأت بهلاك مكران (Macrin) 161
- مكران (Macrin) يدعو أرطبنوس (Artabanos) للسلم ويلقي مسؤولية كل ما وقع على طروطاس (Tarautas)؛ أرطبنوس (Artabanos) لم يجنح للسلم، ومكران (Macrin) ينهزم في المعركة 162
- أرطبنوس (Artabanos) يقبل التفاوض في أمر السلم ؛ وإنهاء الحرب في أرمينيا (l'Arménie) ضد تيريدات (Tiridate) 163
- تمرد الجنود وعزلهم إمبراطورهم 164

- أوتيكيانوس (Eutychianus) يصمم على خلع مكران (Macrin)، وينادي بأفيتوس (Avitus)، حفيد ميسا (Mæsa)، إمبراطوراً محله، وأوهم الناس بأن الصبي ابن زنى لطروطاس (Tarautas) 165
- مكران (Macrin) يمنع الجنود الموريين من فتح أبواب معسكر المتمردين عنوة، لأنه كان يأمل في حمل أولئك الذين كانوا بداخل المعسكر على الاستسلام بمحض إرادتهم ؛ إلا أن جنود مكران (Macrin) التحقوا بصفوف المتمردين 167
- مكران (Macrin) ينادي بابنه إمبراطوراً، بالرغم من أنه لم يكن قد تجاوز العشر سنين؛ ورد للجند الأعطيات التي كانوا قد حُرموا منها 168
- الجنود الذين كانوا يعسكرون في أنطاكيا (Antioche) ينفضون من حول مكران (Macrin) 168
- البلبلة التي سببت فيها استعدادات الفريقين، والكتب التي بُعثت إلى الولايات وألوية الجيش. مغامرة بزيليانوس (Basilianus) حاكم مصر 168
- مكران (Macrin) يكتب إلى مجلس الشيوخ بخصوص منتحل اسم أنطونينس (Antonin)، وإلى مكسيموس (Maximus)، والي روما (Rome) بخصوص مطالب الجند 169
- معركة إمّاي (Immæ) التي انهزم فيها مكران (Macrin) بسبب جبنه، كما نبّأته الآلهة بذلك 170
- مكران (Macrin) ينسحب إلى أنطاكيا (Antioche) كالمنتصر، ثم يهرب من جديد من هذه المدينة ليلاً، وبعد أن قطع عدة بلاد، ألقي عليه القبض وهو ما زال في خلقدون (Chalcédoine)، ثم نُقل حتى كابادوكيا (la Cappadoce) 171

♦ **الكتاب التاسع والسبعون** 174

- المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) يدخل في اليوم التالي للمعركة إلى أنطاكيا (Antioche)، ويمنع الجند من نهب المدينة 174
- المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) يبعث كتابا إلى روما (Rome) يشتم فيه مكران (Macrin)، ويعطي فيه وعوداً كثيرة ليس للجند فقط، بل وللسيناتو والشعب 175

- ويرسل إلى هذه الجمعية وإلى فرق الجيش مذكرة حول ما جرى، وكذا الرسالة التي كتبها مكران (Macrin) إلى مكسيموس (Maximus)، ويتخذ ألقاب إمبراطور وقيصر (César) 175
- أعضاء مجلس الشيوخ يُكرهون على شتم مكران (Macrin) و تمجيد طروطاس (Tarautas) 176
- المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) لم يعاقب أي أحد أهانه هو أو كراكالوس (Caracallus)، بالقول أو بالفعل 176
- سفك الدماء في روما وفي بلاد أخرى 176
- كومازون (Comazon) 176
- المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) يقتل عدة شخصيات هامة بدون أن يخبر مجلس الشيوخ بذلك 177
- قتل غنيس (Gannys) الذي مكّنه من الانتصار على مكران (Macrin)؛ ولقد ارتكب بنفسه قتْله، وجعلت منه هذه الجريمة أكفر الناس بنعمة 179
- أوضاع الدولة تقلب رأساً على عقب، وطموح عدة شخصيات للوصول إلى الملك 179
- تأملات ديون فيما يخص ما فعله إليغابال (Elégabale) ضد تقاليد الأجداد 180
- إليغابال (Elégabale) يتزوج كورنيليا بولا (Cornélia Paula)، ثم يطلقها ليتزوج بالفيستالية (Vestale) أكويليا سيفيرا (Aquilia Sévéra) التي لم يعش معها لمدة طويلة، واتخذ زوجة أخرى، ثم ثانية وثالثة، ورجع بعد ذلك إلى سيفيرا (Sévéra) 181
- وقعت في روما (Rome) معجزات، والإمبراطور ينظم ألعابا تألق خلالها الرياضي أوريليوس أيليكس (Aurélius Ælix) 181
- الإمبراطور يُدخل إلى روما عبادة إليغابال (Elégabale)، ويخص نفسه بالكهنوت لخدمته، ويجعله يتفوق على يوبتر (Jupiter) ؛ زواج هذا الإله بالإلهة أورانيا (Uranie) التي تم استقدامها من قرطاج 182

- كان الإمبراطور فجوراً وأتى أموراً شنيعة ؛ الرياضي هييروكليس (Hiéroclès) زوج الإمبراطور 183
- مغامرة أوريليوس زوتيكوس (Aurélius Zoticus) 186
- الإمبراطور يتبنى ابن خالته بسيانوس (Bassianus) في مجلس الشيوخ، ويطلق عليه اسم الأسكندر (Alexandre) 187
- ظهور جني ادعى أنه الأسكندر المقدوني (Alexandre de Macédoine) الشهير، انطلق من البلاد المجاورة للدانوب (l'Ister)، واجتاز آسيا (l'Asie) وتراقيا (la Thrace) على غرار باخوس (Bacchus)، وتقدم حتى بيزنطة (Byzance) ؛ ثم عاد أدراجه من هذه المدينة، واتجه إلى أرض خلقدون (Chalcédoine)، حيث اختفى عن الأنظار 187
- الجند يقتلون الإمبراطور وأمه في المعسكر ؛ ومن بين من قتل مع الإمبراطور، هييروكليس (Hiéroclès)، ونائبا الولاية، وعدة مقربين من الأمير؛ ولم ينج من القتل إلا كومازون (Comazon) 188

♦ **الكتاب الثمانون** 191

- الأسباب التي لم تمكن ديون من رواية الأحداث التي وقعت بعد موت المنتحل اسم أنطونينس (Antonin) بنفس الدقة التي روى بها التفاصيل السابقة 191
- تمكن أولبيانوس (Ulpianus) الذي ولاه الأسكندر (Alexandre) قيادة الحرس الإمبراطوري من تصحيح العديد من البدع، لكنه قُتل بسبب مؤامرة الحرس الإمبراطوري، بالرغم من أنه جرى إلى القصر ليحتمي بالإمبراطور وأمه 191
- خلال حياة أولبيانوس (Ulpianus)، نشب خلاف خطير بين الشعب والحرس الإمبراطوري 192
- إخماد عدة فتن نشبت وسط عدة شعوب ؛ وكانت الفتنة التي تزعمها فارسي يدعى أرطاكسيركسيس (Artaxerxès) في بلاد الرافدين (la Mésopotamie) الأكثر ترويعا..... 192
- قلة الانضباط بين قوات الجيش جعلت الجند في بلاد الرافدين (la Mésopotamie) يقدمون على قتل قائدهم، وأفراد الحرس الإمبراطوري يطالبون بتعذيب ديون (Dion) خشية أن يجبرهم على الخضوع لانضباط عسكري بسبب الحزم الذي أظهره لما كان على رأس الجنود في بنونيا (la Pannonie) 193

• بالرغم من هذه الشكاوى، عُيّن ديون (Dion) قنصلاً مرة ثانية مع الإمبراطور؛ وخوفا من غضب الحرس الإمبراطوري، أمره الإمبراطور بقضاء مدة القنصلية خارج روما ؛ ثم جاء بعد ذلك للقياه في روما وفي كمبانيا (la Campanie)، حيث ظهر أمام الجند في كل أمان، وحصل على الإذن بالرجوع إلى بيته 194

♦ نبذ من تاريخ ديون 195

• نبذ مختلفة [مستخرجة من كتاب " المختارات" الموجود في مكتبة الفاتكان] 199

• [نبذ من مؤلف أنطوان مليسّا (Antoine Mélissa)] 200

• نبذ من مؤلف أرسين (Arsène)، مطران مونيمباسيا (Monembasia)، ابن أبوسطولوس (Apostolos)؛ " روضة البنفسج " (Parterre de Violettes) 200

◆ المصادر والمراجع التي ذُكرت في الحواشي... 202

◆ مسرد المؤلفين القدامى 204

◆ فهرس أعلام الأشخاص والآلهة والأمم 205

◆ فهرس الأماكن 215

◆ فهرس الموضوعات التي يحتويها الجزء العاشر 219

هذا الكتاب

ازداد المؤرخ الإغريقي ديون كسيوس في نيقية حوالي 155، وتوفي حوالي 235. ولقد تقلب في عدة وظائف سامية، وكان عضوا في مجلس الشيوخ الروماني منذ 193، وقاضياً في عهد برتناكس، وحاكماً تولى إدارة شؤون عدة ولايات رومانية، وقنصلاً مرة أولى في 205-206، على الأرجح، في عهد سبتيم سيفير (193-211)، ومرة ثانية في 229.

ومنذ 207 إلى تاريخ اعتزاله الخدمة في جهاز الدولة، انكب على تأليف " التاريخ الروماني " الذي يبدأ بوصول إنّي إلى إيطاليا، وينتهي بهذا الجزء العاشر الذي يتناول تاريخ دول الأباطرة الرومان الذين عاصرهم ديون كسيوس، وهم : كومود، وسيفير، وكركلا، ومكران، وإليجبال، وألكسندر سيفير ؛ وآخر أحداث هذا التاريخ، هي تلك التي ترجع إلى سنة 229. ويعتبر هذا الكتاب من أمهات مصادر التاريخ الروماني.

ويكتسي هذا الجزء الذي نقلناه إلى لغة الضاد أهمية قصوى بالمقارنة مع الأجزاء الأخرى من هذا المؤلف الضخم، لأن كاتبه كان شاهدا على أحداث تاريخ الإمبراطورية الرومانية في عصره (أواخر القرن الثاني والثلث الأول من القرن الثالث)، هذه الأحداث التي دوّنها بدقة، بصفته مؤرخا ورجل دولة، وأحد المقربين من بعض الأباطرة أو من بعض نسائهم المثقفات.

9 789981 610521